الملحمة الفلسطينية

مقالات للفيف من الكتّاب والمفكرين العرب



تقديم:

أ. فهمي هويدي أ.د. عماد الدّين خليل



الملحمة الفلسطينية

حاتم سلامة ـ منير لطفي ـ أحمد المنزلاوي

تصحيح لغوي: أحمد المنزلاوي

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: 2023/27099

الترقيم الدولي: 8 - 8 - 86757 - 977 - 978

تنسيق داخلي

مركز وَدُود للصف وتجهيز الكتب

010 91 888 682



https://el-fnaar.com/

www.facebook.com/elfnaar

www.instagram.com/elfnaar

www.twitter.com/elfnaar

٨ شارع محمد المقريفي المتفرع من شارع حسن المأمون – خلف عيادات التيسير التخصصية مدينة نصر القاهرة.



الملحمة الفلسطينية

مقالات للفيف من الكُتَّاب والمفكرين العرب

تقديم

أ. فهمي هويدي
أ.د. عماد الدّين خليل

تحرير

منير لطفي - حاتم سلامة - أحمد المنزلاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ. فهمي هويدي/ مصر[1]

لو أنني خُيرتُ في وقت مبكر قبل اقتراح كتابة هذه المقدمة، لآثرت الانضمام إلىٰ (كتيبة الأربعين) من المثقفين العرب الذين اصطفوا إلىٰ جانب أبطال السابع من أكتوبر واختاروا أن يرددوا مع الملايين بصوت عال الشعار (كلنا فلسطينيين).

أدري أن ما عبّروا عنه يُعد نقطة في بحر الغضب المتواري الذي تقف فيه جماهير الأمة، أدري أيضًا أن صوت تلك الجماهير لم يُسمع جيدًا للأسف، حتىٰ بدا ضعيفًا ومتهافتًا، إذا ما قُورن بأصوات أخرىٰ هادرة، سُمعت في بعض أرجاء العالم.

ومع ذلك ينبغي أن نحمد لتلك الكتيبة من حملة الأقلام العرب، حماسهم النبيل حين اختاروا أن يخترقوا جدار الصمت والحصار، ولم ينتظروا ذيوعًا أو منصات للتواصل الاجتماعي، فقرّروا أن يعلنوا علىٰ الملأ موقفهم، مؤكّدين علىٰ أن ما هو عزيز

(١) كاتب وصحفي متخصص في الشأن العربي والإسلامي، ويعد من أبرز المفكرين المعاصرين (١٩٣٧-)، صدر له قرابة العشرين كتابًا عن مصر وقضايا العالم الإسلامي.



وغالٍ، ليس فقط الدم الفلسطيني الذي تتغنىٰ به مقاطع الأغنية ذائعة الصيت، ولكن فلسطين كلها لها مكانتها الراسخة في قلب الأمة وضميرها.

ومن ثمّ فإن رسالتهم التي أرادوا أن ينبّهوا إليها الكافة هي أن جماهيرنا إذا كانت أُسكتت حينًا من الدهر، فإنها لم تنْسَ ولم تغفر.



تقديم

أ.د. عماد الدين خليل/ العراق[1]

ما شهدتْه وتشهده غزّة الفلسطينية حالة نادرة لم يكد التاريخ البشري يشهد لها مثيلًا من قبل.. إنها -بحق- ملحمة التاريخ كلّه.

ففيما وراء الديكورات المصطنعة للقيادة الإسرائيلية.. وفيما وراء انفعالات نتنياهو التي تعكس بوضوح حَيرةً وقلقًا وإحساسًا مريرًا بالمأزق الذي يتخبط فيه.. وفيما وراء الائتلاف الهش للقُوىٰ الإسرائيلية، يكمن التفكك والصراع والتحفّز للانقضاض، وتكمن الانتهازية الحزبية التي تعرف من أين تؤكل الكتف، ويكمن إحساس مرير باليأس والإحباط بعد إذ أخفقت المحاولة الأكثر قوةً ودَعمًا شعبيًا لليمين الإسرائيلي الذي حلم يومًا بوأْد الإرادة الفلسطينية وجعْل المقاومة حالة تاريخية عفا عليها الزمان.

إن البداية الحقيقية للرد ونقطة الانطلاق هي هذه: وقف تطبيع النظم العربية مع إسرائيل.. وملايين المسلمين يقرأون كل يوم فاتحة الكتاب التي تنتهي بإدانة الله سبحانه وتعالىٰ للمغضوب

---

(١) مؤرخ وأديب ومفكر، أستاذ التاريخ بعدة جامعات عربية، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، له العديد من المؤلفات في الفكر والأدب والتاريخ الإسلامي.

عليهم، فهل نخالف أمر الله بالرضا عنهم والتطبيع معهم وهم فوق ذلك مغتصبو الأرض، وقتلة الأنبياء، ومحرّفو الكلم عن مواضعه، ومخرجو الأهل من الديار، ومزيّفو التوراة، ومحترفو العصيان؟؟

إنه إبحار ضد الذات.. ضد أنبيائهم هم، وأهليهم هم، وكُتبهم هم.. ومع ذلك فإنهم يدّعون التشبث بدينهم اليهودي، ويستميتون من أجله، ويعتبرون دولتهم العبرية ضرورة دينيَّة وتاريخيَّة، ومرآة صادقة تعكس هذه الضرورة.

أيّ تناقض هذا بين الحقيقة والواقع.. بين الدين والتاريخ، عبر زاوية مقدارها مائة وثمانون درجة؟!

إنها لمفارقة محزنة أن نشهد عددًا من الدول المسيحية في أمريكا اللاتينية تطرد سفراء بني إسرائيل وتقطع علاقاتها مع دولتهم الفاجرة، بينما تظل الدول العربية متشبثة بالإبقاء علىٰ علاقتها مع قتلة إخوانها في غزة.. فماذا سيقول التاريخ عنهم؟ وبم سيبررون موقفهم هذا أمام الله ورسوله يوم الحساب العسير؟!

وعلىٰ مدار التاريخ، ما فُتحت الأبواب المؤصدة إلاّ بالأيدي المضرجّة بالدم، ولطالما سمعنا أن الحرية تُؤخذ ولا تُعطىٰ.. تُنتزع انتزاعًا ولا تُستجدىٰ..

والآن فإن الفلسطيني يطرق سمع العالم الأصم باليد الحمراء، ويجابه قوىٰ تفوقه بكثير.. الآن والأمة الإسلامية التي تكاد تغرق

حتىٰ شحمة أذنيها في دوّامات التكاثر بالأشياء، والبحث عن المزيد من ضمانات الأمن والاستقرار.. الآن ما من شيء يمكن أن يوقظها، يهز جملتها العصبية التي تراكم فوقها الغبار، غير الدم النازف في فلسطين، والشهداء المحمولين علىٰ الأكتاف.

صوت الآباء والأجداد الذين حرّروا الدنيا وأعادوا رسم خرائطها لصالح إنسانية الإنسان يعود لكي يرتفع حتىٰ يمزق طبلات الأذن المغطاة بالشمع قبالة كل صيغ البربرية اليهودية.. الكراهية السوداء للأمميين.. كل ما هو غير يهودي.. قبالة التلمود وهو يستبيح كل شيء، حتىٰ الشيوخ والعجائز والنساء والأطفال والمرضىٰ والمعوّقين، من أجل أن يسمَّن العجل الذهبي!

لقد أصبح الصراع واضحًا بيّنًا بين التلمود الذي يستهدف استعباد الإنسان، وبين القرآن الذي يسعىٰ إلىٰ تحريره.

وبداية الطريق الطويل كانت دائمًا فلسطين.. فيها تم إلغاء الاستيطان الصليبي في أعقاب حطين.. وفيها كُسرت اليد الضاربة للمغول في عين جالوت وقُتل قائد هولاكو: (كتبغا) وشُوهد هولاكو الطاغية يبكي لأوّل مرة. وفيها -أيضًا- سيكون وعد الله الحق يوم أن تعرف هذه الأمة كيف تأخذ بالأسباب.

إن بحوث هذا الكتاب الذي يجده القارئ بين يديه، والذي يدير كاميرته علىٰ المشهد من أطرافه كافة، إنما يعكس هذا كله،

ويعكس معه الرؤية الحقيقية لا المُزيّفة لما تشهده الساحة الفلسطينية والعربية والإسلامية والعالمية علىٰ السواء.. قد تنطوي هذه الرؤية علىٰ شبكة من البقع المعتمة السوداء، ولكنها تنطوي في الوقت ذاته علىٰ المساحات البيضاء التي تَعِد فيه بيوم سوف يُقدَّر فيه للأمة الإسلامية أن تستيقظ من سباتها العميق، وأن تُنزل فأسَها علىٰ رؤوس بني صهيون قتلة الأنبياء ومغتصبو الأرض، وتستأصلهم من الوجود ... وإن الذي يقول هذا ويؤكّده ليست هذه الفئة من الناس أو تلك ولكنه الله جلّ في علاه ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[الإسراء: ٧].

إنه وعد الله سبحانه وتعالىٰ.. ولن نكون مسلمين؛ إنْ علىٰ مستوىٰ التصديق بالوعد، أو في سياق وظيفتنا الكبرىٰ في هذا العالم، إن شككنا لحظةً واحدةً بصدق الوعد.

لقد أراد اليهود بنا مكرًا إذ تجمّعوا من كل مكان لكي يرموننا عن يد واحدة ويغتصبوا فلسطين ويقيموا دولتهم علىٰ أرض ليست لهم.. ولكن مكر الله سبحانه وتعالىٰ أكثر إحاطةً وأشد تدبيرًا.. لقد ساق يهودَ الشتات من كل فجاج الأرض إلىٰ المصيدة الكبرىٰ التي تداعُوا إليها بانتظار يوم الفصل الذي سيصيرون فيه هَدفًا للأمة المسلمة التي ساموها سوء العذاب، فاغتصبوا ديارها

ودمَّروا منظومتها الخلقية وشوَّهوا تاريخها، ووقفوا وراء خصومها، وأشعلوا نارَ الفتن والحروب في أنحائها، وبنوا بينها وبين شعوب العالم سدودًا من الكراهية والبغضاء، واستخدموا كل أسلوب فاجر لتدمير قدرتها علىٰ المقاومة والبقاء..

ها هم الآن في المصيدة الكبرىٰ، بانتظار العقاب الأخير الذي كتبه الله سبحانه وتعالىٰ منذ الأزل علىٰ بني إسرائيل مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[الإسراء: ١٠٤].

ولن يكون ذلك –مرةً أخرىٰ– علىٰ يد أمة لا تحسن الأخذ بالأسباب، ولا تدرك أولويات التعامل مع الجغرافيا والتاريخ.. بل لا تفقه –ابتداءً– مغزىٰ الخطاب القرآني الذي أراد أن يضعنا في قلب التاريخ وقمة العالم ولكننا اخترنا أن ننفي أنفسنا فنغادر التاريخ ونخرج من العالم.

ويكفي أن نتذكر بأن ثلاثة من أسماء السور القرآنية تحمل مفاتيح هذا الخطاب الكبير: (الشورىٰ) و (القلم) و (الحديد)، أي: الحرية والمعرفة والقوة.

ويوم أن تتحقق هذه الأمة بهذه المطالب الثلاثة.. يوم تصير الحرية والمعرفة والقوة خبزها اليومي وتقليدها الأصيل الذي تعرف كيف تحميه من الانتقاص أو الاغتيال.. حينذاك يمكن أن يحين (الوعد الحق) ولن يخلف الله وعده ...

وعلىٰ كل ما تعانيه غزّة اليوم من إبادة جماعية، ومذبحة للأطفال والنساء والشيوخ، وتهجير قسري للفلسطينيين ينذر بالويل، فإنَّ مفاتيح الخلاص التي تَعِد بفتح الأبواب لمستقبل وضيء لا تزال بأيدي أبناء هذه الأمة شرط أن تُحسن التعامل معها وتعرف كيف توظّفها لإحباط المشروع الصهيوني المترَع بالوحشية والقذارة : التشبث بالأرض وعدم الاستجابة لإغواء التهجير.. وقف التطبيع وإلغاء السفارات الإسرائيلية في العديد من البلدان العربية.. توظيف النفط الذي تمتلك الأمة الإسلامية ما يقرب من نصف ما تحويه الكرة الأرضية، والمقاطعة الصارمة للبضائع الأمريكية ولكل الدول الغربية التي اختارت أن تكون ذيولًا لها.. وتدمير مصالحها حيثما وُجدت.. وحينذاك ستجد هذه الدول نفسها مرغمةً علىٰ تعديل موقفها الجائر من القضية، والخروج من دائرة الأعمال القذرة والإبادة الجماعية التي تولّت أمريكا كبرها منذ ضرب هيروشيما وناغازاكي بقنبلتيها الذريتين.. إلىٰ إبادة مليوني فيتنامي.. إلىٰ مذبحتها في أفغانستان والعراق إلىٰ سلسلة انقلاباتها العسكرية في الساحتين الإفريقية واللاتينية.. وصولًا إلىٰ إسنادها اللاأخلاقي واللاإنساني لإسرائيل في ممارسةِ واحدةٍ من أشدّ المذابح البشرية في التاريخ قسوةً وهولًا..

ولا حول ولا قوّة إلّا بالله..

المقدّمة

القلم سلاح، والكتابة معركة؛ سلاح يخدم المجتمع والوطن والدين، ومعركة تنتصر للحقّ علىٰ الباطل وللخير علىٰ الشرّ وللجمال علىٰ القبح..

قد لا نعثر للكتابة علىٰ ميثاق شرف مكتوب، ولا علىٰ قسَمٍ يُقسم عليه الكُتّاب كقسَم أبقراط، ومع هذا فإنّ ميثاقَها وقسَمها أغلظ من أن يُكتب وأعزّ من أن يُدوَّن، ويبقىٰ التاريخ خير شاهد علىٰ مَن أدّىٰ أمانة الكلمة وصان شرفها، ومَن خانها وبثمَن بخْس خذلها.

ومن منطلَق تلك الأمانة وهذا الشرف، كان لا بدّ للقلم الحُرّ أن ينتفض إزاء أعدل وأشرف قضية، وهي قضيتنا الفلسطينية التي طال أمدها حتىٰ بُحّ صوتُها وغار إلىٰ العظْم جرحها ولا مجيب! وينبع عدلها وشرفها، من أنها ذات بعد إنساني وبعد عربي وبعد إسلامي، ومن أنها تجابه أشرس وأخسّ احتلال عرفه التاريخ القديم والحديث؛ إذ لم يكتفِ كغيره من احتلالٍ ذقْنا مرارته ووصلَنا خبرْه في الهند وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حين نهب الثروات ودجّن الشعوب، بل عمَد هذا الخسيس إلىٰ محْو التاريخ واللهْو بالجغرافيا، فاستوْطن الأرض وطرد الشعب تحت زعمٍ



كاذِبٍ كَذُوب يقول: «أرض بل شعب لشعب بلا أرض»!

ثمّ زاد في سُعاره تلك الأيام عقب فجيعته المباغتة علىٰ أيدي مغاوير (طوفان الأقصىٰ) في سبت السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، فراح كالثور الأعمىٰ الهائج يقتل البشر ويهدم الحجر ويحرق الشجر، متّكئًا علىٰ جيشٍ مدجّجٍ بأخلاق عصابات الإرجون والهاجانا وشتيرن، وآلة عسكرية برية وبحرية وجوية متطوّرة، ودعم مادي ومعنوي غربي لا محدود، حتىٰ بدا وكأن لديه تفويضًا عامًا باستئصال الحياة من هذا الجزء العزيز علينا وهو غزّة المباركة، ولكن هيهات أن يغلب عجزُ القويّ إرادة الضعيف، وهيهات أن تموت حقيقةٌ قضىٰ أصحابُها، والأمم وإن احتُلّت أرضُها ستظلّ بخير مادامت هامتها عالية وإرادتها لم تُحتلّ.

من هنا نبتَت فكرة الكتاب وتبلْورت؛ بغْية وضع قضيتنا فوق الطاولة وفي عين الشمس، بعد أن جرىٰ تهميشها علىٰ الرفّ، وتبريدها داخل ثلاجة السياسة الدولية. وبهدف خلْق وعي جمْعي يليق بعمْق وحجم القضية، وتعميق فهم هذا «الكيان السرطاني الاستيطاني» حتىٰ تتحسّن كفاءتنا في مواجهته ودحره.

ثمّ -وهو الأهمّ- الإعذار إلىٰ الله أمام كمٍّ وكيفٍ هائل من تضحيات غير مسبوقة نراها بأمّ أعيننا من رجالٍ ونساءٍ وأطفالٍ

غزّة، وكأنهم النسخة الأحدث من أصحاب الأخدود في النار ذات الوقود. بمعنىٰ أنّنا هنا لا نكتب لننوح ولكن لنستوعب، ولا نكتب لنُنظِّر ولكن لنعمل.

وكما توقّعْنا، كان حجم الاستجابة من الكُتّاب علىٰ امتداد الوطن العربي لافتًا للنظر، إذ شمّر نحو أربعين منهم عن ساعد الفكر، وجابوا بأقلامهم محاور القضية من مبتداها إلىٰ منتهاها، وساقوا أجوبة شافية لأسئلة معقَّدة، كلٌّ حسب رؤيته ومنظوره، وما كان لنا -هيئة التحرير- سوىٰ أن نثبت ما دوّنوا، دون حذف أو إضافة، مع ترتيب المشاركين حسب الحروف الأبجدية، والاستغناء عن الألقاب، عملًا بقول شكيب أرسلان: «الشاعر لقبه شِعره، والكاتب سمْته بيانه، والإنسان حلْيته عمله».

كما أننا ننبه علىٰ أن هذه المقالات كُتبت تباعًا منذ اندلاع معركة طوفان الأقصىٰ، فمنها ما كُتب في بداية الأحداث ومنها ما كُتب آخرها، فعليه قد يطرأ تغيير في الأرقام والقرارات والمآلات في بعضها، فلينتبه القارئ لذلك.

ومعلوم أنّ يد الله مع الجماعة، وأنّ الأقوال حين تتفرّق كالمطر يخفّ وقْعها ويخفت صوتها، بينما اجتماعها بين دفّتي كتاب يشدّ عضدها ويجعل صورتها أقوىٰ في النفْس وأعمق في



الأثَر وأخلد في الزمن.

وعسانا بهذه الإطلالة، نكون قد قدّمنا شيئًا يُبيّض وجوهَنا أمام الله أوّلًا، وأمام أمانة الكِتابة ثانيًا، وأمام أهلينا في فلسطين ثالثًا، وهو جهد المقِلّ ولا شك، وبضاعة مزجاة ولا ريب، وذلك بالنظر إلىٰ ما يُراق من دماء ذاكية وما يُزهق من أرواح وضيئة وما تبتلعه الأرض من أكفان الساعة تلو الأخرىٰ..

ويبقىٰ الدعاء حاضرًا ولازمًا في حقّ الجميع، كُتّابًا كانوا أو قرّاء، بأن يرحم الله الشهداء ويداوي الجرحىٰ ويُتمّ النصر ويعزّ الحقّ ويبسط العدل، إنه سبحانه قويّ عزيز، وعلىٰ ما يشاء قدير.

هيئة التحرير

منير لطفي
حاتم سلامة
أحمد المنزلاوي
نوفمبر ٢٠٢٣

« فلسطين نقطة التّماس بين تمام الحقّ وتمام الباطل ».

د. فتحي الشقاقي



« قُل لي ما موقفك من القضية الفلسطينية، أقل لك ما موقعك من الانتماء الوطني، بل والعربي والإسلامي ».

أ. فهمي هويدي



« إذا كانت النازية قد حوّلت اليهود إلى مادة استعمالية، فإنّ الصهاينة قد فعلوا ذلك مع الفلسطينيين. وإذا كان النازيون قد فرضوا رؤيتهم على الواقع بقوّة السلاح، فإنّ الصهاينة لم يتوانوا عن استخدام نفس المنهج ».

د. عبد الوهاب المسيري



العنصرية الصهيونية

أحمد الحاج/ العراق[١]

من الأمثال الهندية قولهم: «جيفة واحدة تكفي لجميع الغربان»، وبما أن «الطيور علىٰ أشكالها تقع» علىٰ قول العرب فقد تماهت وتعاضدت جلّ غربان الغرب مع بعضها لتحظىٰ بنصيبها من جيفة الحرب الصهيونية الآثمة، بعضهم للحصول علىٰ مكاسب جيو-سياسية، وبعضهم الآخر لإثبات فاشيته وصهيونيته أو لاستعراض عضلاته واختبار أسلحته، فمع ارتفاع أعداد الشهداء والجرحىٰ ومعظمهم من النساء والأطفال وكبار السن من جراء القصف الصهيوني الهمجي الذي طال الشجر والبشر والحجر بكل أنواع الأسلحة المحرمة دوليا علىٰ قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر **2023**، وإذا بثلاثة مسؤولين أميركان من ذوي البشرة السمراء يتحيزون وبشكل مريب لكل جرائم الكيان العنصري، وربما يؤيدونها ويباركونها ويحرضون عليها كذلك، أولهم سفيرة الولايات المتحدة لدىٰ الأمم المتحدة ليندا توماس غرينفيلد، وثانيهم وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن، وثالثهم

(١) كاتب وصحفي.

المتحدثة باسم البيت البيض كارين جان بيير، الحقيقة أنه وبقدر ما أصابني هذا الانحياز العجيب للإبادة العرقية، والتعصب الأعمىٰ للجرائم العنصرية التي يرتكبها الكيان في قطاع غزة من إحباط وخيبة أمل، بقدر ما ألقىٰ في روعي ضرورة تذكير هؤلاء الثلاثة بتاريخ أمريكا والكيان الصهيوني مع التمييز العنصري الذي استعبد أجدادهم، واحتقر لونهم، وكره أصلهم، واضطهد جنسهم، وأباد عرقهم، لتطابق الفكرين، وتشابه الواقعين، عسىٰ ولعل أحدهم يرعوي، أو يقف مع نفسه وقفة جادة يعيد من خلالها حساباته فيخفف من حدة تحيزه لصالح الكيان، وأسألهم «ماذا تعرفون عن العنصرية التي تجتاح المجتمعين الأمريكي والصهيوني ومعاناة كل الأعراق والأقليات داخلهما»؟، وحسبي أن أذكرهم بما تفوه به الحاخام الأكبر للطائفة السفاردية إسحاق يوسف، عام **2018**م حين وصف ذوي البشرة السوداء في العالم أجمع بأنهم «قرود ومخلوقات غريبة توحي بالتنافر الجمالي» علىٰ حد وصفه، ليدافع مكتبه عنه بالقول: «إنها مقارنة مقتبسة من التلمود».

وأقول لعبيد البيت الأبيض –ما سبق أن قاله مالكوم أكس بحق عبيد المنازل والقصور من أمثالهم–: «عندما يشعر السيد

الأبيض بالمرض فإن عبد المنزل يشعر بالمرض أيضًا، بينما يدعو عبد الحقل بأن يموت سيده في مرضه» فبهذه العبارات لخص المناضل الأمريكي من أصول أفريقية مالكوم اكس، المشهد برمته وذلك في خطبته الشهيرة في كانون الأول **1963** بمدينة ديترويت وقد دفع مالكوم أكس أو (مالك شهباز) حياته ثمنًا لمناهضة التمييز العنصري حين اغتيل في نيويورك بـ ١٦ رصاصة أثناء كلمة له عام **1965**، ولولا نضال هذا الرجل الأمريكي المسلم المتعاطف مع القضية الفلسطينية من أصول أفريقية لما احترمكم اليمينيون والمتعصبون البيض وجلهم من الصهاينة إن لم يكن اعتقادًا وانتسابًا، فتأييدًا وتعاطفًا تمهيدًا لمعركة هرمجدون المستقبلية التي يؤمنون بها، والأغرب أنكم تتفانون بخدمتهم ومدحهم والثناء عليهم يا كل من أوستن وليندا وكارين**!**

ولا أذيع لكم سرًّا بأن مالكوم أكس، هو ذاته القائل وبما ينطبق عليكم جميعًا: «إذا لم تكن حذرًا، فستجعلك الصحف تكره المظلومين وتحب الظالمين، وأن علىٰ المرء أن يحدث بعض الضجيج حتىٰ يحصل علىٰ ما يريد»، ولعل هذا الضجيج هو عين ما فعله ويفعله الفلسطينيون للحصول علىٰ بعض حقوقهم المغتصبة علىٰ مدار ٧٥ عامًا، واستعادة جزء من

أراضيهم السلبية حتىٰ رضي بعضهم مرغما بـ«حل الدولتين» الوهمي، وبـ«العودة إلىٰ أراضي ٦٧» بعد أن كان الشعار «من النهر إلىٰ البحر» للوقوف بوجه شعار «من النيل إلىٰ الفرات»، فيما تواصلون أنتم وأمثالكم مسلسل الكذب العلني متأثرين بالإعلام الأمريكي الزائف الذي يسيطر عليه الصهاينة وذيولهم!

كذلك انتهىٰ المطاف بالمناضل المعمداني الأسود مارتن لوثر كينغ، الذي اغتيل بدوره عام **1968**، علىٰ شرفته وكان من أشد مناهضي التمييز العنصري في أميركا والعالم، وهو القائل: «إن الفصل العنصري جريمة زنا محرمة بين الظلم والخلود، ولن يستطِيع أحد ركوب ظهرك إلا إذا كُنت مُنحنيًا»، ولاشك أن الفلسطينيين يرفضون «الأبارتايد» وجدران العزل والفصل العنصري التي يقيمها الصهاينة في كل مكان لحجز أصحاب الأرض مِن السكان الأصليين داخل المخيمات والعشوائيات والقطاعات المكتظة بعد نهب أراضيهم، وحرق بساتينهم، وتجريف مزارعهم، واعتقال أبنائهم، وقتل شبابهم، لأن الفلسطينيين يرفضون الانحاء كي لا يركب الصهاينة ظهورهم، فلا تكونوا للصهاينة داعمين، يا كل من أوستن وليندا وكارين، وعلىٰ خطىٰ من سبقه سار تلميذهم النجيب بطل العالم في الملاكمة

المسلم محمد علي كلاي، الذي سجن وحورب من جراء رفضه للعنصرية ولسياسة بلاده الإمبريالية وهو القائل يوم رفض الالتحاق بالخدمة العسكرية للقتال في فيتنام: «لن أحارب الفيتناميين فهم لم يلقبونني بالزنجي».

وغني عن البيان بأن زنوج أمريكا لم ينالوا حريتهم وحقوقهم عقب تحريرهم، فبعد إلغاء الرق والعبودية بدأ استرقاق من نوع جديد، ففي أواخر العام **1865** سنت أولىٰ قوانين السود المجحفة لتأتي بعدها قوانين «جيم كرو» المستلهمة من أغنية «جمب جيم كرو» التي غناها العنصري الأبيض توماس د. رايس عام **1832**، ولتفرض قوانين تمييز جديدة تضمنت فصلًا عنصريًّا مقيتًا وما زال قائمًا -وإن كان بدرجة أقل- ليطفو علىٰ السطح ويعود إلىٰ الواجهة مع كل حادثة قتل وعملية احتجاز أو اعتقال تعسفي تطال زنجيًّا كما حدث مع جورج فلويد، الذي ختم حياته بعبارته الأشهر: «لا أستطيع التنفس»، وتأسيسًا علىٰ ذلك فلا أقل من أن تنتقدوا وتناهضوا العنصرية المقيتة والإبادة العرقية التي يمارسها الكيان الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني وهو صاحب الأرض قبل أن يحاصرهم ويطردهم الصهاينة ممن قدموا إلىٰ فلسطين من أصقاع المعمورة تمامًا كما جاء أجداد الكاوبوي

الأمريكي من البيض الذين استعبدوا أجدادكم وأتوا بهم مقيدين بالسلاسل من مجاهل أفريقيا ليعملوا في خدمة رعاة البقر الذين قدموا من أوروبا، وليحتلوا الأرض الجديدة و يبيدوا سكانها الأصليين فيما تقفون أنتم الثلاثة مهللين للقمع والتمييز العنصري والإبادة العرقية الجماعية بحق الشعب الفلسطيني ذاهلين عن أجدادكم الذين عانوا من تلكم العنصرية القمِئة حتىٰ منتصف السبعينات من القرن الماضي**!**

أما عن التمييز العنصري علىٰ أساس اللون والعرق والدين داخل كيان الاحتلال الذي تناصرونه وتدافعون عنه يا كل من أوستن وليندا وكارين، فدعوني أطلعكم علىٰ جانب منه، فاليهود من الفلاشا يعانون من الاضطهاد منذ نقلهم بعملية سرية عرفت أولاها بـ (عملية موسىٰ) بين عامي **1979** و**1990**، أعقبها (عملية سليمان) بين عامي **1990** و**1991** وفقًا لملفات الموساد، أما عن نسبة البطالة بينهم فتقارب الـ ٦٥٪ بحسب دراسة إسرائيلية صادرة عام **2005**، كذلك التمييز ضد العرب من المسلمين والمسيحيين، وقد أظهر استطلاع معهد (ديالوغ) الإسرائيلي أن ٤٧٪ من الإسرائيليين يؤيدون طرد الفلسطينيين بحسب صحيفة هأرتس الإسرائيلية، لأن الأفضلية داخل الكيان المسخ وفي كل شيء

مكرسة لليهود الأوروبيين (الأشكناز) الذين قدموا من شرق أوروبا فقط لاغير، وأزيدكم من الشعر بيتًا -يا كل من أوستن وليندا وكارين- بأن التمييز يشمل أيضًا اليهود المزراحيين، وهم يهود الشرق، وهؤلاء لم يكن متاحًا أمامهم حتىٰ اختيار مقصدهم قبل وصولهم الىٰ الكيان، وفقًا لخبير الشئون اليهودية (حاييم جيوزلي).

كل ذلك بخلاف الشعب الفلسطيني الصامد الصابر المحتسب في أرضه والذي لم يكن يومًا عنصريًّا لأن النبي الأكرم ﷺ قد نهانا كليًّا عن التمييز العنصري وحسم ذلك بقوله الشريف: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ»، وهذا ما تربىٰ عليه الفلسطينيون في كنف أُسرهم وبين جدران مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم ومساجدهم ومجتمعهم منذ الصغر، بينما تزخر مكتباتهم الورقية والإلكترونية هناك بكتاب الجاحظ –وهو أسود اللون– بعنوان: «فضل السودان علىٰ البيضان»، وكتاب ابن الجوزي «تنوير الغبش في فضل السودان والحبش»، وكتاب الإمام السيوطي «رفع شأن الحبشان»، وكتاب البخاري المدني «الطراز المنفوش في محاسن الحبوش».. كتب بمجملها وغيرها الكثير إنما تفصل لهم كل

شيء عن أشهر وأشعر وأنبل وأتقىٰ وأزهد -السود- في التأريخ وفي مقدمتهم، لقمان الحكيم، ومؤذن الإسلام الأول بلال الحبشي، فضلًا عن ملك الحبشة النجاشي، وكلهم محط احترام وتقدير وأشهر من نار علىٰ علم.

ولا يفوتنا التذكير بأن حقد الصهاينة علىٰ العرقين الأسود والأسمر مبني علىٰ أكذوبة اخترعها حاخامات صهيون حاولت تشويه سيرة سيدنا النبي نوح عليه السلام وهذا هو ديدن الحاخامات ممن يشوهون سيرة الرسل والأنبياء ليسوغوا ما يقترفونه هم شخصيا من قبائح ورذائل ليحققوا من خلالها غرضًا مستقبليًا في أنفسهم خلاصته أن «المصريين والسودانيين والشاميين» كلهم عبيد لسام وأولاده، ومعلوم أن اليهود ينتسبون إلىٰ سام فيسمون أنفسهم بالساميين وكل من يعاديهم يطلقون عليه اسم (عدو السامية) وهي تهمة تكفي لجرجرته في المحاكم أوروبيًّا وأميركيًّا مهما علا شأنه !





حلّ الدولتين؟!

أحمد الشريف/ مصر[1]

في نهاية سنة ١٩٩٤م، وقف العالم يشاهد حفل توزيع جوائز «نوبل» في العاصمة السويدية «ستوكهولم»، حيث كان الزعيم الفلسطيني «ياسر عرفات» أعلىٰ منصة التكريم يحتضن رئيس الوزراء الإسرائيلي « «إسحاق رابين» ووزير خارجيته «شمعون بيريز»، وهم يتقاسمون جائزة «السلام» لذلك العام، بمناسبة التوقيع علىٰ إتفاقية «أوسلو» بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. وبعد سبع سنين فقط، رأىٰ العالم مشهدًا مغايرًا يقف فيه «ياسر عرفات» مُحَاصَرًا في «رام الله» لا يخرج منها أو يدخل عليه أحد فيها، إلا تحت إشراف القوات الصُّهيونية بقيادة «أرييل شارون» الذي اعتبر «عرفات» عدوًا لدولة إسرائيل.

والبون الشاسع بين المشهدين لا يمكن تفسيره إلا بوضعه داخل إطار السلام علىٰ الطريقة الإسرائيلية الذي دائمًا ما يُسفر عن علوِّ اليهود وخروجهم رابحين، وتردي العرب في بئر الخيانة والخسارة منبوذين.

---

(١) كاتب وباحث.

ولقد كان اتفاق «أوسلو» كارثة بكل ما تعني الكلمة، حيث اعترف الفلسطينيون في «أوسلو» بشرعية إسرائيل لأول مرة، آملين من ذلك السماح لهم بإقامة دولة فلسطينية مستقلة علىٰ حدود ٤ يونيو ١٩٦٧م.

ويمكن تلخيص اتفاق أوسلو بما يلي: بقاء الاحتلال والسيادة الإسرائيلية بصورة شرعية علىٰ كامل «فلسطين» بما في ذلك قطاع غزة والضفة، مع إقامة نوع من الحكم الذاتي ينسحب الجيش الإسرائيلي بموجبه من المناطق الآهلة بالسكان، وتسليم الأمن فيها للشرطة الفلسطينية، مما يعفي الاحتلال من مغارم الانتفاضة والاصطدام المباشر بالمقاومة مع بقائه مسيطرًا علىٰ الوضع في العموم، وممسكًا بكل النقاط الاستراتيجية علىٰ كل الحدود والطرق الواصلة بين المدن والقرىٰ، فضلًا عن احتفاظ جيش الاحتلال بحق العودة مرة أخرىٰ لأي منطقة تحت الحكم الذاتي، تفشل السلطة الفلسطينية في السيطرة الأمنية عليها وقمع المقاومة بها، للمحافظة علىٰ أمن إسرائيل وسلامة مواطنيها.

كما شمل الاتفاق نقل أعباء الإنفاق علىٰ شؤون التعليم والصحة والبلديات إلىٰ إدارة الحكم الذاتي ومن ثَمّ التخلص من الجانب السلبي لأي احتلال، فتمتع الاحتلال بالسيطرة العسكرية



والإشراف العام علىٰ الوضع كله، بينما يتولىٰ المقهورون شؤون المحافظة علىٰ الأمن، والإنفاق علىٰ الخدمات واستجلاب الأموال والتبرعات التي يأخذ منها الاحتلال نصيب الأسد...

وبعد تجربة مريرة ومهينة بذلت فيها السلطة قصارىٰ جهدها في التنسيق الأمني مع العدوّ من أجل ضرب المقاومة واعتقال أفرادها، ولم تجنِ فيها سوىٰ مغارم الوصم بالعار والخيانة دون أي بادرة لانفراجة في إنشاء دولة ولو منقوصة السيادة.

مما جلب شعورًا عامًّا بالإحباط والغضب فجره تدنيس الجنرال «شارون» للمسجد الأقصىٰ وتجوله في ساحاته قائلًا: «إن الحرم القدسي سيبقىٰ منطقة إسرائيلية». فلما اعترضه المصلون اندلعت المواجهات مع جنود الاحتلال في ساحات الأقصىٰ وسقط الشهداء والجرحىٰ، لتشعل دماؤهم أعمال الانتفاضة الثانية التي استمرت لخمس سنوات بدءًا من ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م إلىٰ ٨ فبراير ٢٠٠٥م.

ومنذ هذه الأيام وحتىٰ الآن لَم يَفتَأِ العرب يجرون وراء سراب إنشاء الدولة الفلسطينية علىٰ حدود ما قبل النكسة، وهذا السراب هو ما يجب مناقشته جيدًا لأنه صلب المشكلة وجوهرها،

ولكن قبل الحديث عنه لا بد من إدراك بعض الحقائق عن تأسيس الكيان الإسرائيلي علىٰ أرض فلسطين.

ففي ٢٩ نوفمبر من العام ١٩٤٧م، أصدرت الأمم المتحدة قرارًا بتقسيم الأراضي الفلسطينية البالغ مساحتها ٢٧ ألف كم^{2}، بين مليون وأربعمائة ألف فلسطيني يملكون ٩٣,٥ بالمائة من كامل الأرض وبين اليهود الدخلاء الطارئين الذين بلغ تعدادهم بعد الهجرات الواسعة علىٰ مدار أكثر من نصف قرن، ٦٠٠ ألف يهودي لا يملكون سوىٰ ٦,٥ بالمائة فقط من الأراضي الفلسطينية وقتئذ.

ورغم التفاوت الرهيب في ملكية الأراضي وعدد السكان وحقائق التاريخ، إلّا أن قرار التقسيم مَنحَ اليهود حوالي ١٥ ألف كم^{2} تمثل ٥٥,٥٪ من إجمالي فلسطين في حين أعطىٰ أصحاب الأرض ١٢ ألف كم^{2} أي ما يعادل ٤٥٪ منها، مع إبقاء «القدس» التي تمثل نصف بالمائة من إجمالي المساحة تحت الوصاية الدولية.

ونتيجة لهذه الحسبة الجائرة رفض العرب القرار، وحشدوا الجيوش لخوض الحرب فور انتهاء الانتداب البريطاني علىٰ فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨م. ومن المشين هنا معرفة أن كتائب



العصابات الصهيونية تفوقت في العدد بأكثر من ضعف مجموع القوات العربية النظامية المقاتلة في فلسطين.

ومن ثَمّ كانت النتيجة الكارثية بعد انتهاء القتال هي سيطرة اليهود علىٰ ٧٧ بالمائة من إجمالي مساحة فلسطين، في حين تبقىٰ ٢٣٪ فقط (٦٠٠٠ كم٢) تمثل الضفة والقدس الشرقية وقطاع غزة في يد العرب (الأردن ومصر)، ووجد الفلسطينيون أنفسهم تحت حكم أنظمة مختلفة وغريبة عنهم، مسلوبين حجمًا كبيرًا من ممتلكاتهم وفاقدين السيطرة علىٰ جوانب حياتهم.

وإذا كانت نكبة ١٩٤٨م، قد أقامت دولة إسرائيل فإن نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧م هي التي صنعت إمبراطوريتها، ومن المفارقات المؤسفة أن «جمال عبد الناصر» الذي كان قد شن حملة ضارية سنة ١٩٦٥م، علىٰ الرئيس التونسي «الحبيب بورقيبة» لأنه اقترح إنهاء حالة الحرب والاعتراف بإسرائيل مقابل تنازلها عن بعض الأراضي والرجوع لقرار التقسيم، اضطر إلىٰ القبول بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، وقلّص طموحات الأمة واختزل آمالها في حل إقامة الدولتين طبقًا لحدود الرابع من يونيو ١٩٦٧م.

وأنا هنا لن أناقش مسألة حل الدولتين وإقامة الدولة الفلسطينية علىٰ خُمس أراضيها المحتلة أو ما قبل حدود النكسة، ولكني سوف

أتعرض لفكرة إنشائها طبقًا للحالة الأفضل، أي علىٰ نسبة الـ٤٥٪ المُقررة في قرار التقسيم قبل حدود النكبة، ولكن يجب أولًا معرفة أنه فيما يتعلق بالأراضي التي خُصصت لإسرائيل طبقًا لقرار التقسيم لم تكن مسألة مساحة كمّيّة فقط، بل هي كيفية بامتياز، حيث خُصص لها أفضل الأراضي وأكثرها إنتاجية، فمُنحت معظم السهول الساحلية الخصبة مِن يافا إلىٰ حيفا، وجميع السهول الداخلية من حيفا إلىٰ بيسان وطبرية، ومن ضمنها جميع المناطق المنتجة للحبوب والحمضيات، والتي كان غالبيتها العظمىٰ ملكًا لمُلَّاكين فلسطينيين. حيث كانت الحمضيات الغلّة الرئيسية في صادرات البلد، وبلغت قبيل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ –١٩٤٥م)، أكثر من ٨٠ بالمائة من إجمالي قيمة الصادرات.

وأما الحبوب، فقد كانت فلسطين وقتئذ تزرع نصف حاجاتها تقريبًا من القمح وتستورد الباقي.. وهكذا فإن استبعاد جميع المناطق المنتجة لهذين المحصولين الرئيسيين من الأراضي المخصصة للدولة الفلسطينية المقترحة، المعتمدة أساسًا علىٰ الزراعة، كان في حد ذاته بمثابة الإجهاض المبكر لها.

وكأن هذا لم يكن كافيًا، فنجد أيضًا أن الجزء الأكبر من الموارد التي كانت تزود فلسطين بالطاقة الكهربائية واقعة ضمن



الدولة اليهودية المقترحة، فضلًا عن المساحات الكبيرة للمناطق المحيطة بمدنها من أجل النمو الطبيعي والتوسع وهو ما ظهر جليًّا في حالة مدينة حيفا ميناء فلسطين الرئيسي والمحطة الأخيرة لأنبوب النفط الممتد من العراق، والتي مُنحت بكامل امتدادها الزراعي والصناعي للدولة اليهودية.

في حين لم يكن الأمر علىٰ هذا النحو بالنسبة إلىٰ القرىٰ والمدن الفلسطينية، مثل مدينة يافا التي تُعتبر الميناء التاريخي ومركز الحياة الثقافية والتجارية الزاخرة بالأغلبية الفلسطينية، حيث تم حصرها ضمن حدودها البلدية، من دون أي متنفس للنمو والتطور، وفُصلت كذلك عن بساتين البرتقال التي تحمل اسمها والمصدر الرئيسي لمعيشتها الاقتصادية.

وتم الإبقاء علىٰ مدن عربية رئيسية أُخرىٰ كثيرة في الدولة الفلسطينية مثل طولكرم وقلقيلية واللد والرملة وغزة وبئر سبع، داخل حدودها فحسب، من دون أراضيها الزراعية الخصبة جدًا وامتدادها الريفي والاقتصادي. كما أُعطيت إسرائيل الأراضي المرتفعة التي ينحدر منها نهر الأردن، وبالتالي السيطرة علىٰ المصدر النهري الرئيسي للفلسطينيين، وأُدخلت كذلك بحيرة طبرية بأكملها وثروتها السمكية، فضلًا عن إلحاق مطار اللد –وكان

وقتها المنفذ الوحيد للاتصال بالعالم الخارجي- ضمن حدود الدولة اليهودية.

بناءً عليه كانت الدولة الفلسطينية المقترحة دولة حبيسة تحمل في داخلها بذور ضعفها، وهو ما وعته المُقاومة الإسلامية جيدًا، فصارت القضية بالنسبة لها مسألة عقيدة ووجود لا مسألة سياسة وحدود، وإن الصراع ممتد لا يقبل القسمة علىٰ اثنين بأي حال من الأحوال. وهو ما تؤكده المبادئ الاستراتيجية المُعلنة لقادة الدولة الصهيونية، حتىٰ قبل قيامها، ومنها قول «يوسف فايتس» مدير إدارة الأراضي في الصندوق القومي اليهودي سنة ١٩٤٠م: «ينبغي أن يكون واضحًا بالنسبة لنا أنه لا مكان لشعبين في هذا البلد. فإن غادره العرب فسوف يكون كافيًا لنا.. وليست هناك وسيلة غير ترحيلهم جميعًا. ويجب أن نوضح للرئيس الأمريكي «روزفلت» ولقادة الدول الصديقة بأن أرض إسرائيل لن تكون صغيرة إذا ما غادرها العرب جميعًا، وإذا ما اتسعت حدودها إلىٰ الشمال علىٰ طول نهر الليطاني، وإلىٰ الشرق باتجاه مرتفعات الجولان».

فهذا دستور الدولة الصهيونية، وما يكرره زعماؤها في كل مناسبة، ورأينا «مناحم بيجن» يقول: «سوف تعود أرض إسرائيل الكبرىٰ إلىٰ شعب إسرائيل، كاملة وإلىٰ الأبد»، امتثالًا للنص



التوراتي: «سأعطي نسلك هذه الأرض من وادي العريش إلىٰ النهر الكبير، نهر الفرات».

وكذلك تصريح «موشىٰ ديان»: «إذا كنا نمتلك التّوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة. أراضي عهد الكهنة القضاة والآباء، أراضي أورشليم وحبرون (القدس والخليل) وأريحا، والأراضي الأخرىٰ».

وهي النصوص التي صارت أهم الركائز الأساسية لفكر الجماعات الصهيونية المتطرفة، وأشهرها جماعة إيال أو «محاربو إسرائيل» الذين أقسموا عند ضريح «تيودور هرتزل» بأن يعدموا أي شخص يتنازل للعرب عن الأرض الموعودة في يهودا والسامرة (الضفة الغربية).. ولذلك قام «إيجال عامير» في ٤ نوفمبر ١٩٩٥م، باغتيال رئيس الوزراء «إسحاق رابين» بسبب توقيعه علىٰ اتفاقية أوسلو. وراح المستوطنون في «الخليل» يرقصون فرحًا بذلك وهم يرددون مزامير داود حول نُصب أقاموه تخليدًا لذكرىٰ «باروخ جولدشتاين» سفاح مجزرة الحرم الإبراهيمي.

في الأخير نؤكد علىٰ أن «رابين» لم يبغِ مصلحة العرب، ولكن كل ما في الأمر أن سياسته مثّلت استراتيجية مغايرة لتحقيق مصلحة إسرائيل، فقد أعطت الاتفاقية أجزاءً من الضفة غير مترابطة يحكمها الفلسطينيون تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة علىٰ المنافذ والمعابر مع حماية جيش الاحتلال لكافة المستوطنات الصهيونية في الضفة والقطاع، وذلك مقابل التنسيق الأمني الذي يجعل من السلطة الفلسطينية حائط الصد الأول ضد المقاومة قبل اصطدامها بالعدو الصهيوني.

ونخلُص من كل هذا إلىٰ أنه لا جدوىٰ نهائيًا من لعبة المفاوضات والاتفاقيات التي تشرعن وجود العدوّ، وتُضعف المقـاومة.. وأن أول خطوات الحل تتمثل في الإفاقة من وهم حل الدولتين المزعوم، مع احتضان المقاومة وتقديم الدعم غير المشروط لها، فضلًا عن تفعيل سلاح المقاطعة بكافة أشكالها.

وإن كان لا بُدّ فهدنة مؤقتة، من أجل الاستعداد وإزالة المعوقات وأبرزها ما بيّنه الشيخ «محمد الغزالي» حين قال: «إن زوال إسرائيل قد يسبقه زوال أنظمة عربية عاشت تضحك علىٰ شعوبها، ودمار مجتمعات عربية فرضت علىٰ نفسها الوهم والوهن».



عودة الروح

أحمد المنزلاوي/ مصر[1]

عاش المسلمون سنينًا في جوٍ من الإحباط واليأس، فكان مستحيلًا أن يفكر المسلمون -خصوصًا الجيل الجديد- في قضية فلسطين فضلًا عن أن يسهموا في حلها، فقد أصابهم الإحباط من واقعهم الانهزامي، ويئسوا من أن تقوم لشعب فلسطين قائمة من جديد، وقنطوا من أن يواجهوا عدوًا صارخ العداء مثل الصهاينة ومَن معهم.

لا بدّ أن الذي زرع اليأس في قلوب بعض المسلمين هو أمرٌ تعاظم في النفوس الواهنة، وحدثٌ أكبرتْه القلوب الضعيفة، فحصدت خضوعًا مذلًا، وركعت حين كان يرجىٰ لها القيام.

خمسون عامًا منذ نصر أكتوبر ١٩٧٣م ولا نرىٰ إلا الهزائم والنكبات واحتلال القدس واقتحام بيت المقدس، وقتل الأطفال واغتصاب النساء، وأسر العزل وتهجير المواطنين، وتحطيم البنايات وتدمير المنشآت، قذف وتدمير وتخريب ودماء، جيل

---

(١) كاتب له اهتمام بالتاريخ والأدب، باحث دكتوراه في اللغة العربية - تخصص الدراسات الأدبية والنقدية، وعضو اتحاد كُتَّاب مصر. والاتحاد الدولي للغة العربية -بيروت.

كامل نشأ وحالُ فلسطين كما هو، بلد مقهور محتل من شرذمة معترف بها دوليًّا، وكل يوم يمر تتعاظم دولتهم اللقيطة ويكثر التطبيع معها ويصبح وجودها أمرًا واقعًا، حتىٰ الخرائط التي يتابعها الجيل الجديد علىٰ التطبيقات والمواقع استبدلت باسم فلسطين اسم تلك الدولة!

وغياب الأمل وضياع الحلم وانحطاط الهدف كارثة مروّعة حلّت علىٰ المسلمين، ومصيبة مهولة لا يرجىٰ في وجودها نجاة، وإنه لعجيب أن تحبط أمة تملك كتابًا مثل القرآن! وسنة مثل سنة رسول الله ﷺ! كيف ييأس شعب له تاريخ مثل تاريخ المسلمين؟! وله رجال أمثال رجال المسلمين! ويمتلكون مقدرات كمقدرات المسلمين! وكنوزًا مثل كنوز المسلمين! عجيب حقًا أن تقنط هذه الأمة، وقد قال ربها في كتابه: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]!!

لكن الذين قنطوا لم يدركوا طبيعة هذا الدين، ولم يدركوا طبيعة هذه الأمة، ولم يدركوا طبيعة سنن الله في الأرض، فالله سبحانه وتعالىٰ شاءت حكمته أن يجعل الأيام دولًا بين الناس: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠]، فكما تعاني أمة المسلمين من

القرح اليوم، فقد كان هناك أيام عانىٰ فيها الآخرون من القرح، والمسلمون في سلامة وعافية، كل الأمم تسود فترة وتتبع غيرها فترات، كل الأمم تقود زمنًا وتنقاد لغيرها أزمانًا، بل إن كل الأمم تعيش مرة وتموت وتندثر وتختفي مرات، إلا أمة واحدة قد تنقاد فترة من الفترات، وقد تتبع غيرها زمانًا من الأزمان، لكنها لا تموت أبدًا، تلك هي أمة الإسلام.

وإن فلسطين وشعبها لدليل قاطع شاهد علىٰ أننا أمّة لا تموت، فمِن رَحم فلسطين قامت الانتفاضة، وصغرت إسرائيل أكثر لما بدأ الصبيان يقاتلون بالحجارة جيشًا يملك أعتىٰ وأقسىٰ ما أوحىٰ به الشيطان إلىٰ أوليائه مِن وسائل القتل والتدمير والهلاك، وحسبوا الانتفاضة فورة حماسة تستمر ساعات ثم تخمد، فإذا بها تستمر الشهر والشهر الذي بعده، وتمتد إلىٰ سنوات عديدة، والسنون تتوالىٰ، والانتفاضة لا تزداد إلا قوة، ذلك بأنها ليست حركة وطنية ولا قومية، ولا قامت لمجرد استرداد الأرض! بل لأنها جهاد في سبيل الله، جهاد بالمعنىٰ الذي عرفه الإسلام، بذل الروح لله وحده، وابتغاء الجزاء منه وحده، جهاد من يظفر به يظفر بنيل الأماني وبلوغ الغايات، ومن يمت ينل ما هو أكبر من متع الدنيا كلها، الشهادة والجنة.

نهضت فلسطين تحل العقدة التي عقدت لها بالمكر، والمال

والبارود، عقدة خبيثة أرادوا فيها لذلك الشعب الحر: قتلًا، وتخريبًا، وفقرًا. عقدة الحكم اليهودي الذي يحكم بثلاثة أساليب: الوعد الكاذب، والفناء البطيء، ومطامع اليهود المتوحشة.

والمجتمع الدولي وراء اليهود، واليهود وراء خيالهم الديني، وخيالهم الديني هو طرد الحقيقة المسلمة.

الحقيقة التي يعلمها القاصي والداني، أن فلسطين إسلامية، وأنها أرض الشعب الفلسطيني الذي لم يفرط في شبر منها وضحىٰ من أجلها بالغالي والنفيس، وأن بيت المقدس حَرمُ كل مسلم، وأن القدس في قلوب أمة تزيد عن المليارين.

لقد تحول الحجر إلىٰ بارود، وتحولت الانتفاضة إلىٰ سطوة، واستعادت فلسطين ذكرىٰ أكتوبر بطوفان هامر يدمر أعداءها، فعلىٰ التاريخ أن يحفر هذا اليوم في ذاكرته، يوم السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣م، بعد ٥٠ عامًا من نصر أكتوبر ١٩٧٣م، يُحيي العالم الإسلامي ذكرىٰ النصر بنصر مثله، نصر فلسطيني أعاد الروح إلىٰ جسد الأمة الهزيل، ونفض الدماء في عروق كادت أن تتجمد، الفلسطينيون يحاربون بسواعدهم برًا وبحرًا وجوًا، لكن معهم قلوب الصادقين من إخوانهم يناصرونهم بالفرح والنشوة والدعاء، ولسان حالهم:

أولئك إخواننا المجاهدون؛ ومعنىٰ ذلك أن أخلاقنا وعبادتنا

هي حليفهم في هذا الجهاد.

أولئك إخواننا المنكوبون؛ ومعنىٰ ذلك أن في نكبتهم امتحانًا لضمائرنا نحن المسلمين جميعًا.

أولئك إخواننا المضطهدون؛ ومعنىٰ ذلك أن في مذلتهم اختبارًا لنصرتهم في قلوبنا.

ماذا تكون نكبة الأخ إلا أن تكون اسمًا آخر لمروءة سائر إخوته أو مذلتهم؟

لماذا كانت القبلة في الإسلام إلا لتعتاد الوجوه كلها أن تتحول إلىٰ الجهة الواحدة؟

لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت في الحق؟

ليست هذه محنة فلسطين، ولكنها محنة الإسلام، يريدون ألا يثبت شخصيته العزيزة الحرة، فلا تجزعوا إن استأسد فيكم ثعلب أو استنسر بغاث، ولا تخافوا إن كان للإسلام عدو يتربص به وبأهله ريب المنون، ينكل بهم وينالهم بكل مكروهة من لسانه ويده، لا.. ولا تخافوا إن بغىٰ المحتل، أو غدرت إسرائيل، أو تألمت فلسطين، وكان ما نشكو منه ونتوجع، فما هي بأولىٰ المحن التي مرت علينا -نحن المسلمين- إنها واحدة مما ألفنا من النوب وعرفنا.

كانت القدس في أيدي الصليبيين المحتلين، كانت في أيديهم لا من شهر ولا شهرين، ولا من سنة ولا من سنتين، بل لقد بقيت في أيديهم نحوًا من مئة سنة! بقيت القدس في أيديهم مئة سنة لو مرت علىٰ غير المسلمين ليئسوا منها، ولكن المسلم لا يعرف اليأس، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧].

أجهلتم الإسلام؟ الإسلام في ذاته قوة لا يحتاج إلىٰ قوة أتباعه ليؤيده بها، بل هو الذي يؤيدهم بقوته فينصرونه.

الإسلام قوة كتلك التي تُوجِد الأنياب والمخالب في كل أسد، قوة تُخرِج سلاحها بنفسها، لأن مخلوقها عزيز لم يوجد ليؤكل، ولم يخلق ليذل.

قوة تجعل الصوت نفسه حين يزمجر، كأنه يعلن الأسدية العزيزة إلىٰ الجهات الأربع.

قوة وراءها قلب مشتعل كالبركان، تتحول فيه كل قطرة دم إلىٰ شرارة تقذف هنا وهناك، ولئن كانت الحوافر تهيئ مخلوقاتها ليركبها الراكب، فإن المخالب والأنياب تهيئ مخلوقاتها لمعنىٰ آخر.

لقد طلع الفجر وأبصرنا الطريق ولن نرجع إلىٰ ظلام الليل، لقد عرفنا أنه لا يُحتَرم إلا حق القوي، فإلىٰ القوة يا عباد الله.



أيها المسلمون! كونوا هناك. كونوا هناك مع إخوانكم بمعنىٰ من المعاني.

فعن أبي أُمَامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ[1] حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[2].

فاللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين.. اللهم اجبر كسرهم، وارحم ضعفهم، وآمن روعهم، وانصرهم علىٰ عدوك وعدوهم، يا قوي يا عزيز.

﴿عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.



---

(١) اللأْواء: الشدة وضيق المعيشة، وقيل: القَحْط.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٣٧٤)، والطبراني: المعجم الكبير (٧٦٤٣)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.



غزّة والحراك الشِّعري

أحمد كسار الجنابي/ العراق[1]

ما أن بدأت عملية «طوفان الأقصىٰ» حتىٰ شارك فيها الشعراء بكل ما أوتوا من بيان وحكمة، وشهدت الساحة الشعرية حراكًا أدبيًا وثقافيًا نحو غزة وطوفان الأقصىٰ، ومن الممكن جدًا أن يشكل النتاج الأدبي موسوعة أو ديوانًا كبيرًا باسم ديوان غزة أو ديوان العزة.

وهناك بالفعل مبادرة ديوان «طوفان الأقصىٰ» التي أطلقها معالي الدكتور صلاح جرار وزير الثقافة الأردني الأسبق، إذ وصلت إليه أكثر من **200** قصيدة، وهي في ازدياد، علىٰ أمل تصدر في ديوان مطبوع قريبًا.

ولنبدأ من قطر، فمنذ الساعات الأولىٰ لطوفان الأقصىٰ في غزة استذكر القطريون أبياتًا للشاعرة الدبلوماسية القطرية لولوة الخاطر تقول فيها:

أغزّة.. قد حكمْتِ القلب منّا

---

(١) أستاذ جامعي، وخبير لغوي، عضو الملتقىٰ القطري للمؤلفين، قدم مبادرات لغوية عدة.

ونشهد أن عدلْتِ.. ألا فنامي

قريرة عزّة ودم جسور

تناثر فانحنىٰ رأس الحِمام

وإنكِ ما رميتِ.. وقد رميتِ

ولكني رأيت الله رامي

وفي الدوحة عقد صالون نادي الجسرة الثقافي، التابع لوزارة الثقافة بدولة قطر، ثلاث أمسيات شعرية، شارك فيها ست شعراء، كما شاركهم الفنان بالغناء.

واستضافت السفارة السورية في الدوحة، الأديب والشاعر الفلسطيني سمير عطية في أمسية شعرية حملت عنوان: «كالجسد الواحد بين سوريا وفلسطين»، وذلك تضامنًا مع غزة.

وفي إمارة الشارقة بدولة الإمارات نظّم بيت الشعر بدائرة الثقافة أمسية شعرية حافلة تغنت بصمود الفلسطينيين، أحياها عدد من الشعراء العرب، بحضور عدد من محبّي الشعر والثقافة.

كما أحيت الشاعرة الجزائرية حنين عمر أمسية شعرية في معرض الشارقة الدولي للكتاب، وقرأت الشاعرة في البدء قصيدة تحية لغزة الثائرة وللأقصىٰ التي وصفتها بـ«زهرة المدن الطاهرة».

وفي سلطنة عمان أقيمت بحي المعرفة أمسية شعرية نصرة للأقصىٰ، نذكر منها قصيدة ملحمة غزة للشاعر سالم بن علي الكلباني، ألقاها الطالب معاذ بن محمد المسكري قال فيها:

علمتهم أن الدماء رخيصة إن كان عاقبة الدماء تحرر

وقصيدة طوفان الأقصىٰ للشاعر موسىٰ بن قسور العامري الذي قالها مترنمًا:

غـزة الأحــرار هيا فجّـري صمتنا الممقوت واغلي كالحممْ

ومن الكويت وضمن مهرجان خطابي بعنوان: (غزة تنادينا) ألقىٰ شعراء قصائدهم، ومن الكويت أيضًا تطالعنا قصيدة أيمن العثمان بعنوان: (أكاذيب الحروف) وفيها يقول:

هذا هو التطبيع لا قيـــــم له تقع الطيور علىٰ تشابه شكلها

طوفاننا الأقصىٰ يهيج مقوضًا حلم الغزاة عسىٰ يخيب طغاتها

ومن الرياض كتب «المخربش» كما يصف نفسه الشاعر محمد الجابري:

أستبدلَوا الغينَ عينًا في بسالتهم كأنهم مــن أبابيــل الســـماواتِ

يا مجدَ غزة علّمنا فقد جَهلَت أجيالُنا في الوغىٰ معنىٰ البطولاتِ



وكتب الدكتور الشاعر براء حلواني من جامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة قصيدة كان مطلعها:

تناديهمُ من تحتِ أنقاضِ بيتِها وترفعُ صوتًا مِلؤهُ اللومُ والعَتَبْ
أيا طفـلتي فلْتعـــذُرينا فإننــا غثاءٌ كمثلِ السيلِ يمضي بلا أرَبْ

وفي البحرين ضمن نشاط الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع كانت هناك مشاركات شعرية عن غزة في الاعتصام الجماهيري: (صرخة غضب).

ومن اليمن تطالعنا فعالية شعرية لدائرة الإعلام في إصلاح البيضاء بعنوان (المقاومة طريق النصر) تضامنًا مع غزة وكفاح الفلسطينيين ضد الاحتلال، ونستحضر بلبل النصر أبو هزاع محمد جريد إذ يقول ليلة «طوفان الأقصىٰ» قصيدة نبطية مطلعها:

يا طير سلّم لي علىٰ أبطال غزة
سلام من أرض اليمن (لا) فلسطين

وفي العراق عقدت أمسية بعنوان: «غزة كوكب كبرياء وصمود» عقدتها الرابطة العالمية للدفاع عن اللغة العربية في العراق بمشاركة شعراء عرب ومستعربين، ومن شعراء العراق كتب الأستاذ الدكتور عبدالستار فاضل خضر النعيمي من جامعة

الموصل، قصيدة بعنوان: (عرس المجد)، قال فيها:

ما بال غزة وحدها قد أفردت تشكو الأسىٰ والكل ولىٰ مدبرا

أوما علمتم أن غزة إن قضت فالكــل يقضــي أولًا أو آخرا

وعقد مجلس الخميس الثقافي في هيئة علماء المسلمين في العراق أمسية شعرية تحت عنوان «الطوفان وغزة.. عنوان الأمّة» بمشاركة نخبة من الشعراء العراقيين والعرب منهم الشاعر حارث الأزدي ونستشهد ببيته الذي يقول فيه:

ستبقىٰ غزة فينا معينًا

علىٰ قيد التصبر لا يكلُّ

وفي سوريا دعا مركز أشرعة لحضور أمسية شعرية، بعنوان: «غزة جرح أمتنا» في المركز الثقافي بمدينة الباب، ودعت الحركة الوطنية السورية بالتنسيق مع الأدباء الأحرار ومركز الأناضول الثقافي في مدينة جرابلس شرق حلب لأمسية شعرية تحت عنوان: (غزة تدفع ثمن العزة).

كما نظم المنتدىٰ الثقافي الديمقراطي الفلسطيني في سوريا أمسية شعرية تحت عنوان: «لغزة.. للوطن.. للشهداء نكتب»، وجاءت عنوانات القصائد تحمل أسماء مثل (طوفان الأقصىٰ)، و(غزة نعم البطولة)، وغيرهما.



وفي الأردن نظم ملتقىٰ شعلة اليرموك الثقافي وبالتعاون مع ملتقىٰ جدارا أم قيس الثقافي وجمعية دار النبلاء الخيرية ومنتدىٰ الجياد للثقافة والتنمية أمسية شعرية بعنوان «غزة في القلب»، دورة الأستاذ الدكتور يوسف درويش غوانمة.

ونظم منتدىٰ الرصيفة للثقافة والفنون أمسية شعرية وفنية تحت عنوان: «غزة الصمود»، وقدمت فيها فقرة لأغان وطنية من التراث النضالي الفلسطيني تمجيدًا للشهداء والمقاومين.

ونبقىٰ في الأردن حيث نظم منتدىٰ البيت العربي الثقافي أمسية شعرية تضامنية مع فلسطين وغزة، لنخبة من الشعراء والشواعر، وضمن فعاليات اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين التضامنية مع الأهل بفلسطين وغزة أقيمت أمسية شعرية وطنية، وشارك فيها كل من عدد من الشعراء وشاعرة.

ونظمت دارة المشرق للفكر والثقافة أمسية شعرية تضامنية مع أهل قطاع غزة، وأقيمت في منتدىٰ الرواد الكبار بعمان، شارك فيها عدد من الشعراء الأردنيين والفلسطينيين والعرب.

وفي لبنان وعبر منصة المركز العربي الأميركي للثقافة والفنون صدحت حناجر الشعراء وأهل القلم اللبنانين والعرب قصائد ونصوصًا وجدانية مناصرة وحبًا لغزة وفلسطين في أمسية شعرية

أدبية افتراضية، والتأم ثلة من الشعراء من لبنان وسائر البلدان العربية.

وفي الجزائر عقدت أمسية شعرية في الصالون الدولي للكتاب، شارك فيها عدد من الشعراء الجزائريين، وشهدت الأمسية الجزائرية إلقاء الشعر الفصيح والشعبي والأمازيغي وأيضًا باللغة الفرنسية، وعلىٰ هامش المعرض الدولي للكتاب في الجزائر اجتمعت ثلة من الشعراء الجزائريين والشاعرات الجزائريات في «فضاء غزة» الذي خصصته محافظة صالون الجزائر الدولي للكتاب.

وفي تونس نقل لنا التلفزيون العربي تقريرًا عن أمسية شعرية في للتضامن مع غزة بعنوان: (فلسطين في القلب)، وحضرها أدباء ونقاد.

ونظمت جمعية مراجعات بالاشتراك مع نادي مختار اللغماني للأدب والفكر والفن وصالون مؤانسات وعبر، أمسية شعرية وفنية بعنوان «العزة والمقاومة.. فلسطين الرصاصة والقلم» في المركز الثقافي أبي القاسم الشابي بالوردية.

وفي إطار افتتاح الموسم الثقافي، ألقيت قصائد لغزة وفلسطين في أمسية شارك فيها شعراء من سوريا، وسلطنة عمان، وتونس، والجزائر، والعراق) قدموا قراءات شعرية تغنوا فيها بالقدس وبفلسطين.

وفي المغرب وتحديدًا من وجدة قام عدد من الشعراء المغاربة بالاجتماع في مقر جمعية «النبراس للتنمية والثقافة» وإطلاق أمسية شعرية من أجل فلسطين، كما غنّت فرقة «الأطلال» للغناء العربي قصائد قال قائدها، رشيد بووشمة، إنها «صلة رحم مع القضية الفلسطينية».

والشعر العربي كان حاضرًا ليس ببعيد عن بلادنا العربية ففي تركيا كان هناك أكثر من نشاط شعري عربي مناصر لغزة وفلسطين، وقد شهد ديوان غزة وفلسطين ترجمة حية حين اقتبس الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أبياتًا شعرية من قصيدة للشاعر الفلسطيني الشهير محمود درويش خلال تجمع جماهيري حاشد لنصرة فلسطين في إسطنبول، التي كان نصها العربي:

منكم النار - ومنا الحجر
منكم السيف - ومنا دمنا
منكم الفولاذ والنار - ومنا لحمنا

وعقد ملتقىٰ إسطنبول الأدبي ندوة أدبية إلكترونية بعنوان: (في زمن الحرب.. ما المطلوب من المثقفين؟)، شارك فيها شاعران وأكاديمي ومنشد، وفيها قال الشاعر سمير عطية:

وطني إذا ذبلت نجوم سمائه ... روّىٰ الشهيد ضياءها بدمائه

ونقلت إلينا قناة الرافدين الفضائية أمسية شعرية في برنامجها بيت القصيد من نشاطات الجمعية الدولية للشعراء العرب تظاهرة شعرية كبرىٰ بعنوان: (من القدس وإليها)، وفيها استمعنا للشاعر الفلسطيني مصطفىٰ مطر إذ يقول:

ألم ترَ أن القوم صرعىٰ؟ حسْب غزّة

أنّ المجد ثوب لها فوق الذي نصفُ

وفيها استمعنا للشاعر السوري مصعب الأحمد وبيتيه الرائعين:

فغزة العز إن حققّت في لغة الأعراب … تدري بها أن ليس تنصــرفُ

دفعتي يا غـــزة عن عـــــرض أمتنا … عارًا لصيقًا بنا ما دام يتصفُ

أما الشاعر الموريتاني عبد الرحمن محي الدين:

أويُقصف المشفىٰ؟ لُعنتم جملة

ولقيتمُ دهرًا من الإذلال

أويُقصف المشفىٰ؟ لُعنتم جملة

هذي لعمري فعلة الأنذال

أويُقصف المشفىٰ؟ وتُقصف غزة

في منظر من مجرم قتّال



ومن عقر غزة سمعنا واستمتعنا بقصيدة لطفلة غزاوية فلسطينية نقلتها لنا قناة الجزيرة مباشر، ومن الممكن أن نعدها من شعر الأطفال في غزة:

أين أنتم من صراخ الأرامل؟

أين أنتم من كل طفل قُتل؟

ومن الشعراء الأطفال كذلك رأينا في مواقع التواصل الطفلة ميرال الحرزين وهي تقصد أبياتًا، ونبقىٰ مع الأطفال وبراءتهم الشعرية ومع طفل سوري مهجّر في مخيم الركبان يبعث رسالة تضامن إلىٰ غزة، فيقول:

أيا غزة وأنتِ موطني الثاني

وروح القلب بالأحلام يشتم

وللنساء الشواعر نصيب من ديوان غزة، فقد نظم ملتقىٰ الايسيسكو للشاعرات أمسية شعرية كبرىٰ شارك فيها عدد من الشاعرات في البلدان العربية مناصَرة لأهلنا في غزة وتأبينًا للشهيدة الشاعرة والروائية هبة أبو عزة.





سلاح الإعلام

أميرة إبراهيم/ مصر[1]

حين نتحدث عن دور الإعلام في خدمة القضية الفلسطينية فنحن هنا نتحدث عن محورين الأول محلي وإقليمي والثاني دولي، فهناك تقصير واضح جدًّا علىٰ الصعيدين، فعلي الصعيد المحلي والإقليمي نستطيع القول: إن المتابع لكل وسائل الإعلام العربية المقروءة والمرئية والمسموعة يستطيع أن يلاحظ بكل سهولة وبشكل واضح غياب القضية الفلسطينية عن كافة القضايا الإعلامية المعروضة من خلالها، فلا وجود لمعاناة أهل فلسطين في غزة ومدن الضفة والخليل والقدس، لا حديث عن الأسري في المعتقلات الإسرائيلية وحجم التعذيب ومحاولات الإذلال التي يتعرضون لها، لا نقل للأوضاع المأساوية التي جعلت غزة سجنًا كبيرًا نتيجة الحصار الذي يفرضه الاحتلال علىٰ أهلها منذ أكثر من سبعة عشر عامًا، لا حديث بالأساس عن جوهر الصراع العربي الإسرائيلي، هذا الصراع الذي يجب أن يكون في مقدمة أولويات

---

(١) مدير تحرير بمؤسسة أخبار اليوم، محاضر ومدرب أكاديمي، عضو اتحاد الصحفيات العرب.



وسائل الإعلام العربية، فهو صراع يخص كل فرد من أفراد أمتنا العربية والإسلامية ولا يخص أهل فلسطين فقط.

فمنذ بداية هذا الاحتلال البغيض لأرض فلسطين عام ١٩٤٨م وأبنائها يتعرضون لأبشع الجرائم وإلي الإرهاب الهمجي والغاشم، تسلب الأراضي وتهود القدس ويقتل الأطفال والنساء والشيوخ، معتقلات مليئة بالأسرىٰ ذنبهم الوحيد أنهم دافعوا عن كرامة شعبهم وعن كرامة الأمة بأسرها.

أما علىٰ الصعيد الدولي فنقول: دائمًا ما كان الخبراء في الشئون السياسة والإعلام يؤكدون في أحاديثهم علىٰ أن مواطني المجتمعات الغربية ليس لديهم سوء النية تجاه المسلمين والعرب ولكن لديهم جهل بالمسلمين وبالعرب، وثقافتهم وحقيقة ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط وأبعاد الصراع الحقيقية مع إسرائيل، وأنه قد حان الوقت ليتنبه العرب إلىٰ تقصيرهم وتأخرهم في استثمار سلاح الإعلام في صراعهم مع العدو الإسرائيلي الذي يجيد استخدام هذا السلاح ويرصد له الميزانيات الضخمة، لمعرفة أهميته وما يمكن إن يحققه من خلاله.

نحن لا نبالغ إذا قلنا: إن الإعلام يقف في خندق واحد مع المقاومين ومع كل قوات الدفاع عن فلسطين وأرضها وشعبها

وقدسها وأقصاها، إن الإعلام بكافة وسائله يقع علىٰ عاتقه فضح كافة الانتهاكات العنصرية التي يرتكبها الاحتلال أمام الرأي العام العالمي، وينقل بالصوت والصورة والكلمة المكتوبة جرائم الحرب والمجاز التي ترتكب في حق أصحاب الأرض، وعليه مهمة التأكيد علىٰ أن الصراع أساسه هو احتلال الكيان لأرض فلسطين دون وجه حق. والسؤال هنا هو: كيف يتم ذلك؟ وكيف يكون الإعلام قادرًا علىٰ خدمة القضية الفلسطينية بشكل صحيح علىٰ الصعيد الإقليمي والدولي؟

علىٰ الصعيد الإقليمي:

لقد تم اختزال القضية الفلسطينية في زاوية جغرافية محددة، وهو اختزال متعمد، ومحاولة خبيثة لجعل الصراع بين فلسطين والكيان الصهيوني، علىٰ عكس جوهره وحقيقته فهو صراع عربي إسرائيلي بالدرجة الأولي.

والحقيقة أن ترك عبء الدفاع عن الأقصىٰ وعن فلسطين علىٰ عاتق الفلسطينيين وحدهم خطيئة كبري، وعلىٰ وسائل الإعلام توضيح ذلك وسرد كافة الحقائق الجغرافية والتاريخية والسياسية والدينية التي من شأنها أن تجعل كل أبناء الأمة علىٰ علم بحقيقة الصراع، وبالدور الذي يجب عليهم القيام به في دعم القضية،

والدفاع عنها بكل السبل، فلا بد أن تقوم بنشر الوعي بمكانة القدس والمسجد الأقصىٰ ومخططات تهويده، وأن تولي القضية أهمية من حيث تغطية الأحداث وتقديم التقارير والمقابلات الصحفية وأيضًا إنتاج الأفلام السينمائية والوثائقية التي تحاكي نضال الشعب الفلسطيني وإبراز جرائم الاحتلال.

كما أنها معنية بالدرجة الأولي بإيقاظ دول الأمة وتذكيرهم بحلم الكيان الصهيوني بحدود دولتهم التي لا يكفوا عن الإعلان عنها «من النيل إلىٰ الفرات»، فتزامنًا مع قصف الاحتلال لغزة، تداول عدد من النشطاء الإسرائيليين علىٰ موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» خريطة عما وصفوه بـ«مملكة إسرائيل الكبرىٰ - مملكة داود»، وتضم مصر وفلسطين والأردن وسوريا ولبنان وجزءًا من العراق والسعودية، وسائل الإعلام عليها أن توضح أن دعم المقاومة هو قضية أمن قومي لدولنا العربية، ففلسطين هي الدولة الأولىٰ في الخريطة المزعومة، وإذا تم القضاء علىٰ المقاومة والاحتلال الكامل لها، ستبدأ إسرائيل بالسعي لاحتلال الدولة التي تليها.

كذلك يحب أن تضع وسائل الإعلام نصب أعينها أن تكون قضية فلسطين هي القضية الأولىٰ لدي الأمة، وخاصة لدىٰ

الشباب والنشء، تلك الفئة التي كان يعتقد الكثيرون أن القضية قد تم تغييبها عنهم، وأنها لا تعنيهم، فجاء العدوان علىٰ غزة ليثبت عدم صحته.

كما أن عليها إبراز معاناة أهل فلسطين والانتهاكات التي يتعرضون لها بشكل يومي من قبل جيش الاحتلال، ومن قبل المستوطنين المسلحين.

ولا بد من تسليط الضوء علىٰ قضية الأسري في المعتقلات الإسرائيلية وما يتعرضون فيها من انتهاكات، وعلىٰ الحصار المفروض علىٰ غزة، لا بد من نقل كل الآثار والأوضاع الإنسانية والاقتصادية المترتبة عليه.

و هنا نشدد علىٰ أن كل ذلك يجب أن يتم بشكل مستمر ودائم وبمساحات تغطية مناسبة لحجم وخطورة القضية، وأن تتنوع المعالجات والبرامج والكتابات التي تتناول كافة أبعادها.

وعلىٰ الصعيد العالمي:

نقول الإعلام عنصر فاعل ومكون من مكونات الوعي والرأي والفهم ورادع للتمادي في ارتكاب الجرائم، لذا لا بد من إبراز سلسلة الجرائم الدموية التي ارتكبتها إسرائيل منذ قيامها ولا

نكتفي بتسليط الضوء علىٰ الحديث منها فقط، فالسلسلة تمتد منذ أحداث النكبة عام ١٩٤٨م حتىٰ الآن، لقد قامت إسرائيل علىٰ أساس وقوع ظلم علي اليهود علىٰ يد هتلر وبسبب قصة الهولوكوست، تلك القصة التي لا تزال حتىٰ يومنا هذا يتم إنكار الكثير من تفاصيلها ولاسيما المتعلقة بأرقام اليهود الذين تم إحراقهم، وهي تستعطف العالم وتبتز مشاعره بالهولوكست، ونحن لدينا عشرات الهولوكوست، وعلي الإعلام استثمارها لخلق التعاطف مع القضية الفلسطينية وإقناع الشارع الغربي بعدالتها، وليس هناك وقت أنسب من هذا، فمن خلال مواقع التواصل وبعض المواقع الإعلامية الغربية الحرة التي لم ترضخ لسطوة الصهاينة ولا تهديداتهم تم نشر الكثير من الجرائم التي تم ارتكبها في غزة، وشاهدنا بالفعل مظاهرات بلغ عدد المشاركين فيها مئات الآلاف في لندن وبرلين وباريس وواشنطن وغيرهم من البلدان، وسمعنا الشعوب الغربية تندد بالإبادة وجرائم الحرب التي ترتكب.

نعم حدث تغير في موقف الشارع الغربي، كيف حدث هذا التغير؟ حدث بسبب قوة الإعلام وتأثيره، وبعد وصول الصور الحقيقة لما يحدث، ولا بد من السرعة في التحرك والتنسيق بين

الدول العربية والإسلامية لوضع رؤية لمشروع إعلامي مشترك، يطرح القضية الفلسطينية بشكل قوي ومؤثر، ويتم من خلاله بث قنوات باللغات المختلفة، يراعىٰ فيها مخاطبة الآخر بالأسلوب الذي يقنعه، ومراعاة تكوينه الديني والاجتماعي والثقافي، علىٰ أن يتم الاستعانة بالكوادر الإعلامية الغربية، واجتذاب عناصر غربية مختصة بالشئون العربية وذات تأثير علىٰ الشارع الغربي، والاعتماد علىٰ المراسلين الأجانب سيكون له تأثير قوي، ويسرع في تحقيق الغرض الذي نسعىٰ إليه، خاصة أنهم حين يقومون بإعداد البرامج سيتم ذلك باستخدام منطقهم، الذي بدوره سيكون أكثر إقناعًا للجمهور المستهدف.

ويجب أن نضع في الاعتبار أن الإعلام لكي يحقق ما نسعىٰ لتحقيقه من أهداف، يحتاج لرصد ميزانيات ضخمة، والعرب لديهم ذلك وعليهم توظيف إمكانياتهم في الإنفاق علىٰ مشروع إعلامي ضخم كعمل قومي يدافعون من خلاله عن القضية الفلسطينية.





لبيكِ يا كتائب العزّ

أسامة حماد/ مصر[1]

لكَم يؤسفني نكوص المغتبطين برجولتهم المزيفة في واقعنا المرير، كلما امتدت عيني فرأت أسدًا من أسود غزة وهو يهدر كالمدفع، أو يزمجر كالعاصفة، أو يزأر كالأسد، ولكم يجتالني حزن عميق علىٰ قصور المسلمين وسلبيتهم تجاه إخوانهم الأبطال الذين خلقوا في حومة الوغىٰ، وعاشوا لأجل تسطير أمجاد البطولة، بينما غيرهم في لهوهم ولعبهم غارقون، يتشدقون بأمجادهم، ويتغنون بتاريخهم، ولا نصيب لهم من جهد مشرف أو جهاد كريم!!

كتب علىٰ المسلمين القتال وهو كره لهم، ولكنه واجب محتم تقضي به المروءة وتحكم به عزيمة الرجال عندما تستباح الحرمات، وتنتهب الحقوق، وتسفح الدماء، وتنتهك الأعراض!! «القدس السليب» يبكي هزيمة من خلقوا ليكونوا شهداء علىٰ الناس، ويكون الرسول عليهم شهيدًا، هزيمة العرب الذين نكصوا علىٰ أعقابهم وانشغلوا بالخلافات التي مزقت شملهم، وفرقت جمعهم، وما نفخ في نارها وربي إلا شيطان مريد، عرف علتهم،

---

(١) كاتب، وباحث دكتوراه في الفلسفة.

وأمسك بخطامهم ليسوقهم إلىٰ الردىٰ!!

كان العرب قديمًا شيعًا متحاربة، وفرقًا متناحرة، تحركهم العصبية العمياء، وتسوقهم العنجهية الخرقاء، لا قيمة تحضهم إلىٰ معروف، ولا مبدأ يحدوهم لبر، حتىٰ جاء الإسلام فوحد فرقتهم، وصحح خطأهم، فما خلع الزمان من سنيه إلا القليل فطار بهم إلىٰ عروش عزه، وبوأهم مقامات شرفه، وظلوا علىٰ ذلك عهدًا شهد لهم به التاريخ، وأقر به الزمان، ثم هوت رايتهم، وتمزقت وحدتهم، وأضحوا بتخلفهم عارًا علىٰ أنفسهم ودينهم، والحكماء فيهم يذكرونهم بمجدهم التليد، وشرفهم الباهر، وهم من قرون علىٰ حالهم، تائهون في أودية الضلالة، وغارقون في موكب الزراية، وسيظلون علىٰ حالهم ما لم يغسلوا قلوبهم من دنس التفريط، ويطهروها من مرض الغفلة!

وما القدس في حياتهم إلا الحرم الأقدس الذي وطأ ترابه الشريف أنجاس يهود، واعتلوا صروح مقامه، ودنسوا صفحات عزه، وكرامة المسلمين منوطة بحفظه، ومرهونة برعايته، فمهما استطال فيهم الكاذب والمارق والدجال فلن يستطيع أن يدفع عنهم خزي التفريط، أو يرد لهم شرف الدين، أو يعيد إليهم مجد التاريخ!!

وما فلسطين في الأمة إلا موضع القبلة الأولىٰ التي اتجهت إليها الوجوه والقلوب، واطمأنت إليها الأنفس والضمائر، إنها

امتداد لتاريخ الشرف المؤثل في قلب العروبة التي نضرها الإسلام، وأعلىٰ شعارها الإيمان، وهي علىٰ الدوام معقل الشرف وموئل السؤدد في تاريخ المسلمين الذين شملهم عز الإسلام، وكفاهم شرعه العظيم!!

وما يلقاه أهل هذا الحرم المقدس الآن من قهر وبطش وتنكيل، جريمته الأولىٰ علىٰ عاتق من خذّل صفهم، وظاهر عدوهم، وسعىٰ في سبيل الحيلولة بينهم وبين أمنهم وأمانهم؛ إن نصرتهم بمثابة الشهادة في الصلاة، لا صلاة دونها، ومعاونتهم فرض عين علىٰ كل مسلم أحب دينه واعتز برسوله، وقال إنني من المسلمين!!

إن غض الطرف عن إخواننا المعذبين في غزة وفلسطين، لجريمة دونها الفحشاء والمنكر، ودونها السرقة والنهب، ودونها قطع الطريق وترويع الآمنين؛ وإن معاونتهم ومؤازرتهم لمن عزائم الأمور، التي تخف بجوارها بناء المدارس والمصانع، وتتضاءل عندها تشييد الصوامع والبيع والمعابد، وإن بناء ألف مسجد أو كنيسة لله، لا يساوي نصرة مظلوم قهر، واستبد به، ولم يجد له معينًا أو نصيرًا أو سندًا!!

إن بطولة هؤلاء المجاهدين بوسائلهم البدائية، وانتصارهم المذهل علىٰ عدوهم، لدليل لا يقبل الشك علىٰ أن هذه الأرض

المقدسة تلد الأبطال، وتنبت الفرسان، وتصدر العزة والكرامة لجميع المسلمين في جميع بقاع الأرض!!

وإن صمود هذا الشعب الباسل وتحديه لصلف اليهود وغطرستهم، ليعد مفخرة للعرب وللمسلمين في كل زمان ومكان، وفي كل موقف تدرس فيه البطولة، ويعلم فيه الفداء!!

إن أبناء هذا القطر المقدس في رباط إلىٰ يوم القيامة، إنهم وقود الشرف، وزاد البطولة، وفخر التاريخ، وهم أبدًا مدرسة البطولة علىٰ مر الأزمان، لأنهم يأتون منها بما تعجز عن الإتيان بمثله أمَّة كاملة، بكل ما فيها ومَن فيها؛ إنهم ما عرفوا البطولة بأناشيد ملحنة، ولا خبروها بقصائد منمقة، ولا مثلوها بخطب رنانة، ولا ادعوها بألسنة الشعراء، لكنهم عرفوها دمًا يسيل علىٰ أعتاب البطولة الغالية، وخبروها أرواحًا تزهق للنصر أو الشهادة، ومثلوها تضحيات بالنفس والنفيس في سبيل إيمانهم بالله وإيمانهم بالوطن وإيمانهم بالحياة!!

فشهادة لك من أعماق القلب أيها الشعب المستبسل البطل، ودموعًا تسيل معذرة علىٰ التفريط والتقصير في حقك، وفي خذلانك، وفي غض الطرف عن مآسيك الكبيرة التي أتخمت صدر التاريخ، وأدمت عين المروءة، وخذلت روح الحق، وقرت عين الشيطان.



الأقصى.. مهوى الأفئدة والعقول

السنوسي محمد السنوسي/ مصر[1]

جعل الله تعالىٰ المساجد في الأرض أماكن مطهرة، فيها يذكر المؤمنون اسمه تعالىٰ، وتصعد تكبيراتهم وتسبيحاتهم، ومناجاتهم شاهدة علىٰ إيمانهم به وتضرعهم إليه.. فلا عجب أن تكون المساجد بيوتًا لله وبيوتًا للمؤمنين في آن واحد.. ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[النور: ٣٦، ٣٧].

وإذا كانت هذه هي دلالة المساجد علىٰ حال عمَّارها وزوَّارها، فإن هناك منزلة سامية فوق هذه المنزلة، لثلاثة مساجد ذكرها الحديث الشريف؛ فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ»[2]. فهذه المساجد لها منزلة خاصة في نفوس المؤمنين؛ وبها تتعلق أفئدتهم.

---

(١) صحفي وباحث.

(٢) متفق عليه؛ البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

فالمسجد الحرام فيه أول بيت وُضع للناس، الكعبة المشرفة.. واختص بدعوة خليل الرحمن إبراهيم: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧].

والمسجد النبوي يضم الجسد الشريف لحبيب الحق وسيد الخَلق، محمد ﷺ.

والمسجد الأقصىٰ شاهد علىٰ اتصال الأرض بالسماء في الرحلة العلوية، الإسراء والمعراج.. وعلىٰ إمامة النبي محمد ﷺ إخوانه الأنبياء في تلك الليلة المباركة.

فلا غرو أن تكون هذه المساجد الثلاثة ذات مكانة خاصة في نفوس المؤمنين، وأن تحظىٰ بدرجة كبرىٰ من المحبة والتعلق بها.

لكن الملاحظ أن المسجد الأقصىٰ له مزية أخرىٰ تضاف لمزية «تعلق الأفئدة» به، وهي «تعلق العقول» به.. فهو مهوىٰ الأفئدة والعقول معًا!

و«تعلُّق العقول» الذي نقصده، هو أن محبة هذا المسجد، ومتابعة تاريخه، ومعرفة تطورات الأزمنة المتعاقبة عليه، وإدراك موقعه من مكانة المسلمين الحضارية.. كل ذلك يدل علىٰ حالة



عقلية، وليس علىٰ حالة قلبية فحسب. وبذلك كان المسجد الأقصىٰ مهوىٰ الأفئدة والعقول.

أربع خصائص:

لقد اختص المسجد الأقصىٰ بعدة خصائص جعلته يحظىٰ بهذه المزية.. منها:

أولًا: أن له منزلة بين أتباع الرسالات السماوية.. رغم ما يشوب ذلك من اختلاط التاريخ بالأساطير، عند بعضها. وهنا نشير إلىٰ أن معظم الحضارات القديمة تناوبت السيطرة علىٰ مدينة القدس.. لكن هذه المدينة لم تنعم بالسلام، ولم تعرف الأمان؛ إلا في وجود العهد الإسلامي.

وكما جاء في (وثيقة الأزهر عن القدس الشريف)، فإنه: «إذا كان تاريخ القدس قد شهد العديد من الغزوات والغُزاة، فإن عبرة التاريخ تؤكد دائمًا أن كل الغزاة قد عملوا علىٰ احتكار هذه المدينة ونِسبتها لأنفسهم دون الآخرين.. صنع ذلك البابليون والإغريق والرومان وكذلك الصليبيون.. ثم الصهاينة الذين يسيرون علىٰ طريق هؤلاء الغزاة، ويعملون الآن علىٰ تهويدها واحتكارها والإجهاز علىٰ الوجود العربي فيها. لقد صنع الغزاة ذلك، بينما تفرَّد الإسلام بالاعتراف بكل الشرائع والملل واحترم

كل المقدسات، وتفرد بتأكيد قداسة هذه المدينة وإشاعة ذلك بين كل أصحاب الديانات والملل.. الأمر الذي جعل- ويجعل- من السلطة العربية علىٰ القدس ضمانًا لمصالح الجميع؛ فالقدس في ظل السلطة العربية هي- دائمًا- مدينة الله، الـمُفتَّحة الأبواب أمام كل خَلق الله وعباده»[1].

ثانيًا: أن الأقصىٰ، والقدس عامة، شاهدٌ علىٰ الصراع الذي دام لقرنين تقريبًا، بين الشرق والغرب، فيما عُرف بـ«الحملات الصليبية»؛ والتي كانت شاهدة أيضًا علىٰ الجرائم والمذابح التي ارتُكبت باسم المسيحية، وباسم الدفاع عن المدينة المقدسة.. في مقابل سماحة المسلمين وعدالتهم، وحفظهم الدماء والأعراض لجميع سكان القدس، مسلمين وغيرهم.. وذلك بشهادة المؤرخين الغربيين أنفسهم.

يقول (غوستاف لوبون): «تم طرد الصليبيين من القدس علىٰ يد صلاح الدين الأيوبي الشهير؛ وذلك أن صلاح الدين دخل سورية بعد أن أصبحت مصر وجزيرة العرب والعراق قبضته، وأنه غلب ملك القدس الأسيف (غِي دولوزينيان) وأسره، واسترد

(١) صدرت (وثيقة الأزهر عن القدس الشريف) بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١١م. راجع: مجلة الأزهر، عدد يناير ٢٠١٨م.



القدس في سنة ١١٨٧م. ولم يشأ السلطان صلاح الدين أن يفعل في الصليبيين مثل ما فعله الصليبيون الأولون من ضروب التوحش، فيبيد النصارىٰ علىٰ بكرة أبيهم؛ فقد اكتفىٰ بفرض جزية طفيفة عليهم، مانعًا سلب شيء منهم»[١].

ثالثًا: أن الأقصىٰ، وعموم فلسطين، يقع في بؤرة الحركة الاستعمارية الغربية التي تريد السيطرة علىٰ البلاد العربية، وغرست «إسرائيل» في قلبها، لتكون عامل تأجيج للصراع، وأداة للتفريق والسيطرة. فهي تنوب بالوكالة عن غيرها في استنزاف البلاد العربية، وفي قطع الطريق أمام وحدتها وأمام قدرتها علىٰ استئناف دورها الحضاري.

رابعًا: أن الطريق الوحيد للحافظ علىٰ الأقصىٰ يمر عبر استعادة المسلمين وحدتهم، وعبر وعيهم بأهمية تكاتفهم وترابطهم، ووعيهم أيضًا بأبعاد هذا الصراع الذي يواجهونه ويُفرض عليهم.

لأن الأقصىٰ، وفلسطين عمومًا، ليس ملكًا للفلسطينيين وحدهم، وإنما هو يتجاوز الدائرة الوطنية والعربية إلىٰ الدائرة

---

(١) حضارة العرب، لوبون، ص: ٣٢٩، ترجمة عادل زعيتر، طبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.

الأوسع، أي الدائرة الإسلامية.. فهو ملك للمسلمين عامة، وهم جميعًا عليهم واجب تحريره وإنقاذه.

وهذه النقاط الأربع، وغيرها، تعني أن مكانة الأقصىٰ لدىٰ المسلمين ليس محلها القلب فحسب، وإنما العقل أيضًا.. وأن الارتباط بهذا المسجد، وبمدينة القدس التي تضمه، ليس أمرًا قاصرًا علىٰ الوجدان، وإنما هو بجانب ذلك أمرٌ فكري وعقدي ومعرفي وتاريخي وحضاري!

حضورٌ مستلزَمٌ بالضرورة:

إن الوعي بهذا المسجد، وبالصراع حوله؛ يستلزم بالضرورة:

• **حضور التاريخ:** تاريخ المدينة وتعاقب الدول والحضارات عليها، وسلوك كل أمة إزاءها.. وما يكتنف ذلك من حقائق وأساطير!

• **حضور العقيدة:** فالأقصىٰ هو أولىٰ القبلتين، وثاني المسجدين.. وإليه انتهىٰ مسرىٰ الرسول ﷺ، ومنه كان معراجه إلىٰ سدرة المنتهىٰ.

• **حضور الوعي بطبيعة صراع الغرب مع الشرق:** هذا الصراع الذي يتخذ أشكالًا كثيرة، ويتذرع بحجج متعددة واهية، ولا يتورع عن توظيف الدين والمقدسات في تأجيج النار واستثارة الحماس حوله.

• **حضور الوعي بما لدىٰ أمتنا من طاقات وإمكانات:** فهي أمة ذات قدرة هائلة علىٰ التجدد باستمرار؛ لاستئناف دورها الحضاري، وموقعها في الشهادة علىٰ الأمم.. شريطة أن تحسن توظيف طاقاتها وإمكاناتها. وسبحان الله، كأنما جاء هذا المسجد عبر التاريخ، ليكون «جذوة الأمل» التي تتقد دائمًا، و«نقطة النور» التي لا تنطفئ.. حتىٰ إذا أحاطت بأمتنا المحن، وتعاقبت عليها الأزمات، استمدت مما يجري حول هذا المسجد وقود عزم، وقوة إرادة، وطاقة أمل.. وهكذا يسير التاريخ في دورات متعاقبة.

ولهذا، فالمسجد الأقصىٰ شاهد علىٰ حالة المسلمين من النهوض أو التراجع الحضاري.. فإذا كان المسلمون في عافية، كان المسجد بحوزتهم؛ وإذا ضعفوا وتفرق أمرهم، انتُزِع منهم؛ فكان هذا الانتزاع عقابًا من ناحية، ووقودًا من ناحية أخرىٰ لاستعادة الوعي والرشد، وتنظيم الصفوف من جديد.

عبادًا لنا:

ونخلص من ذلك إلىٰ أن المسجد الأقصىٰ يحوز مكانة عامة في الأفئدة شأن بقية المساجد، ويحوز مكانة خاصة في الأفئدة أيضًا شأن المسجدين الحرام والنبوي.. كما يحوز، بجانب ذلك، مكانة في العقول؛ نظرًا لما دار حوله في تاريخ ممتد، ودورات متعاقبة، لا

تكاد تهدأ حتىٰ تبدأ.. إلىٰ أن يبلغ الكتاب أجله؛ ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[الإسراء: ٨].

وما علينا في ذلك كله، إلا أن نعمل علىٰ استيفاء شروط النصر، ونكون «عبادًا لله تعالىٰ» علىٰ النحو الذي أمر، ليصدق فينا نصره علىٰ النحو الذي وعد: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[الإسراء: ٧].





إنّهم يَسرِقُون أجملَ شَبابِنا!!

أيمن العُتوم/ الأردن[1]

أعظمُ ما جُعِلَتْ مِن أجلِهِ عدالةُ الآخرة ظُلمُ الدُّنيا، ولهذا قال جلّ في عُلاه: ﴿لا ظُلْمَ اليوم﴾. ولولا يقينُ قيام النّاس لربّ العالمين من أجل أنْ يأخذ المظلومون حُقوقَهم لجُنُّوا! فمن يحتمل كلّ هذا الأذىٰ والضّيم والدّمار والموت والهَلاك في غَزّة إذا لم يكنْ مُطمئنًّا إلىٰ عدالة السّماء يومَ الحِساب!

والظُّلْمُ في الدُّنيا قائمٌ وطامٌّ، فيظلمُ كلّ ذي قدرةٍ مَن هو دونه، حتّىٰ لتَخال أنّه لا ينجو منه أحدٌ، وأنّ النّاسَ قسمان: ظالِمٌ وهالِك. فأمّا الأوّل فيعدو علىٰ الثّاني فيحزّه حَزّ الغلاصم، وأمّا الثّاني فيرىٰ عينَي قاتِله قبل أنْ تغرقَ عيناه في الظّلام نحو هجعةٍ لا يستيقظُ منها إلاّ علىٰ النّفخ في الصُّور. وما أبلغ ما قال المتنبّي، وهو يُفتّش عن غريزة الظّلم المركوزة في الإنسان، الّتي تحوّله إلىٰ وحشٍ بَشِع:

والظُّلْمُ من شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ، فَلِعِلَّةٍ لا يظلـــمُ!!

---

(١) شاعر مفلق، وروائي ذائع الصيت، تجوب رواياته ومؤلفاته أقطار العالم العربي قاطبة، وترجم بعضها إلىٰ لغات عالمية.

والموتُ قَدَر. وحَيْنُه أَجَل. ولَحْظتُه لا تملك قُوّة في الأرض أنْ تُقدّمها أو تُؤخّرها، غيرَ أنّه يُعمِلُ تلك اللّحظة في الورود، قبل أنْ تحظَىٰ هذه الورود بشمسٍ دافِئة، أو هَواءٍ نظيف.

ومُصعَبُ كان هذا؛ كان أحسنَ شبابِ مكّةَ لباسًا، وأطيبَهم رائحةً، وأنعمَهم جسمًا، ثُمّ نَظَر الموتُ في عينَيه يومَ أُحُدٍ فاختاره الله شهيدًا في شبابٍ لم يُبلِه إلاّ لله، وفي نِعمةٍ كان يحسدُه أهل مكّة عليها، وفي غِنًىٰ لم يبلغْه أثرياؤها، ثُمّ مِن هذا كلّه خَلَص إلىٰ كفنٍ تقلّص عن جسده، لأنّه كان أكبر من الأكفان كلّها: «كُنَّا إذا غَطَّينا بها رأسَه خرجتْ رِجلاه، فإذا غطَّينا رجلَيه خرجَ رأسُه، فأمرَنا رسولُ الله ﷺ أن نُغطّي رأسَه بها، ونجعلَ علىٰ رِجلَيه إذخرًا».
فلله دَرُّ الموتِ كيفَ يختار أجملَ شبابنا!

وأطفال غزّة كانوا هذا، تأتيهم الطّائرات دون سِواهم كأنّها تُحبّهم، تُفجّرهم الصّواريخ كأنّها تنتقيهم، تقصد الجميلين منهم، الصّغارَ، الّذين لم ينبتْ في قوادمهم ريشٌ بعدُ، الرّائعين ذوي الضّحِكات الّتي تُنسِيك همَّ الدُّنيا وغَمّها، ثُمّ لا تُبقي لهم حتّىٰ أشلاءَهم. مَنْ تُطوِّعُ له نفسُه أنْ يفعل هذا؟ مَنْ يحتمل هذا؟ مَنْ يقدر علىٰ أنْ يفهم هذا؟!

يُزهِرُ الوردُ في الرّبيع. يَفُوح الشَّذىٰ. تصدح البلابل. ثُمّ تأتي



قذيفةٌ عمياء؛ تسحق الورد، وتملأ المكان برائحة مِنْ دُخان، وتخنق البلابل. هذا الاحتِلال وُلِدَ ليقتل، هذه الآلات مُوكّلة بالقَضاء علىٰ كلّ مَنْ لا ينتمي إليهم. ومِن وراء الباب، يسمع الإخوةُ الكِبار أصواتَ الذّبح، ويشمّون رائحة الدّماء الّتي يغرقُ فيها صغارُهم، ثّم لا يُحرّكون ساكِنًا.

يقصفون كلّ شيءٍ. يذبحون الخيول الّتي تجرّ العَرَبات. يطحنون حتّىٰ الحجارة، يهدمون المدارس، يستهدفون الموتىٰ في القبور، ويُلاحِقون مَنْ تبقّىٰ علىٰ قيد الحياة في المستشفيات، يضربون خزّانات المياه حتّىٰ يموت النّاس عطشًا، يدمّرون المخابز حتّىٰ يموت النّاس جوعًا، إذا لم يكنْ هذا تطهيرًا عرقيًّا، وحربَ إبادةٍ فماذا يكون؟!

قالتْ تلك المرأة الغزّيّة المكلومة الّتي لم يبقَ من عائلتها أحدٌ: سنزوّج الشّباب في الثّانية عشرة حتّىٰ نأتي بشبابٍ يقاتلونكم أيّها المحتلّون، وسينجبُ جيلُهم هذا جيلًا بعده يستمرّ في قتالكم، ولن نتوقّف عن الجِلادِ والإنجاب حتّىٰ يرحل آخر صهيونيٍّ منكم بدنسهِ عن طُهْرِ بلادِنا.

تريدون اختِرامَ شبابِنا اليوم؟ إنّ قَدَرَهم واحدٌ، وهم أعدّوا أنفسهم لهذا اليوم، يعلمون أنّ الشّهادة كالنّبوة؛ اختِيار من الله.

وأنّ الموت ينظر في وجوه الذّاهبين إلىٰ ميادين النّزال، فيمسح بيده علىٰ أَقْوَمِهم طَرِيقة، وأَحسنِهم خَلِيقة، ثُمّ يصطحبه إلىٰ جنات النّعيم، وهو يردّد:

قد أجلبَ النّاسُ وشَدُّوا الرَّنَّةْ ما لي أراكِ تكرهينَ الجَنَّةْ؟!

تريدون أنْ تقتلوا نساءَنا حتّىٰ لا تُنجِبَ أطفالًا يأتون مُحمّلين بالثّأر منكم، يزرعون الرّعب في قلوبكم؟ لن تقدروا. نحنُ قومٌ صِبيانه أبطال:

إذا بلَغَ الفِطامَ لَنا صَبِيٌّ تَخرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدِينا

وأطفاله سادة، كلمّا استُشهِد طفل، تَبِعَه علىٰ الطّرق طفلٌ يقودُ المعركة:

إِذا ماتَ مِنّا سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ قَؤُولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعُولُ

إنّه رغم كلّ هذا الموت الّذي يملأ المكان، وينسابُ كالهواء حتّىٰ من بين الشّقوق، لنعرفُ أنّنا كِرامٌ أحرار، وخلفنَا نهرٌ يتبعنا من الكِرام الأحرار كذلك، وحينَ نُسجَّىٰ في الثّرىٰ نسمع نشيد الخلود يهتف بحروفِ الخالِدين:

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ وَقْفًا فَإِنَّني رَأَيْتُ الكَرِيمَ الحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ



نهر التطبيع

إبراهيم مشارة/ الجزائر[1]

تقول الأسطورة إن نهرًا في مملكة من الممالك حال فجأة وكان كل فرد من رعايا المملكة يجن إذا شرب من النهر، وهكذا جن كل من في المملكة إلا الملك وكاتم أسراره، لكنه صادف مشكلة كيف يحكم شعبا مجنونا وهو عاقل؟ صمد أول الأمر لكن في النهاية قرر أن يشرب هو وكاتم سره من النهر ليحكم الرعية المجنونة .

هل صار التطبيع هو نهر الجنون وهكذا علىٰ كل الحكام العرب أن يطبعوا ليحكموا رعاياهم بعد هذا السباق المحموم بين الحكام العرب علىٰ التطبيع؟

في قصيدة قديمة لنزار قباني عنوانها: متىٰ يعلنون وفاة العرب؟ يقول فيها:

أنا منذ خمسين عاما،
أراقب حال العرب
وهم يرعدون، ولا يمطرون
وهم يدخلون الحروب، ولا يخرجون
وهم يعلكون جلود البلاغة علكا
ولا يهضمون

---

(١)كاتب وناقد، صاحب مقالة ثابتة في صحيفة القدس العربي.

أنا منذ خمسين عامًا أحاول رسم بلادٍ
تسمّىٰ مجازًا بلاد العرب
رسمت بلون الشرايين حينًا
وحينًا رسمت بلون الغضب
وحين انتهىٰ الرسم، ساءلْت نفسي:
إذا أعلنوا ذات يومٍ وفاة العرب
ففي أي مقبرةٍ يدفنون؟
ومن سوف يبكي عليهم؟
وليس لديهم بناتٌ
وليس لديهم بنون
وليس هنالك حزنٌ،
وليس هنالك من يحزنون!!

الأكيد أن الزمن الذي كتب فيه الشاعر نزار هذه القصيدة كان أفضل من هذا الزمن فالأيام تترىٰ هوانًا وذلًا وضعة واليوم الذي يمر أفضل من تاليه فلن ينتصف القرن قبل أن نرىٰ تهويدًا لشبه الجزيرة العربية ثم يستدير المارد العبراني أو طائر العنقاء العبراني الذي بعث من رماده إلىٰ سائر بلاد العرب وسوف يدفع الجميع المكوس والتعويضات عن كل ذرة رمل ملكها عبراني يومًا ما ثم تركها سيدفعون التعويضات بكل أريحية.

هل هذا سوف يحدث؟ بالتأكيد سيحدث فإذا رأيت حجرًا يسقط

بتأثير الثقالة فلا تشك بارتطامه بالأرض وإنما تعلم قوانين الفيزياء لتحسب عجلة الجاذبية وسرعة السقوط أما الارتطام فلا مرد له، اللهم إلا إذا تخندقت الشعوب العربية جميعا في خندق الرفض وفرضت علىٰ الحكام المطبعين التراجع، والأمل معقود علىٰ المقاومة بكافة أشكالها.

في مقالتي«**هموم تربوية وأكاديمية عربية**» المنشورة في جريدة القدس العربي بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠١٩ تحدثت عن الجوائز النفطية وكان الهدف تبيان كيف تم تمييع الثقافة وتحويلها إلىٰ سلعة تجارية مثل إيف سان لوران ولاكوست وبيار كاردان لقد تم منذ التسعينيات الالتفاف علىٰ العواصم الثقافية العربية العريقة كالقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد وصنعاء والرباط تلك التي شهدت أمجاد الشعر والنثر والفكر والشموخ والصمود وهي العواصم العريقة منذ العصر القديم، لقد تم الالتفاف عليها وتحولت عواصم الثقافة إلىٰ مدن الخليج «مدن الملح» كما يسميها الروائي الراحل عبد الرحمن منيف، حيث الثقافة مثل الأفلام الأمريكية والعطور الفرنسية والغرض فصل الذاكرة العربية عن محيطها الطبيعي العواصم العربية العريقة أي العواصم من القواصم.

وهل كان انفجار مرفأ بيروت حادثًا مُدبرًا يتزامن مع حادثة التطبيع هذه أم حادثًا عرضيًّا يجري الاستثمار فيه؟ والإجهاز علىٰ

آخر خلية مقاومة في الشرق الأوسط، لبنان الصغير بجغرافيته الكبير بثقافته ومواقفه وتاريخه لبنان الذي علم الإنسانية بالقلم وأهداها أبجديتها؟

وبيروت الصمود التي تختزن في أحشاء طرقاتها قصة الإباء وفي تلافيف مخها أنوار المعرفة؟ وفي جذوع أرزها الثبات وفي قمم جبالها الشموخ.

في قصيدة قديمة للشاعرة الفلسطينية فدوىٰ طوقان تتحدث عن الشقيقات السبع اللائي تحذر منهن فلسطين، نفس النغمة تسمعها في آهات الشعراء المقاومين من إبراهيم طوقان إلىٰ عبد الرحيم محمود إلىٰ فدوىٰ طوقان وأبي سلمىٰ و محمد القيسي إلىٰ سميح القاسم ومحمود درويش إلىٰ عز الدين المناصرة وغيرهم تقول فدوىٰ طوقان من قصيدة (نبوءة العرافة):

لكنما الرياح في هبوبها

تقول حاذري

إخوتك السبعة

تقول حاذري

إخوتك السبعة

وغني عن البيان أن الدول العربية التي انهزمت في حربها ضد إسرائيل سبع دول، وقد سئل المرحوم ساطع الحصري لماذا انهزم



العرب ضد إسرائيل في ١٩٤٨ وهم سبع دول فقال: انهزموا لأنهم سبع دول!

لكن ماذا يفعل المطبّعون إزاء النصوص القرآنية التي تتوعد بني إسرائيل؟ هل سنشهد قرآنًا عربيًّا آخر مبتور الآيات علىٰ شاكلة كتب النحو الإنجليزي المختصرة؟

إن إسرائيل كما ينص كتابها الذي عملت فيه أيادي التشويه والتحريف بغرض السيطرة والإخضاع للآخرين وكما تنص بروتوكولات حكماء صهيون فالآخرون من غير الملة اليهودية يجوز نهبهم وسلب حقوقهم لأنهم في درجة دنيا، ووجَدنا من اليهود من ينكر هذه النرجسية والسادية من قبل إسرائيل المحتلة لأرض فلسطين، فهاهو ديفيد وايز الحاخام اليهودي يعلن أن قيام إسرائيل معاد للتوراة ذاتها حيث قضىٰ الله علىٰ بني إسرائيل بالشتات وأن اجتماعهم في أرض فلسطين سوف يكون مآله الفناء المحتوم. وهذا كاتب آخر هو شلومو ساند يكتب كتابين يشرح من خلالهما الصلف الإسرائيلي والنصب والخديعة في كتابيه «اختراع أرض إسرائيل» و«اختراع الشعب اليهودي» وقد تكفل الراحل عبد الوهاب المسيري بالتصدي لشرح العقيدة الإسرائيلية الصهيونية في موسوعته «اليهود واليهودية والصهيونية» وفي

الموسوعة فصل مهم عن حتمية الحل بالمقاومة نعني الفصل الموسوم: «من الانتفاضة إلىٰ حرب التحرير الفلسطينية».

وليس لدىٰ العرب والمسلمين عقدة إزاء اليهودية كدين واليهود، فقد اعترف آبا إيبان وزير خارجية إسرائيل السابق أن اليهود عاشوا منعمين في التاريخ مرتين مرة في الأندلس مع المسلمين واليوم في أمريكا، وإن دل هذا علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ مدىٰ التسامح والتعايش الذي يضمره الإسلام كدين للأديان والملل الأخرىٰ.

إن السلام العادل هو السلام الذي تفيض به القلوب وتتمثله الأرواح ولن يتأتىٰ إلا بإعطاء كل ذي حق حقه. أما السلام المفروض سلام الخروف والذئب، فمصيره الفشل ولو بعد لأي ولو بعد زمن طويل كأنه الأبد.

لهذا ففي ذرات حائط الأقصىٰ وفي سمائه وفي دروب القدس ملايين اللاءات فما زال **حنظلة** ناجي العلي مقاومًا ورافضًا وسيهزم بعناده ولامبالاته جحيم الآلة الإعلامية التي سوقت للتطبيع علىٰ جثث الضحايا الأبرياء وزيتونهم وأرضهم وسكوت العرب المولعين بالكراسي والمناصب ولو رهنوا شعوبهم.



ثورةُ سجنٍ مقلوب

إضحوي الصعيب/ العراق[1]

يكون السجن مقلوبًا عندما يَحتجز بدل المجرمين نساءً بلا خطايا وأطفالًا بلا زهور وأجنّةً في الأرحام. عندما لا يَحتجز إلا دعاة الحرية وحمَلة المباديء ورموز الفداء. يكون مقلوبًا عندما يمنع اللقمة عن الأفواه والهواء عن الأنوف والمخدر عمن تشرحه المباضع.

مَن رأىٰ قبل غزة سجناء محكومين قبل أن يولدوا إلىٰ ما بعد الموت، فأجداثهم مشمولة بالمؤبدات؟. وبشرًا يتمسكون بأحلام الطفولة عندما تدركهم الشيخوخة فيعافون اليأس رغم يقينهم بأن الموت أقرب، ويعاهدون الأمل الأخضر علىٰ اللقاء في حياة أخرىٰ نستخف بها ويلمسونها باليدين!

سجنٌ تولد فيه المعجزات وتبهت الطلقاء خارج الأسوار، فتُصنع في سراديبه المظلمة أحدث تقنيات الحرب لتواجه أعقد ما وفرته القوىٰ الكبرىٰ للسجان من سلاح. ويرتعب الجيش العرمرم أمام فتيةٍ نبتت لهم الأجنحة من فورة الدم الأبي وطاروا كالصقور

(١) كاتب وسياسي.

إلىٰ حيث تتهاوىٰ قلاع الجبروت.

لم نسمع من قبل وإنما نرىٰ الآن بالعينين حاملات طائرات وغواصات نووية وكل آلة الحرب الغربية تهرع بحرًا وجوًا لأن سجنًا موصدًا منذ ستة وخمسين عامًا تحول فجأة إلىٰ نيزك ملتهب يخطف الأبصار. لم يهدد الصهاينة في أي من حروب العرب الرسميين بإلقاء قنبلة ذرية علىٰ المدنيين، بل ولم يعترف أحدهم بامتلاكه الأسلحة النووية، ولم يستنجد بالخارج وهو يواجه جيوش العرب مجتمعة فإذا به أمام ثلة من الرجال المؤمنين يستصرخ كل قوىٰ الشر في الوجود فتتداعىٰ إليه علىٰ عجل مخافة انهياره السريع.

في لحظة عجيبة من التاريخ خلع الغرب الاستعماري عن وجهه جميع الأقنعة الزائفة والمسوح الكاذبة لتنكشف أمام عين الشمس فظاعات حرصوا علىٰ إخفائها مئة عام متظاهرين بمُثل موهومة لاكتها ألسنتهم المترفة بتبجح واسترخاء. لم تفلح عشرات الثورات في العالم أن تنزع عن قذارتهم أرديتها المزركشة فنزعتها غزة مرةً وإلىٰ الأبد. وهكذا انشطر كوكب الأرض انشطاره الكلي بين حكام والغين بالدماء وشعوب تأبىٰ لها إنسانيتها الرضوخ للجور والعدوان، فانتفضت تحركها دماء الأبرياء التي تسفك ظلمًا وبغيًا، لتزين عالم اليوم بما لم يشهد



تاريخه الطويل من طوفان بشري يسد الآفاق.

لقد فقد الصهاينة صوابهم، وتقيأوا ما يعز قوله حتىٰ في رؤىٰ المنام من درجة الحقد والكراهية وانحطاط الأخلاق. نطقوه تحت هول الصدمة، معترفين بكل ما يتوارىٰ في نفوسهم من إرادة الإجرام، ولن يستطيعوا حذفه بعد انجلاء الغبرة إذا قُدّر لهذه الغبرة أن تنجلي لهم عن بقاء. فهذا زمن التوثيق ولقد وثّق أن أبناء غزة كانوا النقيض للعدو في الخلق والإيمان ورباطة الجأش.

لقد جارت علينا الأقدار بأن نكون الأمة الأوسع انتشارًا والأكثر ترهلًا والأقل كرامةً بين أمم اليوم، تاريخنا الحديث سجل هزائم وانكسارات وتآمر وخيانة وعار يستدعي احتقار البشرية لنا. فقيّض الله لنا كائنات سماوية تنبت من تحت الأنقاض لتصنع الأهوال وترفع شأننا بين الأقوام وتجعل الغرب، الذي لم يستنفر يومًا أمام أنداده النوويين، يخرج عن بكرة أبيه لمواجهة هؤلاء السجناء الذين استطاعوا بالإرادة الحديدية أن يوجدوا التحدي بأجلىٰ صورهِ ويحيلوا أحجار سجنهم الأصم إلىٰ شهب تروي ظمأ الأحرار في كل مكان وتُرىٰ من كل كوكب في الكون. حاولوا بذلك تقديم زورق المجد لنا كي نعبر من ضفة الهوان المخزية الىٰ ضفة المجد الرحبة، وإذا بنا نتشبث بموقعنا العفن ونضيف ذلًا إلىٰ ذلنا المقيم بامتناعنا حتىٰ عن فتح معبر أو نفق لعبور اللقمة والدواء.

لم نجرؤ علىٰ صدىٰ مظاهرة واحدة من مظاهرات الشعوب الحية في مغارب الأرض ومشارقها وهي تزلزل الأرض تحت أرجل الطغاة بهدير هتافاتها المدوية. ولبثنا في مستنقع هزالنا نجتر أدعية خرقاء ونوزع تطلعاتنا علىٰ قلوب الجبابرة في أقاصي الأرض لعلها ترق عند درجة عليا من منسوب دماء أطفالنا في غزة فتتكرم علىٰ بؤسنا بهدنة أو شبه هدنة. وتخور قوانا نحن الرجال دون مشاهد الأمهات في غزة وهن يسحبن أنصاف أطفالهن من تحت الركام بصلابة قرأنا عن معشارها في كتب التاريخ فأعوزنا التصديق. أفما نصدّق الآن هذه الملاحم التي تجللنا بالسواد وتجلل صانعيها بفخر لا يزول أبد الآبدين؟

كل حاضر سيصبح ماضيًا وتراه الأجيال اللاحقة بمقاييس مطلقة لا تمت لظرفية عابرة. ولسوف تمر أمتنا في طريقها الطويل بأجيال من أبنائنا ضافية الكبرياء وافية العزة تأسف بالدموع السجام لهذه الحقبة السوداء من تاريخ لم يتناقض قبله تاريخ بين أقلية أحالت دمها سيوفًا وأغلبية أدمنت الضعف والانكسار صغرت وتخنثت وأخجلت بتدنيها السابقين واللاحقين. لكن لنا أملًا رقراقًا بأن توقد هذه التضحيات الجسام في غزة شعلة الغيرة والحمية داخل القلوب الباكية باستسلام فتنسلخ عن استسلامها وتفعل بعض ما يفعل الفلسطينيون ليحق لنا أن نكون كغيرنا من أباة الضيم.



القضية الفلسطينية
في البرازيل وأميركا اللاتينية

بلال رامز بكري/ لبنان[١]

في بدايات حياتي المهنية كطبيب، عملْت في طب العائلة والطوارئ في أطراف ساو باولو الفقيرة. وكان زبائني من الفئات الاجتماعية المستورة وما دون ذلك من سكان ضواحي حاضرة ساو باولو ذات السمة الكوزموبوليتية. ففيها ما فيها من مختلف الأجناس والأعراق والديانات والتوجهات الفكرية والعقائدية. فهي وإن كانت العاصمة الاقتصادية للبلاد، فإن لها ثقلها السياسي والثقافي والإعلامي بالتنوّع الكبير الموجود فيها وبتلاقح الأفكار والتيارات والنزعات. والجاليات العربية والإسلامية هي من ضمن الجاليات التي لها حضورها البارز في كافة المحافل. ولئن كان معظم أفرادها من الطبقة الوسطىٰ بأقطابها العليا والسفلىٰ في السلّم الاجتماعي، فإن هناك أيضًا فئة المعوزين والمحتاجين من سكان الأطراف والضواحي والعشوائيات. وأعترف أن هذا كان اكتشافًا أتاحته لي تجربتي العملية كطبيب عائلة وطوارئ.

---

(١) طبيب وكاتب، يقيم في البرازيل منذ ١٩٩٧م، له نشاط إعلامي وقلمي باللغتين العربية والبرتغالية.

فمنذ ما يقارب العقد من الزمن، وخلال عهد رئيسة الجمهورية اليسارية ديلما روسيف، كنت أعمل في أحد المراكز الطبية الحكومية في أحد أحياء الأطراف الفقيرة. وكان أن جاءني زبون ذو اسم إسلامي.

كان كهلًا في أواخر العقد الخامس أو بدايات العقد السادس جاء لاستشارة طبية برفقة زوجته الشابة التي يبدو أنها تصغره بما يقارب العقدين من الزمن. وجريًا علىٰ عادتي لدىٰ لقائي بزبائن عرب أو من أصول عربية، تودّدْت لزبوني هذا وشرعْت في التعارف وفي سؤاله عن أصوله. فأبلغني أنه فلسطيني الأصل وأن والده المتوفّىٰ قدم إلىٰ البرازيل منذ عقود وأنه وشقيقه وُلدا علىٰ الأراضي البرازيلية. وعندما سألته عن مسقط رأسهم قال لي: إنها بلدة دير ياسين. فلم أستطع إخفاء تعجّبي واندهاشي، وقلت له يا للهول أنت من القرية التي ارتكب فيها الصهاينة واحدة من أبشع مجازر النكبة. وهنا كان تعجبي واندهاشي أعظم بما لا يقاس حين أبلغني زبوني هذا أنه لا يعلم شيئًا عن هذه المجزرة المروّعة التي طبّقت شهرتها الآفاق! فاستشنعت الأمر واستقبحته، وإن كنت داريت ذلك بكتمانه عن زبوني الذي يبدو أنه اندمج اندماجًا نهائيًّا في المجتمع البرازيلي. وتشعّب الحديث قليلا وتوالت الدردشة بشكل يتجاوز أي كشف طبي اعتيادي. فهذه كانت

واحدة من المرات النادرة التي أصادف فيها فلسطينيين طيلة سنين اغترابي الطويلة التي كانت حينها تقارب الخمسة عشر عامًا والتي تجاوزت اليوم الستة والعشرين عامًا.

علمت من زبوني أنه يعمل في تجارة الملح وأنه مندمج كليًّا في المجتمع البرازيلي، لدرجة أن زوجته الإنجيلية قد أقنعته معها بارتياد إحدىٰ كنائس الإنجيليين الجدد المنتشرة كالنار في الهشيم في أطراف ساو باولو وضواحيها. وكم امتعضت وكظمت غيظي واستيائي معًا عندما راحت هذه الزوجة تظهر تأففها واستياءها من استرسالي في الحديث مع زوجها وراحت تحاول إيقافه. وهذا ما زاد من تشبثي بالدردشة ومن تعمّدي إغاظة هذه الفتاة قليلة الأدب. وفكّرت في نفسي: أيعقل أن يترك المرء دينه وينسىٰ هويته وينساق وراء خزعبلات ودجل الإنجليين الجدد؟ إنها لنكبة أشد من نكبة ١٩٤٨ وإنها لهزيمة أعظم من هزيمة ١٩٦٧.

الإنجيليون الجدد:

ولم تكن دهشتي من اعتناق زبوني الفلسطيني صاحب الاسم الإسلامي لأحد مذاهب الإنجيليين الجدد ناشئة من فراغ. فكنت طوال سنين اغترابي ألاحظ الصلة الوثيقة التي تربط كنائس الإنجيليين الجدد بالصهيونية وبكيانها المحتل. وبعد بحثي عن الموضوع وقراءتي عنه، توكّد لديّ هذا اليقين أكثر فأكثر. فلا يفتأ

قسيسو هذه الكنائس عن إعلاء شأن الكيان الصهيوني ورفع أعلامه في محافلهم وعن تنظيم رحلات سياحة دينية إلىٰ الأراضي الفلسطينية المحتلة. ويظهر هذا الارتباط في جملة من الشعائر والطقوس، مثل استخدام رمز الشمعدان ومثل تهميش حضور سيدتنا مريم البتول عليها السلام، لدرجة أن اسمها لا يكاد يذكره الإنجيليون الجدد، بخلاف الكاثوليك والأرثوذكس الذين يعظمون من شأن مريم عليها السلام ويبجّلونها ويوقّرونها توقيرًا عظيمًا.

وتجّلت هذه الصلة المشبوهة والوثيقة بين الإنجيليين الجدد والصهيونية بشكل أوضح وأفضح حين وصل اليميني المتطرف جايير بولسونارو إلىٰ سدة رئاسة الجمهورية مع مستهل العام ٢٠١٩، إثر الانتخابات التي فاز فيها علىٰ المرشّح اليساري فرناندو حداد، ذو الأصل اللبناني، في العام ٢٠١٨. كان جايير بولسونارو يجاهر بانتمائه الديني للانجيليين الجدد وكان يحظىٰ بدعم واسع من كنائسهم علىٰ مختلف مذاهبها. ولم يكن أمرًا عابرًا أن مجرم الحرب بنيامين نتنياهو كان أول الزائرين لتهنئة جايير بولسونارو بمناسبة اعتلائه أعلىٰ منصب في الدولة البرازيلية. وكان لافتًا في الانتخابات الرئاسية التي أجريت في العام ٢٠٢٢ أن زوجة بولسونارو ذهبت إلىٰ صندوق الاقتراع للإدلاء بصوتها وهي مرتدية قميصًا مطبوعًا علىٰ صدره علم الكيان الصهيوني. لكن هذا



لم يَحُل دون الخسارة الموجعة لزوجها في معركة الولاية الثانية.
ولم يكن أمرًا عابرًا أيضا ظهور أبناء جايير بولسونارو بقمصان عليها رموز صهيونية، في إظهار سافر للموالاة لدولة أجنبية علىٰ حساب هيبة السيادة الوطنية البرازيلية.

علىٰ أن الإظهار الوقح والسافر لولاء العائلة البولسونارية للكيان الصهيوني لم يمنع شرائح واسعة من الجاليات العربية والإسلامية من التصويت للمرشح اليميني المتطرف المتصهين.
ولم تجدِ نفعًا مع أولئك أي حجج أو أي منطق في ثنيهم عن دعم حليف الصهيونية المعلن. والذرائع لذلك كثيرة والتبريرات أكثر. لكنها كلها تبقىٰ عاجزة عن تقديم أي سبب مقنع للإقدام علىٰ هذا «الإثم» إن صح التعبير، ولا أجد تعبيرًا أكثر إيفاء بما اقترفه أولئك من «الإثم».

وهكذا فإن زبوني ابن دير ياسين المنكوبة لم يكن الوحيد الذي ضلّ سبيل الانتماء والهوية. ولكن لا بد لنا من الإشارة هنا إلىٰ أن الجالية الفلسطينية في البرازيل كانت تقريبًا صوتًا واحدًا في تأييدها لليسار ورفضها لليمين المتطرف. وهذا ما أظهرته صناديق الاقتراع في الضفة الغربية وقطاع غزة لفلسطينيين يحملون الجنسية البرازيلية.

الجاليات العربية والجاليات اليهودية:

واحد من أبرز مشافي البرازيل، ولعله أبرزها علىٰ الإطلاق،

هو المشفىٰ السوري اللبناني الذي يقع في مدينة ساو باولو. هذا المشفىٰ قد صار قبلة المشاهير وأهل السلطة للاستشفاء والعلاج. فرئيس الجمهورية الحالي زعيم اليسار لويز إيناسيو لولا دا سيلفا وغيره من المشاهير يستخدمون هذا المشفىٰ للعلاج. في المقابل، هناك مشفىٰ ألبرت أينشتاين في نفس مدينة ساو باولو، وهو تابع للجالية اليهودية وينافس المشفىٰ السوري اللبناني في اجتذاب المشاهير. وهو المشفىٰ المعتمد من رئيس الجمهورية السابق اليميني المتطرف جايير بولسونارو. ولعل في هذين المشفيين المرموقين، واللذين هما أبرز مشافي البرازيل بلا جدال، مثال علىٰ المكانة التي بلغتها كل من الجاليتين العربية واليهودية في هذا البلد.

ولئن كانت المنافسة علىٰ أشدها بين المشفيين العربي واليهودي، فإن هذا الظاهر ليس مدعومًا بباطن يوافقه. فالصفة العربية للمشفىٰ السوري اللبناني هي صفة اسمية وفولكلورية فقط اليوم، والمشفىٰ هو برازيلي الهوية اليوم تمامًا. وهذا بخلاف المشفىٰ اليهودي الذي لا يزال فاعلًا في القضايا السياسية والاجتماعية التي تهم اليهود. وعندما نقارن بين الجاليتين اليهودية والعربية في البرازيل، لوجدنا أن وزن وتأثير الجالية اليهودية أكبر بكثير من حجمها الصغير إذا ما قورنت بالجالية العربية. فالعرب في البرازيل نجحوا كأفراد نجاحا باهرا وفشلوا كجماعة. أما اليهود

فمنظَّمون تنظيمًا يتيح لهم نفوذًا كبيرًا في مرافق عديدة حساسة، من السياسة إلىٰ الإعلام والأعمال والقضاء والوسط الأكاديمي. لذلك فهم يملكون الأدوات للتأثير علىٰ الرأي العام في البرازيل. وهم يستطيعون تجاوز الخلافات في ما بينهم من أجل المصلحة العليا للجماعة. أما أفراد الجالية العربية فتجد أنهم يعكسون التنابز والتباغض والتشرذم الحاصل في الأوطان الأم.

وهذا كله ينعكس علىٰ تناول القضية الفلسطينية في الأوساط السياسية والاجتماعية والإعلامية في البرازيل. فاليهود يملكون الأدوات التي تروّج لسرديتهم ترغيبًا وترهيبًا، إما عبر الترويج للضلالات والأكاذيب، أو عبر الاضطهاد الخفي وغير المعلن، أو حتىٰ المفضوح، لكل من يرفع راية القضية الفلسطينية. ولهذا فإن قوىٰ اليسار هي التي تقوم بالدور المحوري في دعم القضية الفلسطينية، نظرًا للشلل والهزال الذي تعاني منه الجالية العربية المليئة بالتناقضات والغائبة عن المشهد كجماعة، رغم بعض المبادرات الفردية لأفراد أو جمعيات أو منظمات ذات طابع عربي وإسلامي هنا وهناك.

مواقف دول أميركا اللاتينية:

في معركة «طوفان الأقصىٰ» التي بدأت في السابع من أكتوبر من العام الحالي ٢٠٢٣، كان لبعض دول أميركا اللاتينية مواقف

مشرفة حيال المجازر المروّعة والفظائع الشنيعة التي ارتكبها الكيان الصهيوني بحقّ أهالي غزة العزّل، بأطفالهم ونسائهم ومسنيهم ورجالهم. لقد قامت كل من كولومبيا وبوليفيا والتشيلي وهندوراس وبيليز بإظهار رفضهم وغضبهم الشديد حيال الكيان الصهيوني، باتّخاذ إجراءات دبلوماسية من نوع سحب السفير أو قطع العلاقات. وكانت هذه المواقف الأميركية اللاتينية الأكثر تشريفًا وتماشيًا مع الكرامة الإنسانية بين دول العالم قاطبة.

أما الدول العربية والإسلامية فإنها عجزت أن ترتقي إلىٰ مستوىٰ دول أميركا اللاتينية في إدانة الكيان الصهيوني والتعاطف مع الضحايا الفلسطينيين. وعجزت صور المجازر والفظائع عن تحريك هممهم وإيقاظ غيرتهم. فتركوا غزة لمصيرها، وعجزوا عن الارتقاء إلىٰ مستوىٰ الأميركيين اللاتينيين الذين لا تربطهم بالفلسطينيين روابط القومية والدين واللغة. فيا حيفًا علىٰ هذه المواقف للدول العربية والإسلامية. وتحية كبيرة لدول أميركا اللاتينية علىٰ مواقفها المشرّفة. وهذا ما يصنعه التعاطف مع القضية الفلسطينية في بلدان أميركا اللاتينية.





ليلنا خمر

حاتم سلامة/ مصر[1]

منذ أن بدأ طوفان الأقصىٰ والدنيا قد توقف فيها كل لون من ألوان الحياة مما كنا نألفه حولنا، فهو الحداد الذي لا يتوقف، والعزاء الذي لا نعلم له نهاية.

وأقصىٰ ما نطالب به اليوم من حقوق فلسطين علينا أن ندعمها بالحس والشعور، وتكون أفعالنا ومكتوباتنا مُكتوية بنيران المحنة وألم المصاب، في الوقت الذي نرىٰ فيه كثيرًا من الناس يلهون ويمرحون ولا ترىٰ في عاطفتهم أي مسحة من الأسىٰ علىٰ إخوانهم.

ما حدث في أعقاب المحنة في مصر بين الفنانين والسقوط المذهل للفنان المصري بيومي فؤاد، والانتصار الكبير لزميله الفنان محمد سلام، لم يكن موجودًا علىٰ المستوىٰ الفني فقط، بل نرىٰ هذا الخذلان موجودًا بهيئته وصورته حتىٰ علىٰ الساحة الأدبية، فمن العار الكبير أن يذهب أديب لمناقشة رواية رومانسية أو ديوان شعر غرامي في صالون أدبي أو ندوة أدبية، والمسلمون

(١) صحفي ومؤلف وناقد، له عشرات الكتب في مجالات عدّة، وصاحب مبادرات ثقافية مشهودة.

في غزة تُنحر رقابهم، وتعلن أرض غزة أنها تشبعت بالدماء التي توشك أن تتحول فيها إلىٰ أنهار جارية.

محنة غزة ليست مجرد محنة شعب يتعرض للإبادة، بل هي اليوم الشهادة الكبرىٰ والاختبار الأعظم علىٰ ...

ضميرك إن كان حيًا أو ميتًا.

علىٰ إحساسك إن كان يقظًا أم متبلدًا.

علىٰ شعورك إن كان دافقًا أم متجمدًا.

كثيرون منا فقدوا معنىٰ انتمائهم العربي والإسلامي، وصاروا يقيمون الحفلات والليالي الملاح، وإخوانهم في أتون الجحيم عاجزون لا نصير لهم.

لا نطالبك أن تحمل السلاح وتنجدهم، فلن تستطيع فعل ذلك، فقط نطلب منك أن تكون علىٰ الأقل في مستوىٰ الحدث، تقدر مسؤولية قلمك وأدبك في نصرة إخوانك، والتحام مشاعرك بهمهم، وإحساسك بمصابهم.

تحترم المصيبة فلا تواجهها بمرح وانتشاء، تخشع للدماء فلا تقوم بما يثبت أنك غير عابئ بمصيبة أو مفزوع لبلواء.

في خضم الأحداث المريعة والمذابح الهائلة والإبادة الجماعية التي يتعرض لها الفلسطينيون في غزة، تحرك العالم كله وخرج عن

صمته، وراعه ما يفعله اليهود في الشعب الأعزل، ولم تنطل عليه الخدع الإعلامية التي يمارسها اللوبي الإعلامي الصهيوني، ويعد لها منذ أزمان طويلة، ليصور للجميع أن اليهود أصحاب الحق في هذه البلاد، ولكن كل ذلك ضاع سدىً، حينما كشف الصهاينة عن حقيقتهم وعنصريتهم وحقارتهم، والبشاعة التي أبانت أخس عناصر البشرية، التي استحلت دماء الأطفال والنساء والضعفاء، ولم ترحم الشيوخ ولا المسنين ولا المصابين في المستشفيات، وهم ملقون علىٰ الأرض مضرجين بدمائهم في نزعهم الأخير، يرجون من يغيثهم وينجيهم ويهب لهم الحياة ولكن لا مجيب!

لكن لندع العالم وأحراره وننظر هنا بين أيدينا وفي بلداننا العربية.. فقطاعات كبيرة تعمل علىٰ بتر أي مشاعر للانتماء والموالاة سواء الإسلامية أو العربية، فقد قرأت للشيخ الغزالي رحمه الله في بعض كتبه منذ سنوات طوال وهو يقول: الكيان الإسلامي يتقطع في مواضع كثيرة، وإذا الأعداء ينفردون قديمًا بالقدس أو بأنطاكية أو ببغداد، أو الفلبين أو نيجيريا ويذيقون أهلها الحتوف، وبقية المسلمين في المدائن والقرىٰ جاهلون أو عاجزون.

أمس كنت أتابع الاستماع إلىٰ آخر الأنباء عن مجزرة الفلسطينيين في بيروت، وسمعت أن رفات الموتىٰ لا يزال متناثرًا

في أنحاء المخيمات، وأن عفونة الجثث بدلت برائحة الجو، وأن رجال الصليب الأحمر، شرعوا يحفرون مقابر جماعية ليخفوا آثار المأساة أو ليمنعوا انتشار الأوبئة.

وحولت مؤشر (الراديو) لأسمع كلامًا آخر، فإن روحي يكاد يزهق من الحزن!!

وصدَمتْ أذني إذاعة القاهرة وهي تقدم للمستمعين في فترة الظهيرة من ٢١ سبتمبر ١٩٨٢ -أو أيلول الأسود كما يسميه البعض - أغنية عبد الوهاب «ليلنا خمر» .!

ورأىٰ أحد جلسائي تغير وجهي، وهمست وأنا مستغرب: كان من الممكن أن تقدم الإذاعة للمغني نفسه، وللمؤلف نفسه، قصيدة: أخي جاوز الظالمون المدىٰ فما هذا العمىٰ؟!

إن قصيدة (ليلنا خمر) ما يجوز أن تذاع أبدًا، فالإسلام يحرم الخمر ليلًا ونهارًا، وعندما كانت الخمر مباحة في الجاهلية العربية حرمها العرب علىٰ أنفسهم عندما يضامون ويكون لهم ثأر، حتىٰ لا تنسيهم الخمر ألمهم وتسليهم عن مصابهم.

فكيف يسمعون الآن من يغنيهم بصوت رخيم «ليلنا خمر»؟

لكن واضعي البرامج والمشرفين علىٰ الإعلام في واد آخر، إنهم ينادون من مكان بعيد ويظهر أن العرب أصبحوا الآن بعرًا



علىٰ صعيد هذه الأرض، فهم يتلقون الأذىٰ سكارىٰ أو طلاب سكر.

وهكذا ومن قديم ضاع الحس والشعور بمحنة الأشقاء.. فإذا قستَ التعاطف العالمي بمحنة غزة وأهلها بواقع التعاطف في البلدان العربية والإسلامية، لوجدت الفرق في المقارنة هائلًا مريعًا.

هذا بخلاف ما يقدم عليه اليهود أنفسهم في خدمة قضيتهم ووجودهم والدفاع عن باطلهم.! بكل الطرق والسبل في شتىٰ الميادين.

تأمل ما حدث للكاتب المبدع (عبد المنعم الصاوي) في تلك الحادثة التي يرويها لنا فيقول: «قبل نحو ثلاثين عامًا، أُتيح لي إعادة اكتشاف دور الأدب في الصراع الدولي، وقدرة رواية علىٰ أن تفعل في الهند ما لا تستطيع اثنتان وعشرون سفارة عربية، ومكتبان أحدهما لجامعة الدول العربية، كان يترأسه د. كلوفيس مقصود، والآخر لمنظمة التحرير الفلسطينية.

كنتُ في زيارة لإحدىٰ كبرىٰ مزارع البُن في جنوب الهند، حين كلّف صاحب المزرعة الثري، ابنته الشابة بمرافقتي، وزميل صحافي فلسطيني، يحمل الجنسية الأردنية في جولة بالمزرعة، وفي أثناء الجولة سألت الفتاة عن البلاد التي ننتمي إليها، فقال لها صديقي: أنا من فلسطين، فاتّسعت حدقتا الفتاة، وتساءلت

بدهشة: أين تقع تلك الفلسطين؟! حار صديقي في الشرح، ورحت أحاول مساعدته، فرسمتُ لها خارطة فوق الرمال، وأشرت إلىٰ موقع فلسطين علىٰ الخارطة، وإذا بالفتاة تصرخ: لا.. لعلّك تقصد إسرائيل؟! وعندما سألتها: من أين سمعت بإسرائيل؟ قالت: قرأتُ رواية ليون أوري، أي (سفر الخروج)، إنها الأكثر مبيعًا في الهند، بيعت منها ملايين النسخ، ثم قرأتُ للكاتب ذاته رواية (واقدساه)، آنذاك لم تكن لإسرائيل سفارة بالهند، فيما تفسح نيودلهي صدرها لاحتضان مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية، يقضي رجاله معظم وقتهم حول مسبح فندق (أوبروىٰ) بنيودلهي؛ ليكحلوا عيونهم -علىٰ حد تعبيرهم- بمشاهد نساء شرق أوروبا اللائي يمضين يومهن بالمسبح، بانتظار عودة أزواجهن (الخبراء الأجانب) من أعمالهم.

(سفر الخروج) للأديب الأمريكي اليهودي (ليون أوري)، فعل لإسرائيل ما لم تفعله كل سفارات العرب، وكل مكاتب الجامعة العربية، وكل مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية».

ولعل المشهد يدعونا إلىٰ بعض المقارنات بين معنىٰ الانتماء في نفس اليهودي، وصورته في نفس العربي، لنجد اليهودي يعيش لمجد وطنه إسرائيل، أما العربي فقد باع القضية، وفرط في

الأرض، وما عاد يعبأ بمعاني الأخوة الإسلامية، ولا بصورة الدماء التي تغطي أرض فلسطين، وبالخصوص منها محنة غزة التي حركت عواطف العالم كله.

إن اليهود في إسرائيل يعملون عملًا منظمًا لإحياء هذا الوطن ومجده وبقاءه، بكل الصور والأعمال والمواقف والسياسات والإجراءات التي يقدرون عليها، وليتنا نتعلم منهم الدرس ونثبت انتماءنا لأرضنا وديننا وإخوتنا ببعض ما لديهم من حماس.. انظر إليهم في الماضي والحاضر، كيف يجتهدون وينشطون لتحقيق حلمهم وإثبات وجودهم!

ففي القديم تنبهر حينما تقرأ عن سبب قيام إسرائيل ووعد بلفور، قد تدهش حينما تعلم أن العلم هو أساس إسرائيل، وإليه يرجع الفضل الأكبر في وجودها وتحقيق حلمها وكيانها، كتب الدكتور درويش مصطفىٰ الفار تحت عنوان: (الكيمياء والسياسة) حيث قال: «في الثاني من نوفمر يطل علينا العام السابع والستون منذ أن صاغ آرثر جيمس بلفور (١٨٣٨-١٩٣٠) وزير خارجية بريطانيا العظمىٰ، وعده الغني عن التعريف، وقدمه هدية باسم السياسة إلىٰ علم الكيمياء، في شخص اليهودي الصهيوني الروسي (حاييم بن عيزر وايزمان)(١٨٧٤-١٩٥٢) والذي كان يعمل أستاذًا للكيمياء العضوية في جامعة مانشستر بانجلترا، وذلك

مكافأة وتقديرًا لعبقريته في اختراع طريقة سنة ١٩١٦ لصناعة سائل الأسيتون من دقيق الذرة، فأنقذ لمجهود الحربي للحلفاء الذين كانوا حينذاك في حاجة ماسة لكميات كبيرة من ذلك السائل العجيب الذي يستخدمونه في إذابة التنروجلسرين وقطن البارود لصناعة مادة الكوردايت المفرقة الدافعة، التي يحشون بها الرصاص وقنابل المدافع».

لقد رفض الرجل أي حظ للنفس مقابل هذه الخدمة، وقد كان بوسعه أن يقايضهم علىٰ المال الوفير، فيهبوه أرضًا أو يبنوا له قصرًا، لكن كل ذلك لم يكن في غايته، فهدفه نهضة قومه وإحياء مجد اليهود وأصر علىٰ أن تكون مكافأته التي يرجوها منهم مجرد وعد من بريطانيا لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

هكذا كانت التضحية في الماضي من أجل النشأة والوجود..

ثم انظر اليوم أي «الحاضر» وعلىٰ هامش محنة الطوفان، كيف تسارع إسرائيل وتحشد كل إمكاناتها وطاقاتها من أجل الترويج لحقها في سحق الفلسطينيين وقتل الأبرياء وإفناء الآمنين.

كشفت صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية عن أن إسرائيل دفعت ملايين الدولارات، من أجل الترويج لروايتها في الحرب علىٰ غزة و«إغراق» مستخدمي الإنترنت الفرنسيين بالإعلانات المناهضة

لحركة حماس، وقالت الصحيفة: إن مستخدمي منصة «يوتيوب» أو ألعاب الهواتف الذكية في فرنسا، تعرضوا خلال الأيام الماضية للكثير من مقاطع الفيديو الدعائية التي أنتجتها وزارة الخارجية الإسرائيلية، بهدف حشد الرأي العام العالمي لصالح موقفها، ومن أجل مناهضة حماس. وقدرت أداة التسويق الرقمي «سيمرش» تكلفة مقاطع الفيديو الدعائية الإسرائيلية في فرنسا بـ٦,٤ مليون دولار، الأمر الذي يجعل باريس الأكثر استهدافًا بهذا المحتوىٰ، وذكرت الأداة أن «ذروة هذه المشاهدات كانت في عطلة نهاية الأسبوع يومي ١٤ و١٥ أكتوبر الجاري»، أي بعد أسبوع من هجوم حماس المباغت داخل إسرائيل.

وأبرزت «ليبراسيون» أن حملة الخارجية الإسرائيلية نجحت في تحقيق أكثر من ١,١ مليار ظهور لمقاطعها الدعائية، لنحو ٥٣٥ مليون مستخدم فرنسي. وأشارت إلىٰ أن إسرائيل استثمرت كذلك ٢,٤ مليون دولار لاستهداف المشاهدين في ألمانيا، و١,٢ مليون للجمهور البريطاني.

ويبقىٰ السؤال: ماذا فعلنا نحن العرب والمسلمين لخدمة قضيتنا التي تخلينا اليوم عنها.. كما يفعل اليهود؟ إننا لم نفعل شيئًا لأن النظام العالمي الجديد يريد أن يجردنا من معاني الانتماء لفلسطين، أو الشعور نحوها بواجب النجدة والنصرة!

إسرائيل..
الفكرة والدولة والدور

حمدي عبد العزيز شهاب الدين/ مصر[1]

تم إعلان تأسيس دولة الاحتلال الصهيوني في ١٤ مايو ١٩٤٨م، بعد حرب عنيفة مدعومة من المشروع الإمبريالي الغربي، أسفرت عن النكبة الفلسطينية ومأساة اللجوء. وتعود جهود تأسيس هذه الدولة إلىٰ القرن التاسع عشر، حينما ظهر المشروع الصهيوني الذي بحث عن حل لـ (المسألة اليهودية)، فبدأت الجماعات اليهودية في الهجرة إلىٰ فلسطين بعد أن وقع الاختيار عليها من ضمن بدائل عدة، ثم زادت وتيرة الهجرة عندما آلت السلطة للانتداب البريطاني ١٩٢٢م، وساهمت بريطانيا في تأسيس تلك الدولة بقمع الثورات العربية وتمكين المهاجرين اليهود من الاستيلاء علىٰ الأراضي، قبل المساهمة في قرار التقسيم سنة ١٩٤٧م الذي أعطىٰ المهاجرين اليهود ٥٧٪ من أرض فلسطين عندما كانوا يشكلون ٣٠٪ من السكان، والإعلان عن انتهاء الانتداب تمهيدًا للإعلان الرسمي عن دولة (إسرائيل).

---

(١) كاتب وباحث.

ومنذ ذلك الإعلان الرسمي لم تحدد (إسرائيل) حدودًا لها، وخاضت عدة حروب أدت الأولىٰ (النكبة) إلىٰ الاستيلاء علىٰ ٢٦٪ إضافية من أرضنا، كما أدت الثانية إلىٰ ابتلاع كل فلسطين باحتلال الضفة الغربية وغزة وشرق القدس إضافة إلىٰ هضبتي الجولان وسيناء، كما نجحت حربها المعنوية الموازية في تصوير نفسها علىٰ أنها واحة الديمقراطية، وتشويه المقاومة واختراق الدوائر المتعاطفة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، قبل أن تنجح بدعم أمريكي في اختراق النظام العربي نفسه من خلال اتفاقات التطبيع.

وتحققت كل هذه النجاحات دون أي تغيير في فلسفة العنف والعنصرية الصهيونية، القائمة علىٰ الدولة النقية لليهود فقط، وحق الاستئصال العضوي والمعنوي لمن لا يتفقون مع نقاء هذه الدولة، وتحطيم المقاومة وإرادة الشعب الفلسطيني، كما تحققت رغم كونها العدو الأول للنظام العربي والأمن القومي العربي لكونها تقدم دورًا استراتيجيًا يؤمن سيطرة المشاريع الإمبريالية الغربية علىٰ العالم الإسلامي.

ومن منظور الأهداف الأمريكية والصهيونية، نجد أن التطبيع الثقافي والاقتصادي الذي يجري تحت قصف دعائي بتحقيق السلام والازدهار والأمن، تم فصله عن عملية التسوية السياسية، من أجل التوسع في العالمين العربي والإسلامي ليس بالقوة

العسكرية أو بالوجود البشري الضعيف، وإنما بالهيمنة الثقافية القائمة علىٰ الاختراق والتسميم والتفتيت، حيث يجعل التطبيع منطقتنا مهيأة تمامًا للتبعية للمشاريع الإمبريالية.

هرتزل.. الفكرة:

قبل المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧م وتولي تيودور هرتزل زعامتها، لم تكن الحركة الصهيونية قد تبلورت كحركة سياسية في الجسم الإمبريالي الغربي ولا تمثل (الشعب اليهودي)، وكانت نقطة التحول في وضع هرتزل كتيب دولة اليهود قبلها بعام، والذي دعا لتحويل القضية اليهودية لحركة سياسية، لكسب التأييد الدولي، وتشكيل هيئتين: الجمعية اليهود للتفاوض مع الدول الكبرىٰ والإدارة السياسية، والشركة اليهودية للاستيطان.

ولم يحدد هرتزل البلد، فلسطين أم الأرجنتين أم أفريقيا أم سيناء، قبل أن يتوصل إلىٰ (سحر الأسطورة) حيث تعاون مع أحد القساوسة في تحديد فلسطين وحدودها (فلسطين داوود وسليمان)، وبذلك استغل الإيمان لتحقيق مصالح سياسية تمامًا مثل الحروب الصليبية.

وصنع المؤتمر الصهيوني الأول برنامج الحركة الصهيونية (برنامج بازل) الذي عمل علىٰ التمويه علىٰ أهدافه لتخفيف

مخاوف الخلافة العثمانية، وحدد الوسائل: بالاستيطان الزراعي وتنظيم الشعب اليهودي والاتفاق مع الحكومات لتحقيق هدف الحركة الصهيونية.

ولم يُخف هرتزل مطلقًا أن المشروع الصهيوني كان مشروعًا استعماريًا، وجاء اختيار بريطانيا لأنها القوة التي أتاحت لهذا المشروع فرصة التبلور من جنين صغير غير واضح المعالم، إلىٰ جزء من طموح الغرب الحديث في استدامة السيطرة علىٰ العالم الإسلامي، فهذا المشروع لولا جذوره الأوروبية المسيحية لكان مجرد تجمع آخر في الجسم اليهودي الغربي.

وايزمان.. الدولة:

يبدأ التاريخ الفعلي للدولة الصهيونية منذ الحرب العالمية الأولىٰ، حيث كان حاييم وايزمان علىٰ اتصال وثيق بالساسة البريطانيين، مع بروز احتمال هزيمة الخلافة العثمانية واتجاه بريطانيا للتفكير في مستقبل الولايات العربية، فكانت مباحثات حسين مكماهون ١٩١٥ – ١٩١٦م، واتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م، والمحادثات الأمريكية البريطانية مع المنظمة الصهيونية ١٩١٥ – ١٩١٧ التي أفضت إلىٰ وعد بلفور. وحاولت بريطانيا إضفاء الشرعية الدولية عليه ضمن إطار التسوية التي يقرها مؤتمر الصلح لكن العقبة تمثلت في مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون

الذي أرسل لجنة كنج – كرين لاستطلاع رأي الأهالي، وأكد تقريرها رفض الصهيونية، لكن بتأثير اللوبي الصهيوني أصدر الكونجرس قرارًا بتأييد وعد بلفور ١٩٢٢م.

ثم جاءت الخطوة الثانية في معاهدة سيفر ١٩٢٠م عندما تخلت تركيا عن سيادتها علىٰ فلسطين، وتمت الموافقة علىٰ الانتداب البريطاني ونمت الدولة الصهيونية داخل رحم هذا الانتداب خلال ربع قرن، ثم ظهر التواطؤ البريطاني والأمريكي في قرار التقسيم ١٩٤٧م، الذي منح المشروع الصهيوني ٥٧٪ من مساحة فلسطين رغم انه لم يملك سوىٰ ١٠٪ فقط.

ثم بدأت هذه الدولة تتوسع بالدعم الأمريكي والتعويضات الألمانية، وتمارس الدور المنوط بها والذي تجلىٰ في مشاركتها في العدوان الثلاثي علىٰ مصر ١٩٥٦م، وأسفر عن تزويد فرنسا لها بالمفاعل النووي، تزامنًا مع توسع النفوذ في الولايات المتحدة وأوروبا والفاتيكان، ثم عدوان ١٩٦٧م الذي اعتبره الأمريكان والإسرائيليون خطوة لتحقيق نبوءة التوراة (إسرائيل الكبرىٰ)، قبل أن يتم هزيمتها في حرب ١٩٧٣ حيث إخراج مصر من معادلة الصراع بعدها، مما ساهم في الاستفراد بالمقاومة الفلسطينية والشروع في موجات جديدة من التطبيع لاحقًا.



ومن خلال الدعم الأمريكي السياسي والاقتصادي والعسكري، توسع المشروع الصهيوني في الاستيطان في الأرض العربي بأموال أمريكية، وتم البدء في تسوية من خلال مفاوضات مع الدول العربية بالصورة والكيفية التي تحقق أمن إسرائيل، ثم إطلاق اتفاقات سلام وتطبيع مع الدول العربية بعد ذلك.

الدور الوظيفي:

يوضح الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته (اليهود واليهودية والصهيونية) ماهية الجماعات الوظيفة بأنها مجموعات بشرية صغيرة يقوم المجتمع بإسناد وظائف لها يرىٰ أعضاؤه أنه لا يمكنهم القيام بها، وقد تكون مشينة كالتنجيم والبغاء والربا، ومن جهته يحاول الاحتلال تحويل أعضاء الأقليات إلىٰ جماعات وظيفية تضطلع بوظائف يسندها إليها وتتمتع بمزايا حتىٰ تدين له بالولاء.

ويعيد مفهوم الدولة الوظيفية إنتاج مفهوم الجماعة الوظيفية في العصر الحديث، حيث تتسم الدولة الصهيونية بكل سمات هذه الجماعات، فهي تدخل في علاقة تعاقدية نفعية مع المشروع الإمبريالي الغربي، لخدمته في مقابل الحماية والمنافع، وهي دولة جيتو حتىٰ في زمن التطبيع وصفقات السلام الأبراهامي فلديها إحساس بالتفوق وإمتلاك مقدسة رغم تبنيها أخلاقيات مزدوجة

في علاقاتها مع الذات ومع الآخر.

وتعتمد الأسس الاستراتيجية للتحالف الصهيوني الغربي علىٰ المصلحة المادية التعاقدية، لكن مع مرور الوقت ظهرت أبعاد أخطر هي الدينية الروحية، بتصاعد نفوذ جماعات دينية مسيحية تؤمن بالعقيدة الماشيحانية وتعتقد أن قيام هذه الدولة برهان علىٰ صدق التوراة واكتمال الزمان والعودة الثانية للمسيح، ويطلق علىٰ هذ الاتجاه الصهيونية المسيحية وعلىٰ أصحابها الصهاينة غير اليهود.

وتقوم هذه الدولة بدور ثقافي في منطقتنا (حرب معنوية) تهدف إلىٰ تشويه كل ما هو عربي وفلسطيني، وتقديم التراث العربي في علاقة مناقشة مع التراث الغربي واليهودي، بحيث يمثل أحدهما نموذج التخلف والتعصب وثانيهما الحضارة والأخلاقيات والديمقراطية والتفوق ،، إلخ.

وهذه الحرب لا تعني تهديد ثقافة قوية لحضارة ضعيفة بالاضمحلال في نمط حياتها وقيمها وعقائدها، بل تهديد ثقافي من دولة متفوقة عسكريًا وتكنولوجيًا دون أن تكون الأكثر جدارة باستحقاق البقاء، وتعتمد علىٰ أدوات محددة في حربها القذرة، وهي: خلق قناعة بالسمو العنصري لدىٰ مجتمعات عربية



فالمصريين فراعنة والعراقيين سومريين وهكذا، وتعميق الهوة بين الحاكم والمحكوم ويساعدها في ذلك الواقع الاستبدادي، إضافة إلىٰ التسميم السياسي والفكري بنشر الفرقة بين الأقليات والأغلبيات وبين النخب والشعوب، مع شن حرب معلوماتية ونفسية لتفتيت المقاومة في الجسم السياسي، وإغراق الجماهير بقيم دخيلة أو قيم ثانوية.

وتتزامن هذه الحرب مع (الإرهاب)، وهو جزء عضوي يعود لخصائص هذه الدولة الوظيفية التي تستند لمفهوم الشعب المختار والدولة القلعة التي تتوسع بالحرب.





«سايكس بيكو».. النكبة والإرهاب الصهيوني

خالد الأصور/ مصر[1]

خريطة العالم العربي الحالية وتقسيمه وتمزيقه وتقزيمه، كانت ثمرة لاتفاقية «سايكس بيكو»، تتويجًا لجهود امتدت عدة قرون منذ حقبة الحروب الصليبية، فالدولتان المختلفتان المتنافستان المتحاربتان اتفقتا -في شهر مايو من عام ١٩١٦- في الإجهاز علىٰ «الرجل المريض»، وهو الاصطلاح الذي جرت به الأقلام في الأدبيات الغربية وصفًا للإمبراطورية الإسلامية العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حيث تآمرت بريطانيا وفرنسا بموجب هذا الاتفاق (السري حينها) بين مندوب الأولىٰ «مارك سايكس» ومندوب الثانية «جورج بيكو» وبمباركة روسيا القيصرية علىٰ تقسيم المشرق العربي بينهما، بحيث تسيطر بريطانيا علىٰ العراق ومنطقة الخليج العربي، فيما تسيطر فرنسا علىٰ سوريا ولبنان. وكانت هذه الاتفاقية ذاتها تمهيدًا لوعد بلفور في العام التالي مباشرة **1917** الذي تجسد في رسالة وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور إلىٰ روتشليد أحد زعماء

---

(١) باحث إعلامي، له أربعة عشر مؤلفًا في الشأن الأدبي والإسلامي والسياسي.

الحركة الصهيونية، التي قطعت فيها حكومته وعدًا لليهود بإقامة كيان لهم في فلسطين، حيث وعَدَ من لا يملك، من لا يستحق، وتوالت منذ ذلك الحين ونشطت الهجرات اليهودية من الدول الغربية إلىٰ فلسطين بعد الحربين العالميتين الأولىٰ والثانية، ولم تكن صدفة أن يتم الإعلان عن قيام دولة الكيان الصهيوني في مايو **1948**، أي في نفس الشهر الذي تم التوقيع فيه علىٰ اتفاقية سايكس بيكو، لتبدأ موجة هجرة يهودية جديدة لشرعنة الكيان الجديد، ولكن هذه المرة لم تكن الهجرة من الدول الغربية فقط، بل من الدول العربية أيضا عقب حرب فلسطين.

ويحتفل الكيان الصهيوني في ١٥ مايو سنويًا بتأسيسه عام **1948**، ولكن ثمة مراحل تأسيسية لاحقة متممة للتأسيس الأول، من أهمها تهجير اليهود من مختلف دول العالم إلىٰ أرض الميعاد، وقد مضىٰ نحو سبع عقود علىٰ تهجيرهم من مصر عقب العدوان الثلاثي الذي اتخذه عبد الناصر ذريعة لدعم وجود اليهود في فلسطين المحتلة وتغيير طبيعتها الديموجرافية، وتحويل الكثافة السكانية لصالحهم عبر إجراء آخر معاكس وهو هجرة الفلسطينيين الإجبارية التي أسهم فيها عبد الناصر أيضًا بشعارات الأخوة العربية ونصرة الأشقاء واستقباله آلاف الفلسطينيين في مصر!

وقد أصدر عبد الناصر عام **1956** تعديلًا لقانون الجنسية نصت مادته الأولىٰ «يمنع علىٰ الصهاينة أن يصبحوا مواطنين مصريين» وأكدت المادة ١٨ بأنه «بإمكان إسقاط الجنسية المصرية في حالة تصنيف أشخاص بأنهم صهاينة»، فضلًا عن أن مصطلح «صهيوني» لم يتم تعريفه ما ترك المجال واسعا لتهجير اليهود دون قيود، وإصدار قانون آخر يسقط الجنسية عن أي يهودي يقيم خارج مصر لأكثر من ستة أشهر متتالية، وهو إجراء لا يتم أصلًا مع «المواطنين» المتمتعين بالجنسية بل مع الأجانب بإسقاط إقامتهم**!**

وتتابع التهجير الجماعي لليهود المصريين عقب إصدار هذه القوانين وفي ٢٨/ ١١/ ١٩٥٦ نشرت مجلة آخر ساعة تحت عنوان «رحلة بلا رجعة» صورًا لتهجير اليهود من ميناء الإسكندرية بعد نزع جنسيتهم وتوقيعهم علىٰ إقرارات بعدم العودة لمصر، وغني عن البيان أن الكيان الصهيوني انتشي بهذه الإجراءات الناصرية ضد اليهود ومصادرة أموالهم، لأنها كانت خدمة لهذا الكيان الناشئ الذي كان في حاجة ماسة للمهاجرين اليهود لإحداث توازن ديموجرافي مع أمواج العرب الذي يحيطون باليهود في كل مكان، ولكي يكون للدولة العبرية الجديدة شعب وليس مجرد

عصابات «هاجاناه» مسلحة، وأسهم القادة الصهاينة في دعم هذه الإجراءات الناصرية عبر تفجيرات «لافون» التي دبرها وزير الدفاع الصهيوني بنحاس لافون ضد مصالح أجنبية في مصر لبث الرعب في نفوس اليهود وإجبارهم علىٰ الهجرة علىٰ خلفية تورط يهود فيها.

إن الوعي بالتاريخ وقراءته في سياقه يكشف الكثير من المسلّمات وأنها لم تكن إلا زيفا وخداعا، وأن السلطة بأدواتها الشاملة تلبس الباطل ثوب الحق، وأن تهجير اليهود لم يكن عنترية ناصرية ثأرًا لاحتلالهم أرض فلسطين بل دعمًا لوجودهم فيها واستكمالًا لتأسيسهم دولتهم، علىٰ أن أهم مرحلة متممة للتأسيس الأول للكيان الصهيوني كان بطلها أيضًا عبد الناصر عبر إهدائه الكيان الصهيوني الهزيمة المدوية في يونيو **1967** وتمكنه من احتلال القدس والضفة وغزة، واحتلاله أجزاء من ثلاث دول عربية، عقب هدية تهجير اليهود قبل ١١عامًا!

وقد تزامن تأسيس الكيان الصهيوني مع تبنيه للحروب والعمليات الإرهابية ضد الفلسطينيين بل والشعوب العربية المحيطة، حيث تشكل الحرب العدوانية منعطفًا هامًا في حياة اليهود، ولا تشكل جريمة لديهم، مهما ترتب عليها من مذابح، ما

دامت تحقق أهدافهم وفق المبدأ الميكيافيللي «الغاية تبرر الوسيلة»، بل إن قتل غير اليهودي في زعمهم هو فعل يُرضي الله، ووقائع التاريخ القديم والمعاصر خير شاهد علىٰ ذلك. وخلال العقود الثمانية الماضية وحتىٰ قبل بضع سنوات من تأسيس كيانهم العدواني، ارتكب اليهود الكثير من المذابح بحق العرب، وفي القلب منهم الشعب الفلسطيني، بدءًا بمذابح عصابات «أرجون» و«شتيرن» و«هاجاناه»، ومنها مذبحة دير ياسين أثناء نكبة **1948**، مرورا بمذابح بحر البقر لأطفال مدرسة مصرية، ومذابح الأسرىٰ المصريين في حربي **1956**، و**1967**، والمذابح الأخرىٰ ضد المدنيين العزل في مخيمات صبرا وشاتيلا وقانا والحرم الإبراهيمي، وانتفاضة أطفال الحجارة **1987**، وانتفاضة الأقصىٰ **2000**، ولبنان **2006**.

أما غزة العزة فهي صاحبة النصيب الأكبر من مذابح الصهاينة في حروبهم الإجرامية أعوام **2008**، **2014**، **2021**، وأخيرًا العدوان الأكبر الشامل في أكتوبر ونوفمبر **2023** والذي راح ضحيته أكثر من ١٥ ألف شهيد، وعشرات الآلاف من الجرحىٰ، أغلبهم من الأطفال والنساء والشيوخ، عبر استهداف المباني السكنية والمستشفيات والمدارس وأماكن إيواء النازحين



والمخيمات حتىٰ تلك التابعة لإشراف الأمم المتحدة، وتخلل هذا العدوان عشرات المذابح المروعة، ومن أقساها مذبحة المستشفىٰ المعمداني، ومذبحة جباليا .

وحدث هذا ليس بتواطؤ أمريكي غربي فحسب، بل بمشاركة ودعم عسكري مباشر بالمال والعتاد والسلاح وحاملات الطائرات والخبراء العسكريين، وفي ظل صمت عربي رسمي مريب.

وهذه الوحشية الصهيونية ليست بغريبة، حيث يحث تلمودهم علىٰ «قتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم علىٰ اليهودي أن يُنَجّي أحدا من باقي الأمم عند هلاكه».

وهذا التاريخ الدموي لليهود يجد سنده في كتبهم المحرفة، التلمود والتوراة، فمما ورد في التلمود: «الشفقة والرحمة ممنوعتان بالنسبة لغير اليهودي»، واليهودي إذا رأىٰ أحدًا واقعًا في نهر أو مُهدَّدا بخطر، فيحرم عليه أن ينقذه منه، لأن الشعوب السبعة التي كانت بأرض كنعان لم يُقتَلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقي الأمم، وعليه يجب قتل غير اليهودي، لأنه يحتمل أن يكون من نسل الشعوب السبعة، وعلىٰ اليهودي أن يقتل من يتمكن من قتله، وإذا لم يقتله يخالف الشرع، لأنه جاء في الكتب:

«كيف لا أُبغض يا إلهي مَن يُبغضك؟»! وهذه «الجذور النظرية» للإرهاب الصهيوني من خلال نصوص التلمود والتوراة المحرفة، نجدها في «الممارسة العملية» لليهود علىٰ مر التاريخ وخصوصًا في العصر الحديث، وهي تنسجم مع معتقداتهم وتصوراتهم الشائهة.

ويعتبر العنف والإرهاب ركيزتين من أهم ركائز الفكر الصهيوني، فمنذ بدأت أفواج المهاجرين اليهود بالزحف إلىٰ فلسطين، بدأ الصهاينة في ممارسة الإرهاب بشكل منظم ممنهج مدروس، فمارسوا الترويع والقتل والتدمير والتفجير ضد الشعب الفلسطيني لطرده من أرضه واحتلال دياره عن طريق العصابات اليهودية.

وبعد قيام الكيان الصهيوني، أصبح الإرهاب والقتل الجماعي «حرفة صهيونية» يقوم بها عبدة العجل وقتلة الأنبياء والأطفال، مع تدمير المنازل الآمنة علىٰ رؤوس أصحابها وتشريد من بقي من سكانها.

وأصبحت هذه الإبادة الجماعية وجرائم الحرب ضد الإنسانية، واستخدام الأسلحة المحرمة دوليا، سياسة عامة لدولة العدو الصهيوني، وتقرها علىٰ ذلك ما تسمىٰ بالمحكمة العليا في الكيان



الغاصب، فهم كائنات قد قست قلوبهم بتعبير القرآن الكريم فهي كالحجارة بل أشد قسوة.

هذه هي طبائع اليهود التي لم ولن تتغير أبد الدهر، ولو أحسن البعض الظن بهم واعتقَدَ أنهم يمكن أن يقيموا للعهود والمواثيق والاتفاقيات وزنا، فإن القرآن الكريم يقطع خيالات هذا الأمل البعيد بل المستحيل الوقوع، فهو السراب بعينه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٧٥].

فإذا كانوا يحرفون كلام الله، أفلا يحرفون كلام البشر والمعاهدات معهم، والواقع المعاصر خير شاهد علىٰ ذلك، من كامب ديفيد إلىٰ مدريد، وأوسلو، ووداي عربة، وليس انتهاء بخريطة الطريق، وأنابوليس، واتفاقيات إبراهام.

أين محصلة هذا كله؟ بل أين تطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، التي أقرتها الولايات المتحدة والدول الغربية ذاتها، ثم هي تدعم الكيان الصهيوني الذي يدوس ما خطته الأقلام بالأقدام والدبابات والجرافات.

ويبدو أن العالم الغربي يرغب في الاحتفال بالعشرية الأولىٰ بعد مئوية سايكس بيكو، بتنفيذ مرحلتها الثانية بإجراء مزيد من

تجزئة المجزأ وتقسيم المقسم وتفتيت المفتت في غزة والضفة وسائر العالم العربي، مستفيدا في ذلك من المشاكل الحدودية التي خلفها قبل أن يطوي ملف الحقبة الاستعمارية العسكرية المباشرة علىٰ الأرض، ليحل محلها الاستعمار عبر بث الفتن والخلافات وسياسة فرق تسد، وعبر الخيانات وشراء الذمم والولاءات، وعبر زرع تنظيمات استخبارية عسكرية مسلحة، وعبر الترويج لحرب ثقافية علىٰ خلفية مذهبية وإثنية وعرقية وطائفية.

وعبر هذه الآليات الثقافية الجديدة نلمح تنفيذًا متسارعًا لدلالة العبارة الخبيثة التي أطلقها الكاتب والصحفي الأمريكي اليهودي المعروف توماس فريدمان قبل بضع سنوات: «إن الدول العربية هي مجموعة من القبائل بأعلام مختلفة»، حيث يجري تنفيذها علىٰ الأرض.. فهل نستفيق أم نصبح من الرقيق؟ !

إن الصراع بيننا وبين اليهود الغاصبين، صراع عقيدة ودين، وثأر لأحقاد قديمة، لكن سادتنا وكبراءنا عن هذا غافلون، وفي غيهم سادرون.





اللعبة المفضوحة

سعيد موفقي/ الجزائر[١]

أعتقد جازمًا أنّ ما يحدث في بلاد المسلمين شرقًا وغربًا، ليس غريبًا علىٰ أمّة شهدت ابتلاءات منذ فجر الإسلام، فقد شهد النّاس من الجهل والظلم ما شهدوا، وشهدوا من العزّ والكرامة والعدل ما شهدوا أيضا، وإن تذكّرنا فإنّنا نتذكّر ما لاقه الرّسول نفسه ﷺ في بدايات دعوته، وهو يكابد أصناف الأذىٰ والطّغيان، من أقرب النّاس إليه قبل الأعداء الغرباء؛ وإنّ الحقّ منتصر ولو بعد حين.

وبالرّغم من تكرار المحن فإنّ صمود المسلمين لمواجهتها مبدأ لا رجعة فيه، ومحنة الفلسطينيين أقرب نموذج في عصرنا الذي عبّر بقوّة عن معنىٰ البقاء والكفاح والتّضحية، وما حدث في الأيّام الأخيرة منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م أكّد مرة أخرىٰ أنّ التّمسّك بالقيم والدّفاع عنها مرتبط بصدق المشاعر ونبل الهمم، وتعتبر الأرض جزءًا لا يتجزّأ من هذه القيم التي تبعث في النّفوس ما معنىٰ البقاء فيها وما تحمله من مقدّسات تربطها بها، فعلاقة المرء بالمكان علاقة انتماء وألفة وهويّة، «هذا جبل يحبّنا ونحبّه»

(١) قاص وأكاديمي بجامعة البليدة.

فما أعظمها من مشاعر صدرت من لدن رسول عظيم يبسط قلبه حتىٰ لتلك المرتفعات والأتربة والصّخور التي سكنت القلوب لها حقّ العشرة وبقاء الذّكرىٰ لما كان بينها وبين المسلم من معان الوجود العظيمة، فالمعنىٰ الحقيقي لكلمة «وجود» هو هذا الإيمان المطلق الذي وحّد المسلمين منذ أكثر من أربعة عشر قرنا وقد كتب الله له الخلود إلىٰ يوم الدّين لا يمكن للبشر أن تدنّسه أو تعبث به، وقد قيّض الله له رجالًا صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ لأنّ ارتباط المسلم بالمكان له معنىٰ روحاني متجذّر فيه بمسافات لا حدود لها، عند المسلمين خاصّة، غير تلك المفاهيم الفلسفيّة التي تتأثّر بالظّروف والصّروف وأوهام شعارات الإنسانيّة التي أطلقتها آلة المكر والإعلام، المتحايلة علىٰ البشريّة كلّها..

فأين هيئات العالم ومنظّماته، التي تأسست لأمن الشّعوب وحمايتها من الفساد والظّلم والعدوان؟

أين هي دوائر الفكر والفلسفة التي صدّعت المجتمعات بشعاراتها الزّائفة ونظريّاتها المكدّسة، التي كلّما صرخ ضعيف من غير شعوبها تباطأت أو أهملت، وإذا صرخ ضعيف منهم، ظالمًا أو مظلومًا هبّت إليه كلّ آلات الدّمار وخُطب التّهديد؟

فمنذ شهر أو يزيد لا يزال الفلسطينيّون كما عوّدونا علىٰ الإخلاص في قضيّتهم التي هي قضيّتنا جميعًا، قضيّة كلّ المسلمين

والعرب، يصرخون كما صرخوا من قبل وشعارهم أبدًا لن نسكت عن الظّلم وليشهد العالم أنّنا لا نطالب إلاّ بحقّ مغتصب منذ عقود، منذ ما قبل أكتوبر المشهود!

هل كان الأجدر في مثل هذا الظّرف أن يشعر العدو الغاشم بأنّ في هذه الأمّة نفسًا أطول لو كان فاعلًا، وأنّ ما يحدث هناك ما كان ليحدث لو علم بأنّهم يلملمون شتاتهم، ولكن للأسف قناعة العدو تكاد تكون صادقة في حكمه علىٰ هذه الوحدة المشتّتة بين غرب المسلمين وشرقهم، الهاجس الذي بات العدو الغاشم، هذا المسخ المختلف في تاريخ البشريّة، الذي لم تشهده الإنسانيّة، إذ تجاوز كلّ الأعراف والقوانين، لا يميّز بين القيم، يمارس قبحه تحت ذرائع مختلفة، ذريعة الدين والتّاريخ، وهو أبعد من أن تكون له علاقة بالتديّن والسّلام، وذريعة أرض الميعاد التي تغنت بها عصابات القرن العشرين للاستيلاء علىٰ مقدّسات المسلمين والعرب واغتصاب كلّ الأراضي لتأسيس كيانهم الموهوم الذي منحتهم إيّاه موائد الغرب باسم كلّ أنواع الظّلم المقنّن، واستيطانهم لشتات مخلوقات مخدوعة في نسبها وهويّتها ودينها أيضًا..

إنّ صاحب الحقّ كما نصّت علىٰ ذلك الحِكم والأمثال، وأكّدها نصّ آيات القرآن الكريم الصّريحة، لا تتعارض مع ما

يطالب به كلّ المسلمين، المطالبة بالبقاء والعودة لكلّ مشرّد إلىٰ أرضه الحقيقيّة، الرّجوع إلىٰ بيته المنهوب وحقله الملغّم بشتىٰ أنواع القنابل والمتفجّرات والمسيّجة بأشواك الرّعب والذّبح والقتل المتعمّد والسّجن المؤبّد، ألا يكفي صور الأطفال المذبوحة في قارعة الشّارع والكلّ يشاهد ذبحهم بأبشع أساليب الدّمار، تحت الأنقاض، مباني المنازل والمدارس والمستشفيات والمساجد المدمّرة بأحدث أنواع الأسلحة، برًّا وجوًّا...؟**!**

إنّ ما يحدث في غزّة هذه الأيّام لدليل قاطع، يستدلّ به علىٰ الجهتين المتناقضتين، حقّ الأهالي كبارًا وصغارًا في العيش بسلام وأمن كبقيّة الشّعوب، وحقّ الدّفاع بكلّ ما أوتوا من وسائل المقاومة علىٰ هذه الأرض حتىٰ دحر هذا الاحتلال المدّعي، والموت في سبيل الله والأرض بات أمرًا ضروريًّا، ولا رجعة فيه، ولو كان علىٰ الأشلاء وقد صرّح بذلك نساؤهم ورجالهم وحتىٰ أطفالهم بأنّ القضية تجاوزت أيضًا زمن الانتظار، ولا وقت لهم للاستئذان مادامت القضيّة قد انفلتت في الجهة الأخرىٰ دون رقيب أو حسيب، ولا يمكن السّكوت والعالم برمّته يأبىٰ أن ينطق ليردّ المظالم إلىٰ أهلها، بل مادام الأمر موكل إلىٰ بشر ينظرون إلىٰ قضايا الإنسانيّة بعين اللاّهف المتعصّب الذي يشعر بالفوقانيّة ويرىٰ باقي العالم



متخلّفا وينبغي أن يكون تحت رحمته، وإلاّ سطا عليه وهدّده بالفناء والعقاب، هذا الذي أباه الفلسطينيّون عمومًا والغزاّويّين خاصّة..

لذا يحقّ للمسلم أين ما كان، وبأيّ لغة ووسيلة، أن يرفع هذا الظّلم ويفضح للعالم ما يرتكبه هذا الاحتلال ومن وراءه من الشّرق والغرب عربًا وعجمًا من حماقات، مع كشف آلة الدّمار التي سخّرها لمواجهة شعب يقاوم بأبسط ما لديه من سلاح، وقد أيّدهم الله وهم قلّة، علىٰ عدوّهم الذي زرعوا فيه أعمق أنواع الرّعب وقد ولّوا الأدبار رغم ما بحوزته من ترسانة لا تقهر، ولكن خذلتهم قلوبهم وذلّتهم أينما حلّوا وذهبوا.

علىٰ كلّ المسلمين والعرب أن يرفعوا كلّ فضائحهم بالتّعبير العلني، بالكتابة والألوان والأشكال وينقلوها إلىٰ العالم وكل المجتمعات المحبّة للخير والأمن والسّلام، ليعلم كلّ النّاس، من أقصىٰ الأرض إلىٰ أقصاها أنّ تمثيليّة تحاك منذ أمد بعيد ضدّ كلّ البشريّة يقودها صنف من الممثلين المقنّعين مرّتين، فليكتب العالم بما تيسّر له علىٰ الجدران وفي الجرائد والمجلاّت والكتب وفي كلّ لافتة لافتة..

وليعلم الصّهاينة أنّ لعبتهم باتت مفضوحة وليستعدّوا لمعركة في الدّاخل والخارج يرعاها الله.

تلفظ أنفاسها الأخيرة

سليمان المعمري/ سلطنة عمان[1]

«يبدو أننا نواجه أصعب شعب عرفه التاريخ، ولا حل معهم سوىٰ الاعتراف بحقوقهم وإنهاء الاحتلال»، لم يكن هذا الرأي تعليقًا علىٰ عملية «طوفان الأقصىٰ» الأخيرة التي كتبتْ صفحة جديدة في تاريخ المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال، وإنما اعتراف عمره سبع سنوات كتبه الكاتب الإسرائيلي آري شبيت عام ٢٠١٦ ونشرته صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية. في هذا المقال يستدعي شبيت مقالًا آخر للباحث الإسرائيلي روجل ألفر يرىٰ فيه أن إسرائيل «وقّعت علىٰ شهادة وفاتها، ولم يبق لها سوىٰ انتظار الدمار المحتوم» ويقترح مغادرتها فورًا. يقول شبيت تأييدًا لهذا الاقتراح: «علىٰ الإسرائيلي اليوم أن يقول وداعًا لأصدقائه وينتقل إلىٰ سان فرانسيسكو أو برلين أو باريس. من هناك؛ من أرض القومية الألمانية المتطرفة الجديدة، أو من أرض القومية الأمريكية المتطرفة الجديدة، يجب علىٰ المرء أن يراقب بهدوء ويشاهد دولة إسرائيل تلفظ أنفاسها الأخيرة».

---

(١) كاتب وإعلامي.



المثير للتأمل هنا، أن هذا الرأي المتنبئ بنهاية إسرائيل ليس جديدًا، لكن الإسرائيليين والصهاينة لا يتذكرونه إلا عندما يتلقون ضربات المقاومة الموجِعة. ونستذكر هنا علىٰ سبيل المثال ما جاء في مقال للباحث المصري الراحل عبد الوهاب المسيري صاحب موسوعة «اليهود واليهودية والصهيونية» بعنوان «نهاية إسرائيل» (نشِر في «الجزيرة نت» في ١٨ سبتمبر ٢٠٠٦م) من أنه في أوج حرب إسرائيل علىٰ لبنان عام ٢٠٠٦ والصمود المشرف للمقاومة اللبنانية؛ نشر الصحفي الإسرائيلي يونتان شيم مقالًا متشائمًا في صحيفة معاريف (في ١٧ أغسطس ٢٠٠٦م) بعنوان: «أُسِّستْ تل أبيب في العام ١٩٠٩، وفي العام ٢٠٠٩ ستصبح أنقاضًا» وجاء في المقال أنه «قبل مائة عام أقاموا أولىٰ المدن العِبرية، وبعد مائة عام من العزلة قُضِي أمرها».

إلىٰ هنا، لا يبدو ما يكتبه الإسرائيليون عن «دولتهم» المزعومة وهشاشتها واحتمالات زوالها مثيرًا للدهشة، فهم يرون بأمهات أعينهم كل عدة سنوات ما يواجه كيانهم المحتل لأرض فلسطين من بسالة المقاوِمين، الذين كلما ضُيِّق عليهم ابتكروا طرقًا جديدة للمقاومة تثير إعجاب العالم ودهشته. لكن أن يأتي هذا التشاؤم من مؤسس إسرائيل وعقلها الاستراتيجي ديفيد بن غوريون فهذا

بالفعل ما يدعو للتوقف قليلا. فقد أورد الباحث اللبناني سركيس أبو زيد في كتابه «إسرائيل إلىٰ نهايتها» نقلًا عن السياسي ناحوم غولدمان، وهو أحد مؤسسي إسرائيل أيضًا ورئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، وكان صديقا لـ«بن غوريون»، أورد تنبؤًا من هذا الأخير بنهاية إسرائيل وهي لم تتجاوز عامها الثامن بعد. إذ يروي غولدمان في كتابه «المفارقة اليهودية» تفاصيل لقاء ليليّ طويل جمعه في منزل بن غوريون سنة ١٩٥٦، وُصِفَ بـ«لقاء البوح الخطير». يكتب غولدمان: «في تلك الليلة الجميلة فتح كل منّا قلبه للآخر، وكان حديثنا حول مشكلتنا مع العرب. أنا لا أفهم سبب تفاؤلك، قال لي بن غوريون. بنظري لا يوجد أي سبب يشجع العرب علىٰ إقامة سلام معنا. ولو كنتُ، أنا شخصيًّا، زعيمًا عربيًّا لما وقّعت علىٰ شيء مع إسرائيل، وهذا طبيعي جدًّا، إذْ نحن الذين قمنا بالسطو علىٰ بلدهم»، ثم يضيف: «إنهم لا يرون سوىٰ شيء واحد: لقد جئنا وسرقنا بلدهم. فلماذا عليهم أن يقبلوا بذلك؟».

ليس هذا كل ما قاله بن غوريون، فقد نقل عنه غولدمان ما هو أخطر: «اسمع يا ناحوم. لقد أصبحتُ علىٰ مشارف السبعين من عمري. فإن سألتَني ما إذا كان سيتم دفني، إثر موتي، في دولة

إسرائيل لقلت لك نعم. فبعد عشر سنوات أو عشرين سنة ستبقىٰ هنالك دولة يهودية. ولكن إذا ما سألتَني ما إذا كان ابني عاموس، الذي سيبلغ الخمسين من عمره في أواخر السنة الجارية (١٩٥٦)، سيكون له الحظ أن يدفن بعد موته في دولة يهودية فسوف أجيبك: ٥٠/٥٠». قاطعه غولدمان: «كيف لك أن تنام علىٰ هذا التوقع فيما أنت رئيسٌ لحكومة إسرائيل؟!» فأجاب بن غوريون بهدوءٍ من يحذّر من الآتي: «من قال لك إنني أعرف ما هو النوم يا ناحوم»!

علينا أن نتذكّر هنا أن بن غوريون مُثّل في تاريخ إسرائيل «القابِلة»، والأم الحنون، والعقل المفكّر الذي ينظر إلىٰ بعيد البعيد، وهو صائغ استراتيجيتها للأمن القومي، كما أنه صاحب العبارة الممتلئة تفاؤلًا ببقاء الكيان المحتل عندما قال عن الفلسطينيين إن كبارهم سيموتون والصغار سينسون، فإذا كان هذا هو استشرافَ مؤسس إسرائيل لمستقبلها وهي طفلة في عمر ثماني سنوات، فإن علينا ألا نندهش عندما يقول إسرائيلو اليوم ممن مَرّغت المقاومةُ الفلسطينية الباسلة أنوفهم في الوحل إن إسرائيل تلفظ أنفاسها الأخيرة.





فاجعة فلسطين

علي زين العابدين الحسيني/ مصر[1]

يصادف كتابة هذا المقال اندلاع الأحداث الأخيرة في غزة بفلسطين المحتلة، هذه الأحداث التي أعادت الإيمان بقضية فلسطين إلىٰ الذات العربية الباردة، وقد عاد بسببها أيضًا إلىٰ الشارع العربي وحدته وتعلقه بالأمور العظيمة، فحركت هذه الأحداث السواكن، وأعادت النظر إلىٰ مراجعة التاريخ واستنطاق العبر، وعمقت من جديد وعينا التام بأهمية القضية الفلسطينية، وضمنها البعد الثقافي والمعرفي والروحي، وتوحدت العصبة الثقافية في كفاحٍ واحدٍ ضد العدوان الغاشم علىٰ أراضينا.

إنّ مشكلة فلسطين ليست مشكلة عربية خاصة بالجنس العربي دون غيرهم وإنّما هي مشكلة الإنسانية قاطبة!

وهذه الأحداث الأخيرة هزت الضمير العربي والإسلامي أعنف هزة، لم تعرفها منذ وقت طويل، أشعلت عواطف الناس، وفجرت في قلوبهم ينابيع التعاطف والتلاحم، وجددت في نفوسهم ذلك الوعي الكامل بقيمنا الثابتة، وألهمت الكثيرين بأفكار ورؤىٰ

(١) كاتب وأديب أزهري، له عدة مؤلفات ومقالات وبحوث.



جديدة في الكتابة، فلا يزال الإنتاج المعرفي حول فلسطين في وسائل الاتصال الحديثة قويًا متدفقًا بفضلها.

لكم أنتِ رائعة أيتها الحقيقة! حين كشفتِ لنا عن الإنسانية الجوفاء، ففلسطين أكبر دليل علىٰ النفاق الغربي، ووهم الحضارة الغربية المزعومة، وإنسانيتها المزيفة، لنا إنسانيتنا ولهم إنسانيتهم، وهي هي اختبار يومي للإنسانية جمعاء، وإنه من الحق أن يقال: تفرقنا الاتجاهات والأفكار والرؤىٰ، ويجمعنا حب فلسطين!

هل في تاريخنا المعاصر فاجعة ونكبة أدمىٰ من فلسطين؟! ثمة علاقة قوية بين الوحدة العربية وفلسطين، فالشعور بالانتماء الفلسطيني دلالة صحيحة علىٰ وجود قضية عربية وإسلامية يجتمع حولها الناس.

لستُ في صدد الإلماع إلىٰ أهمية «فلسطين» في حياتنا بل أريد أن أمتع القارئ بوجودها في حياة الأدباء، وستبقىٰ «فلسطين» اسمًا يترك في نفوس ذاكريه الكثير من الأحاسيس والانطباعات، وما من كاتب أو أديب أو شاعر في واقعنا المعاصر إلا خصها بفيض قريحته نثرًا أو شعرًا، ولا تزال خصائصها الذاتية حية باقية منذ أقدم العصور إلىٰ يومنا هذا!

وليست مسألة التعبير عن وحشية هذا العدوان المحتل قضية صعبة فالكاتب أو الشخص الإنساني -وإن لم يكن عربيًا- يستطيع أن يرىٰ هذه المأساة ويعمق تعلقه بهذه القضية بأقل الصور والمناظر عن هذه الأحداث!

فمن الأدباء الذين وصفوا الصهاينة أدق وصف الأستاذ مصطفىٰ صادق الرافعي حيث قال: «يحملون في دمائهم حقيقتين ثابتتين: من ذل الماضي وتشريد الحاضر، ويحملون في قلوبهم نقمتين طاغيتين: إحداهما من ذهَبِهم، والأخرىٰ من رذائلهم، ويخبئون في أدمغتهم فكرتين خبيثتين: أن يكون العرب أقلية، ثم أن يكونوا بعد ذلك خدم اليهود»، ويلخص لنا الرافعي طبيعة أخلاقهم بقوله: «في أنفسهم الحقد، وفي خيالهم الجنون، وفي عقولهم المكر، وفي أيديهم الذهب الذي أصبح لئيمًا لأنه في أيديهم».

هؤلاء اللصوص الذين لا يعرفهم التاريخ إلا مقهورين ذليلين مغلوبين يريدون السطو علىٰ ممتلكات أصحاب الأرض ممن لا يعرفهم التاريخ إلا غالبين منصورين!

وما أشبه الليلة بالبارحة! فقد هبّ كثير من العرب والمسلمين هذه الأيام لنجدة فلسطين وشعبها المحاصر، هذه هي الصحوة

العربية التي لا تموت أبدًا وإن ظن الأعداء أنهم قادرون علىٰ التطبيع، ولها نظائر تاريخية، فقد وصف الأستاذ أحمد حسن الزيات حال الشعوب العربية والإسلامية في زمنه، وكيف هبوا لنجدة فلسطين، وأن هذه النجدة إنما انبعثت عن حياة جديدة، وهو الأمر الخطير الذي ينبغي للعدو أن يحسب حسابه ويتدبر عواقبه؛ لأن فلسطين بقلتها وفقرها ما كانت تستطيع أن تنازل اليهود لولا هذه الحياة الجديدة، مشيرًا إلىٰ أن صحوة العرب ليست كصحوة غيرهم من الأمم الأخرىٰ، فهم قد صحوا صحوتهم الأولىٰ فملكوا الأرض والسماء، وخلَفوا الرسل والأنبياء، وقادوا العقول والأفكار.

لقد عادت قوافل المؤيدين لقضية فلسطين تنطلق من مختلف البلدان العربية والإسلامية بل والعواصم الغربية، ولعل أكبر فتح حققته هذه الأحداث الأخيرة هو تحرير العقول والأهواء من سلطان التطبيع المزعوم!

لقد اجتمعت من جديد غمغمات الصحراء، وهدير النيل، وزغردات دجلة، وحفيف الأرز، ونسمات الغوطة، ووراء كل ذلك الهمة العربية والإرادة القوية والعزم العربي والوحدة المنشودة!

ولأهل فلسطين الحقّ في مقاومة الاحتلال ولهم العذر في ذلك وإن كانوا علىٰ قلة عدد وانقطاع مدد عنهم، وهم في نظر الأستاذ إبراهيم المازني شعب أبيّ «يدافع عن حقله وبيته بأدق المعاني العرفية للفظ الدفاع عن الحوزة، فإن بيته ينسف بالديناميت فيتشرد هو وأبناؤه ونساؤه في الجبال الجرداء، والسهول الخصبة التي يملكها تقتطع وتوهب للدولة الصهيونية، فماذا يصنع هذا الشعب غير أن يثور؟ وماذا يسعه، وقد ثار، إلا أن يستبسل ويستميت؟ إنه موت بموت، فالموت مع الشرف وبعد الدفاع الكريم إلىٰ الرمق الأخير أولىٰ من الموت جوعًا في جبال عارية لا ماء فيها ولا شجر».

هذه الأرض المباركة هي حق الفلسطينيين دون غيرهم، وما يفعلونه هو استكمال إجرامهم الذي لا يتوقف، وهي جريمة يشترك فيها صنفان من الناس، صنف لصوص لا حق لهم في الأرض، وصنف يعينون هؤلاء اللصوص علىٰ استكمال مخططاتهم، وفوق كل هؤلاء أصحاب حق وأرض يدافعون عن مقدساتهم، وممن أشار إلىٰ ذلك قديمًا الأستاذ علىٰ الطنطاوي، فيرىٰ أن: «حادثة فلسطين لو تدبرها العقل لما رآها إلا جريمة، أبطالها طائفة من اللصوص، وشرذمة من الحرّاس، لصوص

يتسورون الدار ليطردوا صاحبها، ويحتلوها ويشردوا أهلها، وحرّاس يعينون اللص علىٰ المالك وينصرون الحق علىٰ الباطل، ولكن الجريمة لن تتم، إن الأسد في العرين، وربّ الدار يعرف كيف يحمي الدار».

هي ليست قضية محلية، بل هي قضية عربية إسلامية، ويمكن أن تكون قضية عالمية إذا نظر العالم إليها نظرة الإنسانية وأعمل العقل في الحفاظ علىٰ مبادئ العدل وأسسه، ولعل أخطر خطوة قام بها هذا العدو هو قيامه بعزل هذه القضية شيئًا فشيئًا عن العرب، ومن ثمّ انتقل بها إلىٰ الشأن الداخلي علىٰ أنها قضية خاصة، وقد نبه أستاذي المؤرخ محمد رجب البيومي مرارًا علىٰ خطورة ذلك، ففلسطين لا يمكن أن تصبح قضية محلية بأي حال، وإذا كان اليهود في كل بقاع الدنيا يحرصون علىٰ أن تتجمع مشاعرهم حول قضاياهم وهم من سلبوا الأرض واختطفوا الحق، فإن العرب والمسلمين وأرباب الإنسانية من شرق وغرب في بقاع الأرض جديرون أن يلتفوا حول قضية فلسطين العادلة، فهم أصحاب العدل والحقوق!

ولأستاذنا الأديب المسيحي وديع فلسطين رؤية تختلف عن الآخرين، فهو يعتقد أن الثقافة هي سبيل التضامن العربي مع

القضية الفلسطينية، ولذا كان يركز في كتاباته علىٰ القضايا الثقافية المتعلقة بهذا الشأن، وإذا ما تحقق هذا التضامن الثقافي بأيّ وسيلة كانت فإن العرب حينئذٍ يستطيعون أن ينتزعوا تلك الحقوق المسلوبة بأيديهم، وبإمكانهم أيضًا أن يفرضوا علىٰ غيرهم إرادتهم القوية لاستخلاص ما ضاع منهم نتيجة تفرقهم، وأن يعيدوا كل أمجاد الماضي غير البعيد.

إنّ فلسطين تحتل قلب وتفكير كلّ فرد من العرب، وإذا كان لكل نكبة أو بلاء شيءٌ من الخير، فخيرنا من هذه الأحداث الأخيرة هو التكتل العربي والأمل المتجدد في دفع شر الصهيونية الأثيمة، وكشف تلك الإنسانية المزعومة لدىٰ الغرب!





حربُ غزّة حتميّة

فايزة شرف الدين/ مصر[١]

لم تكن فكرة سلب فلسطين، وليدة آخر القرن التاسع عشر، ومن بنات أفكار «تيودور هيرتزل»، بل سبقه «نابليون بونابرت» والذي جعل الغرب بحملته علىٰ مصر يدرك أهميتها وأهمية شرقنا العربي.. ربما نعود القهقري بالرجوع إلىٰ الحملات الصليبية الطامعة فينا وفي ثرواتنا، ومحاولاتهم التمسح بالدين والدفاع عن الصليب، لكنهم دحضوا مزاعمهم تلك عندما ذبحوا مع من ذبحوا المسيحيين، وسالت الدماء أنهارًا.

هكذا تذرع الصهاينة فيما بعد بحقهم وإرثهم التاريخي والديني في أرض فلسطين، بالرغم من أن الصهيونية صناعة غربية، تبناها فلاسفة ورجال لا يدينون باليهودية.. لنستعين بمفكرنا «عبد الوهاب المسيري»، عندما ذكر في كتبه التي أفاض فيها عن الصهيونية، أن «بلفور» الذي وعد اليهود بأرض فلسطين، كان يمقت اليهود ويحتقرهم كما غيره من الفلاسفة، لكنه مع ذلك أعطىٰ أرضًا لا يملكها لشعب ليس له حق فيها. تم سلبها بالقوة الغاشمة من

(١) روائية وناقدة.

الفلسطيني، حتىٰ يتخلص من اليهود، بعد أن أصبحوا يمثلون عبئًا يثقل كاهل أوربا، وأيضا بديلًا رخيصًا عوضًا عن الاستعمار التقليدي.

هناك أيضًا عامل ديني، فهؤلاء الصهاينة المنتمون إلىٰ البروتستانت، ومن نطلق عليهم اليمين المتطرف، لديهم قناعة وإيمان، بأن المشيح المخلص سوف، يظهر في أرض فلسطين، ويه إما يتحول اليهود إلىٰ المسيحية، أو يتم التخلص منهم نهائيا علىٰ يديه.

علينا أن ندرك جميعًا، أن عبارة الصهيونية «وطن بلا شعب»، تحمل مؤامرة خطيرة، بإبادة شعب فلسطين بالكامل، كما فعلوا مع الهنود الحمر، لقد غدروا بهم وبالمعاهدات وأبادوهم عن بكرة أبيهم، هذا ما يحاك لفلسطين ولبقية الدول العربية، بعد أن تؤول لهم أرض فلسطين، خالية من سكانها.

لتعد إلىٰ ما قاله الدكتور «عبد الوهاب المسيري»، أنه لا حل للقضية الفلسطينية إلا بالمقاومة، لأنها بذلك تكبد الغرب وأمريكا تكلفة عالية، وتجعل من الصهاينة عبئا اقتصاديًا عليهم، فهؤلاء لا يعرفون عاطفة سوىٰ شراهتهم لجمع المال والحياة الرغدة بامتصاص دماء الشعوب. لقد اعترض اليهود المتدينون فكرة الصهيونية بشدة، ولكن «هرتزل» ذلك الرجل الملحد الذي لا يعترف بدين، عمل جاهدًا للبحث عن وطن قومي لليهود، مخالفًا

بذلك تعاليهم التوراة، التي تمنع اليهود عن العودة إلىٰ أرض فلسطين، فعليهم الصبر والترقب والعودة فقط عند ظهور المشيح المخلص.. تبنت انجلترا دعوة الرجل، ووجدت ضالتها بزرع كيان في الشرق، بديلا عن استعمارها له، بعد أن أصبح الاحتلال مكلفًا وعبئًا عليها، من بعدها أمريكا عندما أصبحت قوة عظمىٰ بعد الحرب العالمية الثانية.

هناك نقطة علينا أن نقف عندها، أوربا بعد سبعة عقود، ستتحول إلىٰ قارة جليدية شديدة البرودة، لا يمكن معها مواصلة الحياة فيها، أيضا أمريكا المعرضة لزلزال أو تسونامي أو براكين قد تتلاشىٰ معها إلىٰ الأبد، شعبها المترف الذي يعيش كبلطجي في العالم، ويهدده بأسلحته الفتاكة لكي يسرق ما لديه من ثروات.. لن يكتفوا بفلسطين وما سلبه من أرض الجنوب اللبناني والجولان وغيره، بل يريد الشرق كله بموارده الطبيعية ومكانه الجغرافي المتميز.

هؤلاء بتقنياتهم المتطورة، وما يملكون من علم منذ عقود كثيرة، يعرفون ما في داخل باطن أرضنا العربية، وما نملكه من ثروات، إنهم يتلصصون لسلب ما نملكه، ولن تأخذهم رحمة بنا لسلبها، كما فُعل بأهل فلسطين قبل النكبة وما بعدها.

لنعد إلىٰ القرآن الكريم .. قال تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[الشعراء: ٥٧، ٥٨].. لقد بلغنا الله

أن مصرنا تملك الجنات والمياه والكنوز.. تلك الكنوز المخبئة التي لا حصر لها، وقد طمرت بتعاقب القرون في باطن الأرض، ولم يتم اكتشافها بعد.. هؤلاء المستعمرون يعرفون مكانها ويطمعون في مصر.. مصر التي أصبحت محاصرة من جهة شرقها الملتهب بمحرقة غزة، وجعل أهلها يفرون بعد أن اشتد عليهم وطيس الحرب والدمار نحو جنوب غزة، والضغط علىٰ مصر لكي يستوطنوا سيناء أو مدنها الجديدة. وأصبحت بوابتها الغربية في خطر محدق بعد أن تفتت ليبيا وتناحر ساستها وممن يملكون زمام الأمور، فيمن يسيطر علىٰ البلد دون مراعاة لمصلحة وطنهم، ومن جنوبها بالسودان المشتعل بالفتنة تنفيذا للمخططات الغربية، وتقسيم المقسم، لتبدأ حرب أخرىٰ لن تنطفئ أوارها، بل ستشتعل لكي تلتهم المزيد والمزيد بما فيهم دول الخليج، التي أصبحت قواعد أمريكية، ينطلق منها آلة الحرب الرهيبة.

إن غزة تدفع ثمنًا باهظًا من أرواح أطفالها ونسائها ورجالها، ويقف رجالها الأشاوس صدا للعدوان الغاشم، دفاعًا عن أمتنا العربية، وليس فقط عن أرض غزة.. لقد صرح الصهاينة في تبجح أنهم يسعون إلىٰ تغيير كامل المنطقة!!.. هذا ما يتعامىٰ عنه الحكام العرب، إنهم لاشك الهدف التالي، وعلينا جميعا أن نتذكر مقولة «قُتلت يوم قُتل الثور الأبيض».



نحن.. وهُم!

مبارك الدشناوي/ مصر[١]

كان اليهود في الجاهلية التي سبقت الإسلام في جزيرة العرب يُكوِّنون لأنفسهم مستعمرات قوية حصينة في المدينة المنورة وشمالها إلىٰ خيبر، وكانوا قد قدموا إلىٰ هذه البقاع فرارًا من الاضطهاد الذي كان المسيحيون يوقعونه بهم، وفي جوف الصحراء وبعيدًا عن بطش الدولة الرومانية، استطاعوا أن يحيوا علىٰ ما يشتهون، والحقيقة أنهم كانوا فلاحين وتجارًا مهرة، واستغلوا محيطهم العربي استغلالًا للمصلحة اليهودية وحدها، فهم يبيعون السلاح ويتعاملون بالربا، وكانوا حريصين علىٰ إشعال نار الفرقة بين العرب فإن العرب ما داموا متفرقين مختلفين يكون استقرار اليهود في المدينة أبقىٰ وأدوم، وهذه طبيعتهم عبر الزمن!!

فلما دخل الإسلام المدينة عرض علىٰ اليهود ما لا معدىٰ لهم عن قبوله؛ فقال لهم: نقر لكم بحرية التدين، ونعترف بحرية العقل والضمير، ولكل إنسان أن يعتنق الذي يحب وأن يبقىٰ عليه ما يشاء وحسابه علىٰ الله بشرط ألا يقف حجر عثرة أمام الراغبين

---

(١) روائي، وباحث في التاريخ الإسلامي.

في الإسلام، والمدينة وطن للجميع ولنتعاون معًا في دفع أي عدو ينال من وطننا المشترك.

لم يجد اليهود بدًا من قبول المعاهدة علىٰ مضض لإنصافها وعدالتها، فأمضوها برضا ظاهر، ولكن ضيقهم النفسي بها بدأ يظهر علىٰ مرّ الأيام ؛ فهم كرهوا الإسلام من أول لحظة وهذا تصرف غريب منهم فهو دين توحيد وله كتاب سماوي ورسول يوحىٰ إليه، ويحارب عُبّاد الأصنام، ولو أن اليهود يخلصون لله ولأنفسهم ولو أن لديهم احترامًا لتعاليم السماء التي ورثوها لقالوا: الإسلام أقرب إلينا من الوثنية، وعبادة الله أقرب إلىٰ ديننا من عبادة الأصنام، إلا إن القرآن كشف عن نفسية القوم تجاهنا: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾[البقرة: ١٠٩]، وكانت النتيجة النهائية بعد مؤامراتهم الخسيسة أن يُجلوا نهائيًّا من المدينة ومن جزيرة العرب.

إن اليهود بدوافع دينية خالصة تركوا البلاد التي كانوا يعيشون فيها كي يقيموا مملكة الله أو دولة إسرائيل في الأرض المقدسة علىٰ أنقاض فلسطين العربية المسلمة!!

فبدوافع دينية احتقر اليهودي الروسي لغته الروسية والأرض الروسية وتركها إلىٰ حيث دولة إسرائيل، واحتقر اليهودي الأمريكي الأرض الأمريكية البكر، وتخلىٰ عن الإنجليزية وقرر



أن يحترم العبرية؛ فانضم اليهودي الروسي إلىٰ اليهودي الأمريكي إلىٰ اليهودي الحبشي وغيرهم، تجمعوا من شتات الأرض، وباسم الدين اليهودي، وباسم التوراة، وباسم اللغة العبرية، وتحت علم إسرائيل كان هذا التجمع الديني.

إذن النزاع والصراع بين العرب والمسلمين وبين إسرائيل قد يطول سنين عددًا لا يُعرف مداها، لكننا ندرك عن يقين جازم بأن هذه الحرب تتوقف بقدر ما يثوب المسلمون إلىٰ رشدهم وإلىٰ دينهم؛ فإذا رجع المسلمون مساء اليوم إلىٰ تعاليم السماء فإن أوار هذه الحرب ينطفئ صباح الغد، وإذا رفض المسلمون اعتبار قضية فلسطين إسلامية، وإذا خجلوا من الانتساب إلىٰ دينهم، وإذا بعدت الشّقة بينهم وبين الإسلام وإذا استمرأ الشيطان إنامتهم والضحك عليهم؛ فإن هذه الحرب لن تنتهي؛ بل ربما قامت لإسرائيل إمبراطوريتها المزعومة من الفرات إلىٰ النيل كما يؤملون.

والسرّ أن الحرب الدائرة الآن يديرها طرفان بعقلية تستحق الدراسة والتأمل؛ فأما عقلية بني إسرائيل: فهم يعتقدون أن الكون بشمسه وقمره ونجومه خلق من أجل الأرض، وأن الأرض خلقت من أجل بني آدم، وبنوا آدم خلقوا من أجل بني إسرائيل، وأن بني إسرائيل هم الجنس المقدس والشعب المختار والأمة السيدة الموهوبة التي ينبغي أن يعنوا الناس لها وأن يخضعوا لسلطانها..

وبناء علىٰ هذا الفكر المختل فإنهم يعتبرون عودتهم إلىٰ فلسطين وصلًا للماضي الذي انقطع وإحياء للتاريخ الذي تجمد واندرس، وهم يريدون أن يقيموا كما يقولون: «مملكة يهوه» التي يحكمون بها الناس لحساب رب إسرائيل وبني إسرائيل؛ فالحرب في وهمهم وعزمهم وحركاتهم وسكناتهم حرب دينية تمدها أفكار واضحة في أدمغة القوم ومشاعر مرتبة في أنفسهم وأفئدتهم وهم ماضون في هذا الطريق إلىٰ نهايته.. مستغلين ما يعطيه الدين من تعصب ورغبة في النفقة والبذل وقدرة علىٰ التحمل استطاعوا بهذا كله أن يكسبوا كل المعارك التي خاضوها ضدنا وبديهي أن ينضم إليهم الحاقدون علىٰ الإسلام من المستعمرين الذين هاجموا في السابق هذه الأمة في حروبها الصليبية الأولىٰ وتشابكت أذرع الجميع في كيل اللكمات واللطمات لنا، ونيل ما يبتغون منا.

أما نحن فإن جماهير غفيرة لا زالت ترفض رفضًا باتًا أن تصف الإجرام اليهودي علىٰ أرضنا ومقدساتنا وتاريخنا بأنه هجوم ديني، وقالوا: هو هجوم عسكري سياسي.. وهذا كلام غريب يعتمد علىٰ جهل مطلق مطبق، هؤلاء الذين أقاموا بعض القيادات الفكرية في بلادنا صوروا الحرب عن عمد وقصد أنها سياسية، وأن الدين لا دخل له في هذه الحرب، وكم يظهر لهم في كل مرة أنهم كانوا أغبياء ليدركوا: أن الحرب دينية، تدار بروح



دينية، ويجب أن يقف بإزائها الإسلام، ويحتل الجبهة المقابلة، ويبدأ بالمقاومة ويفرض نفسه.

اليهود تجمعوا في فلسطين.. والحقيقة أنهم لم يعودوا بقواهم الذاتية قدر ما أن المسلمين شَحَبت وجوههم، وغاضت منابع الإيمان في تربتهم، وانقطع تيار الإيمان الذي يمدهم بالقوة؛ فلما جاء اليهود وانتصروا لم يكن انتصارهم فخرًا لهم بقدر ما كان هذا الانتصار خزيًا لنا.

حادثت نفسي قائلًا: هل يريد اليهود محو ديننا؟ تأملت أقوال زعماء القوم لأتبن جلية الأمر، يقول بيجن: «إن الطريق أمامنا صعب لأننا نريد محو الحضارة العربية وإحلال الحضارة العبرية مكانها».

وفي الحرب الدائرة الآن بين إسرائيل وغزة خرج نتنياهو في خطاب يحمس فيه الإسرائليين مستشهدًا بالتوراة :«عليكم بتذكر ما فعل العماليق بالإسرائليين، نحن نتذكر، ونحن نقاتل». يقصد النص التوراتي الذي يقول: «الآن اضربوا العماليق، دمروا تمامًا كل ما يملكون لا تفلتوهم، اقتلوا الرجال والنساء، الرضع والمرضعات، العجول والخراف، الجمال والحمير».

إذن الأمر أمر استئصال.. الأمر في حقيقته أن هناك دينًا يراد الإجهاز عليه، وعلىٰ أمة تعتنقه، وإحلال دين آخر مكانه وأمة أخرىٰ!!

ثم حادثت نفسي أيضًا: أولئك الذين هم من وراء إسرائيل، ما الذي يجعلهم يؤمّنون إسرائيل، ويدافعون عن إجرامها، ويتعصبون لها، ويرسلون لها الأسلحة؟ أهي المصالح والمنافع المشتركة؟ لا أظن ذلك.. فالعرب في أرضهم الواسعة، والمسلمين في بقاعهم الأوسع عبارة عن أسواق استهلاكية كبيرة لكل ما ينتجه الغرب؛ فالمصلحة تقتضي مجاملة العرب لا حربهم.

ثم هل نحن أسأنا للأمريكيين؟ والجواب لا.. فهم قوم ظهروا في التاريخ من قرن أو قرنين علىٰ الأكثر ونحن قبل ذلك كنا قد شققنا طريق حضارتنا في هذه الحياة ولعلهم ظهروا يوم بدأنا نضعف؛ والظاهر أن الأمريكان لديهم عقدة كلمة «وطن» بمعناها الحقيقي لأنهم جميعًا طرأوا علىٰ أرض لم تكن لهم؛ فما الذي يجعل الغرب يتحمل شتاءً باردًا لو منع عنه النفط العربي؟

الواقع الذي لا يذكره الكثيرون أن الأمر ليس عشقًا لليهود بقدر ما هو كره لله ولمحمد ﷺ وللقرآن وللمسلمين، وهذا الكره توارثوه ورضعوه من لبان الأمهات.

إذن العالم كله يريد أن تبقىٰ إسرائيل داخل حدود قضمتها بأنيابها قضمًا.

فهل سيعود العرب إلىٰ الإسلام؟؟



صمودهم وواجباتنا

محمد ثابت توفيق/ مصر[1]

يحرص المسلمون في جميع أنحاء العالم علىٰ متابعة تطورات القضية الفلسطينية منذ سنوات بخليط من الإعزاز والمحبة والدعوات والتفاؤل بموعود الله الذي بشر بانتصارهم في معركتهم ضد بني إسرائيل الممتدة عبر القرون إذ يقول تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[الإسراء: ٧]، وإن كان لبعض المفسرين رأي بأن المرة الثانية المقصودة بالآية مرت علىٰ بني إسرائيل لكن آخرين يرون أنها المقبلة، وبالتالي فإن موعود الله فيها واضح بأن هؤلاء إن أحسنوا رحموا أنفسهم، وإن أساءوا فسيذوقون النتيجة التي يستحقونها مع مجيء الأمة المؤمنة التي يقويها الله وتنهض بإيمانها؛ ومن ثم تتملك الأدوات والأسباب اللازمة لإذلال طغيان وإفساد بني إسرائيل في الأرض، فإن يكن من المسلمين مَنْ يحزن للحال بفلسطين المحتلة؛ وازدياد قسوة الظلم من جانب الكيان المحتل الغاصب فإن عليه أن يتذكر جيدًا

(١) قاص، وكاتب، وناقد.

المعنىٰ اللطيف البالغ العمق الذي نبّه إليه الشيخ الراحل محمد متولي الشعراوي في تفسيره المصور لكتاب الله الذي أسماه «خواطري حول القرآن الكريم»، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشير للآية السابقة ولقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[الإسراء: ١٠٤]، ليقول إن الآية تحمل بشارة للأمة الإسلامية بقرب هلاك بني إسرائيل، فبعد نبي الله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شتتهم الله في الأرض، ثم بعد قرون مكنهم تعالىٰ من الأرض المقدسة وأوصاهم بشكر نعمته وحذرهم من مغبة العصيان، وأنهم إن سلكوا مسلك مَنْ كانوا قبلهم من أجدادهم بالإفساد في الأرض لاقوا مصيرهم، فعصوا واستحقوا غضب ولعنة الله، وقد شرحت لنا الآية الكريمة كيفية انتقام الله منهم؛ فحين يأتي بهم الله في الجولة الآخرة سيأتون لفيفًا أي مجتمعين، لأن الأمة المؤمنة حين يقويها ويمكنها الله لتضرب هؤلاء القوم -بني إسرائيل- لا بد أن يكونوا مجتمعين، وكأن الله قد أراد أن يكون هذا «الوطن القومي» حتىٰ يتجمعوا فيه، وبعد ذلك يرسل الضربة عليهم لأنه جاء به لفيفًا من قبل ... لتأتي الضربة القاصمة المذكورة في الآية السابعة من سورة الإسراء.

لكن كيف يمكننا ألَّا نكتفي بالحزن لحال إخواننا في فلسطين الأبيّة وأن نساهم -ما أمكننا- في صمودها وبالتالي تحقيق مراد الله في عدوهم وعدونا الغاشم؟

واجبات المسلمين:

١ـ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﵁، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[رواه البخاري]، يخبر المصطفىٰ أن هناك من أمته من يظلون علىٰ الحق حتىٰ يموتوا عليه، وقال بعض أهل الحديث إنهم قد يكونون في الشام في فترات ولكنهم غير محددين بمكان، وضعف الألباني ما رواه الإمام أحمد -رحمهما الله- عن الرسول العظيم من هذا التحديد، والشاهد أن أمة الرسول الخاتم العظيم قد تضعف ولكنها لا تغيب بالكلية والعياذ بالله، وصدق الله العظيم القائل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب: ٢٣]، وهؤلاء «الرجال» في أفعالهم غير محددي المكان، نجدهم حتىٰ يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

وبناء عليه فالحزن علىٰ حال الأمة اليوم خاصة الذي يوهن من عزيمة أصحابه ويجعلهم أسرىٰ ما يجلبه من وهن تجب مقاومته، فيجب أن يدفع الواقع لحسن العمل والإعداد لنصرتها، فما يجري في ملك الله وكونه إلا ما أراده تعالىٰ، وما علىٰ المسلم الحقيقي إلا إضمار السعي لمرضاته تعالىٰ.

٢ـ من السعي لمرضاة الله وإعمار الأرض ونصرة الأمة وفلسطين الأبيّة المقاومة أن يحسن كل منا عمله، يسعىٰ لتجويده بجميع ما أوتي من قدرات وإمكانات، يحاسب نفسه وضميره، فلو أن جميع أفراد أمة محمد ﷺ قاموا بأعمالهم كما ينبغي لنهضت الأمة وصارت مهيبة الجانب في فترة وجيزة ولعل هذا ما قصد بعضه الرسول العظيم لما قال: عن ثوبان رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «يُوشِكُ أن تَدَاعَىٰ عليكم الأممُ من كلِّ أُفُقٍ، كما تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إلىٰ قَصْعَتِها»، قيل : يا رسولَ اللهِ ! فمِن قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟ قال «لا، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، يُجْعَلُ الْوَهَنُ في قلوبِكم، ويُنْزَعُ الرُّعْبُ من قلوبِ عَدُوِّكم؛ لِحُبِّكُمُ الدنيا وكَرَاهِيَتِكُم الموتَ»[رواه أبو داود]. فكثرة المسلمين لا تفيد دينهم لأسباب منها وهن القلوب وتعلقها بالراحة في الدنيا وترك الكفاح والأخذ بالأسباب.

٣ـ رغم كل ما يحدث للمسلمين خاصة في فلسطين، ورغم الألم الذي يعتصر القلوب لأجلهم فإن الله جعل علامات واضحة لوشيك إفاقة المقاومة وانتصارها -بإذن الله- في مقبل الزمان وقد لاحت بوادره، فللمرة الأولىٰ منذ قيام دولة الكيان الغاصب المحتل تهاجم من داخلها وباستعدادات وتقنيات وروح استبسال مضيئة مشحذة للهمم، ورغم أن عملية «طوفان الأقصىٰ» التي

بدأت السبت ٢٢ من ربيع الأوّل الموافق ٧ من أكتوبر/ تشرين الأول طالت أبرياء كثيرين من إخواننا الفلسطينين ومنهم الأطفال والنساء وكبار السن فضلًا عن البنية التحتية والممتلكات؛ إلا أنها المرة الأولىٰ التي نرىٰ فيها نوعًا أحببنا ولطالما تمنيناه من الصمود، إذ إن أهلنا هناك فاجئوا العالم بقدرتهم علىٰ ردع العدو والانتصار للآلاف الشهداء والنساء والأطفال الذين يتعمد الاحتلال الغاشم التعدي عليهم، حتىٰ أنه اشتِهرَ عن جيشه أنه لا يقهر ولا يستطيع أحد مجرد مقاومة قوته؛ ولهذا يفعل ما يعن ويخطر علىٰ باله من ظلم واعتساف وطغيان وعبث بالبشر والحجر والمقدسات؛ وأولها المسجد الأقصىٰ المبارك أول القبلتين وثالث الحرمين، فكان أن **لقنت المقاومة العدو وناصريه درسًا بليغًا لم يكن يخطر لهم علىٰ بال، إذ بادروا بالهجوم وصمدوا وثبتوا رغم الخسائر، وهو ما يقول بأن أمة محمد ﷺ قادرة علىٰ المبادئة وإثبات الوجود وسريان الحياة في روحها وأوصالها.**

٤ـ وفضلًا عما سبق فإن المقاومة أثبتت أن الاستبسال والخط الصاعد لارتفاع الأمة صار في علو، مهما كانت نتائجه موجعة ولكن المنحنىٰ البياني الصامد الذي كان أقصىٰ إنجازاته الإصرار

علىٰ عدم الهبوط إثباصار يصعد، ومهما استلزم من وقت ليواصل الصعود لقمة الرقي وت الصلة بالله، وبالتالي تحرير الأقصىٰ المبارك ـ بإذن الله ـ، وإن كان الأمر يلزمه سنوات أخرىٰ من الإعداد والمواصلة لكن يكفي أنه بدأ بإذن الله تعالىٰ وصدق رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد: ٧].

وعلىٰ كل مسلم خارج فلسطين نصرة إخواننا الصامدين المقاومين؛ ففضلًا عن مضاعفة العمل واحتساب أجره وثوابه عند الله بغية نصرة وارتفاع الأمة فإن علىٰ كل مستطيع التبرع بالمال أن يبادر، والقادر علىٰ الدعم بالكلمة المناصرة ألا يتأخر، فإن لم نستطع هذا أو ذاك فندعو الله بنصرة إخواننا وألّا يحرمنا من ثوابهم وأن يرفق بأمته ويعينها علىٰ التحديات وما تلاقيه في سبيل نصرة دينه ومقدساتها.





رؤية لصناعة النصر

محمد فاروق/ سورية[1]

ذلك الوجه الذي لا يعرف إلا الابتسامة، بدا اليوم شاحبًا كئيبًا، اقتربت منه وسألته: هل حصل معك أي مكروه لا سمح الله؟، فأجابني: (تشاجرت مع زوجتي... وأيضًا مع مديري في العمل، لا أستطيع التركيز في أي شيء، ودموعي تغلبني كل مساء، أبكي كالأطفال).

ثم تابع بعد أن مسح دموعه: (ألا تشاهد ماذا يجري في غزة؟! كيف يمكن للبشر أن يتحملوا تلك المشاهد؟! القهر الذي يملأ داخلي، ليس فقط لأجل ما يقع علىٰ عيوني من صور القتل والتدمير الذي يتعرض له أبرياء لا ذنب لهم، بل القهر كل القهر أن يقف أحدنا مكتوف اليدين، لا هو قادر علىٰ فعل شيء، ولا هو قادر علىٰ تجاهل ما يراه).

قلت له: أما أنا فلا أشاهد الأخبار المصوّرة مطلقًا، أنا فقط أكتفي بمطالعة الأخبار المكتوبة، وأبذل كل جهدي لأمنع تلك المشاهد والصور أن تقترب مني.

---

(١) مهندس وكاتب، دراسات عليا في التربية والدراسات الإسلامية.

سألني : لماذا، كيف؟

أجبته -بعد أن قطع حديثنا صوت سيارة تمشي بسرعة جنونية- : إن ما يجري اليوم في غزة قضية معقدة، والتعامل معها لا ينبغي أن تُديره العاطفة والمشاعر، إنما لا بد لنا من فهم الماضي والحاضر والمستقبل، فالموضوع في حقيقته ليس منحصرًا بغزة، وهو ليس حربًا عادية بين دولتين أو محورين، إنه صراع بين الحق والباطل، صراع يريد أهل الباطل فيه أن يقضوا علىٰ الحق وأهله، وبينما يعيش أهل الحق محاصرون في كل البلاد، وليس بين أيديهم قوة مادية كافية، يتمتع أهل الباطل بكامل الحرية مزودين بشتىٰ أنواع القوة المادية.

وحتىٰ نفهم مثل هذه الموضوعات المتشابكة، لا بد أن نستعين بإحدىٰ منهجيات التفكير، ودعني أعتمد منهجية التبسيط لأشرح لك وجهة نظري.

أرأيت تلك السيارة -التي قطعت حديثنا منذ قليل-، تخيل لو أنها صدمت عمدًا مجموعة من الأطفال الأبرياء ينتظرون خلو الطريق كي يعبروه، ياترىٰ كيف سيتصرف الناس مع هذا الحادث؟

سينقسم الناس إلىٰ قسمين رئيسين؛ القسم الأول: الأشخاص الفاعلون، وهم أولئك الذين يتحركون بسرعة، يقدمون المساعدة،



يتصلون مع الإسعاف، يحاولون التواصل مع أهالي الأطفال المصابين، حتىٰ أولئك الصحفيين الذين يأتون لالتقاط الصور وبيعها للفوز بسبق صحفي، هم أشخاص فاعلون، بل ربما فاعلون جدًا، لأن انتشار هذا الخبر مرفقًا بالصور سيكون له تأثير في توعية الناس، بالإضافة إلىٰ كونها دليلًا يستند عليه في النواحي القضائية.

أما القسم الثاني من الناس: فأولئك الذين نطلق عليهم اسم (مكتوفو الأيدي): وهم الأشخاص الذين يتجمعون ويتجمهرون، يكتفون بالنظر، ربما يحزنون بل ويبكون، ولكنهم لا يفعلون شيئًا، إلا إعاقة حركة السير.

من المفيد أن نعلم أن المصابين وأهليهم سيواسيهم التعاطف، ولكنهم ليسو بحاجة إلىٰ مجرد تعاطف. إنهم بحاجة لمن يخطوة خطوة –علىٰ الأقل- إلىٰ الوراء ويفسح المجال لسيارة الإسعاف بدلًا من أن يقف متفرجًا.

سيحتاج المصابون إلىٰ مواد طبية وهذا يعني أن الصيدلي يجب أن يبقىٰ في صيدليته ولا يغادرها ليتفرج...

سيحتاج المصابون إلىٰ ماء وهذا يعني أن البقال يجب أن يبقىٰ في بقاليته وألا يغادرها ليتفرج...

يجب علىٰ باقي السيارات أن تحافظ علىٰ مسارها وألا تقف لتتفرج، وإلا سيتسبب ذلك في ازدحام معدٍ، يبدأ في هذا الشارع ثم في كل شارع رئيسي أو فرعي مرتبط به.

يجب أن نحرص كل الحرص، وأن نكون واعين بقدر كافٍ ألا يتسبب هذا الحادث بالفوضىٰ، وإلا ستتوالىٰ عشرات الحوادث، وربما يكون بعضها أشد خطرًا.

إذًا ليس القرب المكاني شرطًا لتقديم المساعدة، بل ربما يكون القرب المكاني عائقًا، وغالبًا ما يستطيع الأشخاص الأبعد أن يقدموا المزيد من العون، فمثلًا يمكن لشخص شاهد الحادث من شرفته أن يكون فاعلًا أكثر من شخص يقف فوق رؤوس الأطفال المصابين. والأمر نفسه ينطبق علىٰ البعد الزماني، فالأشخاص البعيدون زمنيًا عن الحادث يستطيعون تقديم المساعدة أيضًا، بل حتىٰ إنهم قادرون -وبقوة- علىٰ التخفيف من آثاره!

قال لي صاحب الوجه المبتسم: (لقد تعبنا من الوقوف ونحن نتحدث، دعنا نجلس ونكمل).

قلت له: لم يبق لدي الكثير لأقوله، ولكن لنجلس.

طلب مني أنا أتابع من حيث انتهيت: (كنت تتحدث عن البعد الزماني، ماذا تقصد به؟).



قلت له: نعم، البعد الزماني، لنعود إلىٰ تلك السيارة، ألا تعتقد لو أن مكابحها كانت مهترئة ألن تكون آثار الحادث أكثر ضررًا؟

قال: (نعم، بكل تأكيد).

ألا تعتقد أن ذلك الميكانيكي –الذي لا نعرفه– الذي ضبط فرامل هذه السيارة بصورة جيدة قد ساعد في تخفيف الأضرار؟ مع أن فعله هذا ربما يكون حصل قبل شهر أو شهرين، أي قبل أن يقع الحادث بمدة ليست قصيرة، ودون علم مسبق منه بان حادثًا سيقع.

أيضًا، ذلك العامل –المجهول– الذي كان يتفقد إنارة الطريق بصورة مستمرة، ولا يتقاعس عن أعمال الصيانة والإصلاح، ألا تعتقد أنه ساعد كثيرًا في تسهيل عملية الإنقاذ مع أن عمله هذا قد سبق الحادث بمدة؟

أليس ذلك المكيانيكي وذلك العامل –الغائبان زمانيًا ومكانيًا عن الحادث– قد ساعدا في التخفيف من أضراره؟!

قال: (نعم، بكل تأكيد).

صديقي، دعنا نتوقف قليلًا عن الحديث عن الألم، ولنتحدث عن العلاج، دعنا نخفف من مظاهر التعاطف ولنركز علىٰ العمل، فالحوادث لن تتوقف، بل هي نشاط مستمر طبيعي، نسمع به كل يوم علىٰ الرغم من التقدم التقني.

إن الأنشطة البشرية، أنشطة مترابطة جدًا، لا تفصلها أزمنة ولا تباعد بينها الأمكنة، ولو نظرنا بالطريقة نفسها إلىٰ ما يجري في غزة ربما لأحسنا التصرف.

قاطعني قائلًا: (قلت لي إنك فقط تتابع الأخبار المكتوبة ولا تقترب من الأخبار المصورة، لماذا؟).

قلت له: شخصيًا، أصاب بإحباط شديد عند مشاهدة صور الدمار والشهداء، أشعر بأنني غير قادر علىٰ فعل أي شيء، أكره كل شيء حتىٰ نفسي، ألا تعتقد أن الصواب أن أعتزل كل ذلك حتىٰ لا أصاب بشلل سلوكي ربما يكون أسوأ من الشلل العضلي؟!

أنا أعتقد أن السماح بانتشار هذه المشاهد عمل مقصود، والادعاء بأن الغرض من نشرها تحريض الرأي العام وتحريك الناس، مشكلة بحد ذاته.

فمن لم يتحرك لرفع الظلم – بغض النظر عن تلك المشاهد – هو إما شريك للظالم أو شخص ميت الإحساس والضمير!

سينتفض شبابنا بعد أن تنتشر تلك المقاطع المؤلمة، فلا يجدون سبيلًا يشفي صدورهم، فيبحثون ويبحثون... يخرجون في



مظاهرة، يرفعون علمًا، ويحرقون آخر، يقاطعون بالمعنىٰ الحرفي للمقاطعة فليس بين أيديهم سوىٰ ذلك...

بالنهاية لا أرىٰ ذلك إلا أداة تمتص غضب الشارع، أداة صنعت بأيدي السياسيين كي يستغلونها لمصلحتهم، ورعتها وسائل الإعلام حتىٰ تكون مصدر رزق لهم، وهي لا تزيد الوضع إلا سوءًا، فما هو شعور الشباب بعد أن يخرجوا ويتظاهروا ثم لا يصغي إليهم أحد؟ ماذا يعني أن تخرج الملايين من الشعوب المتعاطفة دون أن تستطيع هذه الملايين أن تنتصر علىٰ صاروخ واحد أو حتىٰ أن تمنع رصاصة واحدة أن تصل إلىٰ رأس بريء؟!

بلهجة المتهكم خاطبني: (هل تقصد أن يبقىٰ الناس في بيوتهم ولا ينزلون إلىٰ الشوارع؟! لم أفهم قصدك بالضبط !!!)

أجبته: لا تتهكم يا صديقي، فإذا قبلنا بمبدأ البعد المكاني والزماني وأهميتهما، عندها يصبح التظاهر مقبولًا، بل ربما يكون جزءًا من برنامج صناعة الانتصار طالما كان التظاهر علىٰ قاعدة واعية وليس مجرد قناة للتفريغ.



طوفان الأقصى والاعتماد على الذات

محمد فتحي النادي/ مصر[١]

أقبل اليهود الصهاينة بقضهم وقضيضهم إلىٰ أرض فلسطين علىٰ حين غفلة من أهلها.

وقبل ذلك كانوا خطَّطوا لحركاتهم، وتصوَّروا مستقبلهم، وحدَّدوا أهدافهم، ونفَّذوا ما خطَّطوا له باتخاذ كل السبل لإيجاد موطئ قدم لهم في فلسطين، فطرقوا باب الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني، واشتروا أراضي في فلسطين، واستعانوا بالقوىٰ العظمىٰ في التمكين لهم.

ولما أُسقطت الخلافة العثمانية وانفرد المحتلون ببلدان العرب والمسلمين مكَّنوا اليهود الصهاينة من أرض فلسطين.

وراحت عصابات اليهود تسارع الوقت لاغتصاب ما تقدر عليه من الأرض؛ فأثخنت بالبريطانيين الذين وعدوهم بالأرض المقدسة وأعانوهم ومكنوا لهم، وبثت الرعب في قلوب الفلسطينيين بالمجازر، وعملت علىٰ تهجيرهم من أرضهم.

(١) باحث في الفكر الإسلامي، مؤلف ومحقق، طُبع له نحو ٢٠ كتابًا.



وقد قامت ثورات فلسطينية مسلحة قبل إعلان قيام الكيان الغاصب، لكنها لم تكن قادرة علىٰ ما منع ما قدَّره الله من اجتماع اليهود الصهاينة في الأرض المقدسة.

ولم يمض ربع قرن علىٰ سقوط الخلافة حتىٰ أعلنوا قيام كيانهم الغاصب بنبوءات توراتية، وإرهاب وقتل وحرق وتدمير، وموافقة واعتراف من القوىٰ الكبرىٰ، وغياب إسلامي، وضعف عربي وخيانة من البعض؛ حيث إن الجيوش العربية -التي كانت بلدانها تحت الاحتلال الأجنبي- مع المتطوعين من الشعوب قد هبوا لمحاربة اليهود، لكنهم انهزموا لأسباب كثيرة.

فكانت النكبة عام ١٩٤٨م، والتي تشتت بعدها الفلسطينيون في بلدان العالم، أو هُجروا من أراضيهم وبيوتهم في الداخل إلىٰ أماكن أخرىٰ.

وتبدَّلت المعادلة؛ فبعد أن كان اليهود هم المشتتين شذاذ الآفاق، ذاق الفلسطينيون من كأس الشتات والهجرة واللجوء.

ثم كانت الثورات العربية الداعية لخروج المحتل الأجنبي وإسقاط الأنظمة التي كانت قائمة، وقد تمكن ضباط من تلك الجيوش من إقامة أنظمة سياسية جديدة، وتفاهمت مع المحتل

علىٰ الخروج والجلاء، ولم تكن تخفي تلك الأنظمة الجديدة عداءها للكيان المغتصب ودعمها للفلسطينيين.

لكن تلك الجيوش العربية -التي أصبحت صاحبة الكلمة العليا في بلدانها- لم تنهزم فقط خارج أراضيها القطرية، بل تمكن الكيان من هزيمتها مرة ثانية في النكسة عام ١٩٦٧م، وابتلع فلسطين كلها، وأجزاءً من الأراضي المصرية والسورية، ثم جنوب لبنان.

فمَن ادّعىٰ حمله للقضية الفلسطينية لم يتمكن من استرجاع فلسطين فضلًا عن حماية أراضيه.

ثم جاءت حرب العاشر من رمضان التي أرجعت بعض الأرض والكرامة للعرب، لكنها تبعتها إجراءات كارثية من الرئيس الراحل محمد أنور السادات بإبرامه معاهدة للسلام مع الكيان، تلك المعاهدة التي جعلت مصر مجرد وسيط بين اليهود والفلسطينيين، بعد أن كانت من حماة القضية والمدافعين عنها والباذلين الدماء في سبيلها.

وفي بعض المراحل السوداء من التاريخ كانت وسيطًا غير محايد، بل تقف من خلال نظامها -لا شعبها- في صف الكيان أكثر من وقوفه إلىٰ جانب الفلسطينيين.



ولم تنقطع المقاومة الفلسطينية يومًا من الأيام، وقد تعددت أشكالها وألوانها ووسائلها، وانضوىٰ تحتها لوائها ذوو اتجاهات شتىٰ ومشارب مختلفة؛ فمنهم القومي والإسلامي واليساري والمسيحي... إلخ.

لكنها كانت فردية وبأدوات بسيطة.

وقد بدأت التنظيمات المسلحة الفلسطينية باكرًا؛ فحركة فتح تكوّنت في الخارج، وأعلنت عن نفسها في الفاتح من يناير سنة ١٩٦٥م.

ثم دخل عنصر جديد في معادلة الصراع؛ فلم تعد التنظيمات وحدها من تواجه المحتل، بل انتفض الشعب الفلسطيني كله في وجه المحتل الصهيوني عام ١٩٨٧م، وكان ذلك إيذانًا بانتقال المواجهة من تنظيمات بعضها في الخارج والداخل إلىٰ مواجهة شعب كامل خرج مدافعًا عن كرامته وشرفه، ولم يكن يملك إلا إيمانه في قلبه وحنجرته الصادحة برفض عربدة الصهاينة وحجرًا في يده يحاول أن يدفع به عن نفسه الجنود الصهاينة المدججين بالسلاح.

وبعد كثير من إثخان حركة فتح للعدوّ، انحرفت فوّهة البندقية لدىٰ زعيمها واختار السلام بتوقيع معاهدة أوسلو عام ١٩٩٣م،

وبدأ يصنع من نفسه حارسًا للكيان الصهيوني، ومحاربًا للتنظيمات المسلحة الأخرىٰ، وعلىٰ رأسها حركة المقاومة الإسلامية حماس.

ولم يجلب هذا السلام الزائف السلام للفلسطينيين، ولم يُعد لهم أرضهم، ولم يحمِ عرضهم وشرفهم، بل زاد إذلال الصهاينة للفلسطينيين، ثم غدروا بمن وضع يده في أيديهم باسم السلام، وهو الرئيس الراحل ياسر عرفات.

فلما زادت الغطرسة الصهيونية، وتغولت عربدتهم علىٰ الفلسطينيين، ولم يكن هناك رادع لهم من أي طرف من الأطراف الدولية، وأعلنوا نواياهم في هدم المسجد الأقصىٰ وحفر الأنفاق من تحته، وكثرة اقتحامه من قبل الجنود والساسة والقادة والحركات الدينية الصهيونية المتطرفة لم يجد الفلسطينيون بدًّا من الخروج مرة أخرىٰ بأنفسهم للدفاع عن مقدساتهم وأرضهم في انتفاضتهم الثانية سنة ٢٠٠٠م.

ولم يمض عليها الكثير من الوقت حتىٰ ضاق الصهاينة بغزة وما يحدث فيها فخرجوا منها وفككوا المستوطنات (المغتصبات)، فأصبحت غزة محررة وتمثِّل صداعًا في رأس قادة الاحتلال، وشوكة في جنوبهم تنغص عليهم رقادهم.



وفي أثناء الانتفاضات كان الفلسطينيون يستغيثون فلا يُغاثون ويستصرخون فلا يُلبون، بُحت حناجرهم من النداء علىٰ إخوانهم: أين أنتم يا عرب؟ أين أنتم يا مسلمون؟

لكن حيل بين الشعوب وبين تلبية النداء، بل وشاركت بعض الأنظمة في حصار الغزيين؛ لأنهم اختاروا -عن طريق الديمقراطية النزيهة- أن يحكمهم أبناء حركة حماس.

وتوالت الحروب علىٰ غزة تحت الحصار، ودون مد يد العون من أحد إلا من بعض الإغاثات التي تأتيهم من إخوانهم العرب والمسلمين.

فتيقنوا أنهم هم وحدهم المنوط بهم المدافعة عن أنفسهم؛ فتدرجوا من الحجر إلىٰ السكين إلىٰ البنادق الآلية إلىٰ التفجير إلىٰ صناعة صواريخ بدائية إلىٰ تطوير التصنيع العسكري؛ حتىٰ بات كثير من أسلحتهم محلية الصنع.

وفي كل تلك المراحل كانوا يجدون المخذِّلين المحبِّطين من دعاة السلام الذي لم يجلب لهم يومًا السلام، بل أريد لهم الإذعان والإخضاع والإذلال.

والتحم الشعب مع مقاومته؛ فما عاد يستنجد بأحد إلا برب السموات والأرض كاشفًا ضعفنا وقلة حيلتنا.

هم صبروا وصابروا وجاهدوا فسوف يأتيهم المدد من السماء، والمخذول هو من خذلهم، والمهزوم هو من أدار ظهره عن نصرتهم.

لكنهم أثبتوا أن الاعتماد علىٰ الله وحده ثم الأخذ بالأسباب هما وحدهما الجديران بتغيير وضعهم، لا تلك المناشدات السابقة التي لم تغير لهم حالًا، ولم تجلب لهم أمنًا وسلامًا.

فالاعتماد علىٰ الذات درس مستفاد من تلك الحرب التي سيكون ما بعدها مختلفًا عما قبلها؛ فحرب (طوفان الأقصىٰ ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م) هي بداية النهاية لهذا الكيان الذي اجتمعت له كل أسباب النصر والمناصرة من دول العالم الكبرىٰ، لكن المخذول من خذله الله؛ فقوّته ومناصرة الآخرين له لم تغن عنه شيئًا أمام شعب آمن بربه وبمقاومته وبذاته.





محاولات الاستيطان المبكّرة في فلسطين

محمود الحسن/ سورية[1]

يتَّفق عامةُ المؤرِّخين علىٰ أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي هو عصر الهجرات اليهودية الكبيرة والمتتابعة إلىٰ فلسطين، حيث وصل إليها آلاف المهاجرين من روسية وأوربة، بسبب الاضطهاد والمذابح التي تعرَّضوا لها، وبدؤوا يستوطنون علىٰ أرضِها، ويتلقَّون الدعم المالي والسياسي من المنظمات اليهودية العالمية.

ولكن المصادر التاريخية تؤكِّد أنّ محاولات الاستيطان المبكرة في فلسطين كانت أقدمَ من ذلك بنحو قرنين من الزمان، في حين كان وجود اليهود في فلسطين، قبل ذلك، يقتصر علىٰ كونهم أقلّية دينية ليس لها نشاط سياسي أو مخطَّطات قومية. وهذا ثابت في كلِّ المصادر التي تناولت تاريخ الاستيطان اليهودي في فلسطين.

وتعود أولىٰ محاولات الاستيطان اليهودي المُبكِّرة في فلسطين إلىٰ النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، حيث كانت فلسطين تابعة للسلطنة العثمانية، وكان اليهود قبل ذلك حصلوا

(١) عضو اتحاد المؤرّخين العرب.

علىٰ نفوذ واسع في الدولة العثمانية، حين كانت في أوجِ قوتها وازدهارها في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠- ١٥٦٦م)، ومع أن المؤرِّخين يُجمِعون علىٰ أنّ عهدَ السلطان سليمان يُمثِّل العهدَ الذَّهبيَّ للإمبراطورية العثمانية[١]، إلا أنه في الوقت ذاته كان العهدَ الذَّهبيَّ للنفوذ اليَهودي، كما يرىٰ بعضُ المؤرِّخينَ اليهود[٢]، إذ عظُم نفوذُهم التجاري في الولايات العثمانية، ولا سيَّما في إستانبول وإزمير، وحصلوا علىٰ كثير من الامتيازات، ووصلَ نفوذُهم إلىٰ بلاط السلطنة، ومراكز القرار فيها.

ويبدو أن التسامح الذي كانت تُبديه السلطنة مع اليهود والمسيحيين، علىٰ حدٍّ سواء، قد أغرىٰ الجاليات اليهودية بالإقامة في الولايات العثمانية، ولا سيَّما بعد أن تعرَّضَ اليهودُ للاضطهاد في إسبانية والبرتغال، في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، فأجبرهم ذلك علىٰ الفرار إلىٰ عاصمة السلطنة العثمانية، وأقام معظمهم في إستانبول وإزمير، وباقي المدن الكبيرة، حيث يُمكنهم مزاولة نشاطهم في التجارة، ولم تكن فلسطين تخطر علىٰ بالهم في ذلك الوقت.

---

(١) السلطان سليمان القانوني: سلطان البَرَّين والبحرَين، للدكتور فريدون أبجان.

(٢) اليهود في الدولة العثمانية حتىٰ نهاية القرن التاسع عشر، للدكتور أحمد حكمت آرأغلو، ترجمة: الدكتور أحمد عبد الله نجم، مركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر، ص١٥٣.

وفي النصف الأول من القرن السابع عشر، كانت تُقيمُ في فلسطين جالية يهودية قليلة، تتوزَّع في أطراف المدن، كعكا وحيفا والقدس وصفد وطبريا، وكانوا يُقيمون في أكواخ فقيرة، ويُعانون من العَوَز والحاجة، ويعملون في بعض الحرف اليدوية، إضافة إلىٰ الوساطة التجارية (السَّمسرة)، وكانت نشاطاتهم الدينية والاقتصادية محدودة جدًّا، كما كانوا يدفعون الجزية للوالي العثماني.

وكانت السلطات العثمانية لا تسمح لهم ولا للمسيحيِّين بالدخول إلىٰ المساجد، حتىٰ استطاع بعض أثرياء اليهود الحصولَ علىٰ إذن من الصنجق العثماني مقابل رشوة لدخول المسجد الأقصىٰ والتعبُّد في صحنه، بعد أن كانوا يتنكَّرون بزيٍّ تركيٍّ عندما يريدون دخولَ المساجد، ثم ما لبثت السلطاتُ العثمانية أن اكتشفت هذا الأمر، بعد بضعِ سنوات، فعزلَت الصنجق وعيَّنَت آخرَ مكانَه، ففرضَ عليهم الصنجق الجديد غرامة تأديبية كبيرة علىٰ فعلتهم تلك، عجزوا عن دفعِها، فاضطروا للهرب ومغادرة المدينة[1].

(١) فلسطين في مذكرات الفارس دارفيو، للدكتورة ليلىٰ الصباغ، دار المصادر، بيروت١٩٩٦، ص٧٩.

وممّا يُثير الاستغراب في ذلك الزمن، كما وصفَ الرحالة الفرنسيُّ دارفيو (١٦٣٥- ١٧٠٢م)، أن اليهود كانوا يُكِنُّون تقديسًا غريبًا لمدينة صفد، التي تقع إلىٰ الشمال الغربي من طبرية، والتي أسماها دارفيو عاصمةَ الجَليل، فذكر أن قِلّةً من اليهود كانوا يُقيمون فيها، إلىٰ جانب المسلمين، وكانوا يتمتَّعون بعناد عجيب، وهَوَسٍ بها، إلىٰ درجة أن مَن كانوا خارجَها مستعدُّون للتَّخلي عن كلِّ شيء في مقابل المجيء إليها، والإقامة فيها، والموت علىٰ أرضها، فهم كانوا يُقدِّسون القدسَ والخليلَ، إلا أن تقديسهم للمدينتين لا يُعادِل ذلك الذي يُظهِرونَه لصفد.

ويُعلِّلُ دارفيو ذلك بعدة أسباب: منها أن عددًا من القدِّيسين ورجال الدِّين أتَوا إليها ودُفِنوا في أرضها. ومنها أن حاخاماتهم أقنعوهم بأن المسيح المنتظر سيُولَد في الخليل، وسيتَّخذ صفدَ عاصمةً للملكة التي سيُقيمها علىٰ الأرض، وسيكون من دواعي راحتهم وسعادتهم أن يكونوا في صفد أحياءً أو أمواتًا. فعليهم أن ينتظروا في صفد ذاك الظرفَ السَّعيدَ.

ولم تكن السلطات العثمانية غافلةً عن رغبة اليهود في الإقامة بصفد، لكنها لم تكن تعبأ بذلك لقوتها وسيطرتها علىٰ الأمور، فاتَّبَعت سياسةً خاصة معهم يصفها دارفيو بقوله: «يعرفُ الأتراكُ

كيفَ يستغلُّون حماستَهم تلكَ وعنادَهم، فهم يبيعونَهم غاليًا التصريحَ للإقامة في هذه المدينةِ، ويُكلِّفونَهم تقديمَ رُسومٍ وضرائِبَ وغراماتٍ، فعليهم أن يشتروا حتىٰ الهواءَ الذي يتنفَّسونه، وإذا ألزَمَ الفقرُ المُدقِعُ أحدَهم علىٰ الفِرارِ، فإنّ الباشا لا يُسقِطُ شيئًا من الضريبةِ المفروضةِ علىٰ المجموع، بل يُوزِّعُ حصّتَه علىٰ الآخرين، وغالبًا ما يُفترَضُ أن الفارَّ قد حملَ معَه ثروةً كبيرةً، فالباشا يُحدِّد باسم السلطانِ المبلغَ الذي يراهُ مناسبًا، ويطلبُه من أولئكَ البُؤساءَ، الذين يعيشون أفقرَ حياةٍ يُمكنُ تصوُّرُها، وأشدَّها تعاسةً. إنَّ سلواهم الوحيدة هي أن لهم كنيسًا، حصلوا عليه بفضلِ ما دفعوا من مالٍ، وسُمح لهم بالتَّعبُّد فيه الوقتَ الذي يُريدون، والاستماع فيه إلىٰ المواعظ المتزمتة لربابنتهم»[1].

فالمُلاحظ، كما يَظهر من مذكرات دارفيو، التاجر الفرنسي الذي أقامَ وتنقَّل في كثير من الولايات العثمانية، ولا سيّما إزمير وصيدا وحلب وفلسطين والإسكندرية وغيرها، أن تركيز اليهود، في النصف الأول من القرن السابع عشر، كان يتَّجه إلىٰ صفد، وكانوا يسعون للاستيطان بها، مهما كلَّفَهم الأمر.

(١) فلسطين في مذكرات الفارس دارفيو ص٨٠ - ٨١.

ويُقدِّم دارفيو، بطريقة غير مباشرة، معلوماتٍ مهمة عن نشاط اليهود في بعض أجزاء العالَم لتثبيت وجودهم في فلسطين، منذ ذلك الوقت، فيقول: «إنهم كانوا يُرسِلونَ أمهَرَ أولئك الرَّبابنة وأقلَّهم خداعًا لجمع أموالٍ من القسطنطينية وإزمير، والمدن التجارية الأخرىٰ في الإمبراطورية العثمانية، حيث اليهود أثرياء، بل يذهبون حتىٰ لألمانية وهولندة وإنكلترة، وجميع الأماكن الأخرىٰ التي لا تلاحقُهم فيها دواوين التَّحقيق، ويجمعون كمياتٍ كبيرة من المال، ويُوزِّعونها بين يهود القدس والخليل وصفد، وتكون حصّةُ الأخيرينَ حصةَ الأسد، إما لأن بؤسَهم أشدُّ من بؤسِ الآخرين، أو لأن سعادتهم في الإقامة في مكانٍ مقدَّسٍ كهذا أقنَعَ الآخرين بأنَّ لصلواتهم فضلًا أكبر، وتأثيرًا أجدىٰ»[(١)].

والمكان الآخر الذي كان اليهود يسعونَ للاستيطان فيه، بحسب دارفيو، هو طبرية، فقد ذكر «أن امرأةً يهودية ثريّةً جدًّا أقامَت في طبرية مكانًا مُسَوَّرًا لتُسكِنَ فيه رجالَ مِلَّتِها، إلا أن الأتراكَ وجدوا في هذا الأمرِ شرًّا وسوءًا، فطردوهم منه منذ خمس عشرةَ سنةً (أي في حدود عام ١٦٤٥م تقريبًا)»[(٢)].

---

(١) فلسطين في مذكرات الفارس دارفيو ص٨١-٨٢.

(٢) فلسطين في مذكرات الفارس دارفيو ص٨٢.



مما سبق نستخلص أن محاولات الاستيطان المبكرة لليهود في فلسطين تعود إلىٰ النصف الأول من القرن السابع عشر، وكان تركيزُهم ينصبُّ في الدرجة الأولىٰ علىٰ مدينتي صفد وطبرية، وكان هذا الاستيطان مدروسًا ومُخطَّطًا له في أوساط يهود العالم، بدليل أن بعض رجال الدين كانوا يجمعون الأموال من أثرياء اليهود لمُساعدة يهود القدس والخليل وصفد علىٰ تأمين ما يحتاجونه من نفقات وأموال لتثبيت وجودهم، كما كان رجال الدين يغرسون في عقول اليهود أهميةَ صفد، وأنها ستكون عاصمة المملكة التي سيُقيمها المسيح المنتظر.

والملاحَظُ في شهادة هذا التاجر الفرنسي الذي كان حاقدًا علىٰ الإسلام، كما يظهر من كتاباته، أنَّ اليهودَ حين اختاروا فلسطين لم يكونوا يبحثون عن مكانٍ للعبادة وإقامة الشعائر الدينية، وإنَّما كانوا يبحثون عن وطنٍ بالمفهوم القوميّ والسياسيّ، بدليل أنهم اختاروا صفد ذات الموقع الحصين، والمناخ اللطيف، في شمالي فلسطين، كما اختاروا إلىٰ الجنوب الشرقيِّ منها مدينة طبرية التي تتمتع بثروات اقتصادية كبيرة، وليس لهاتين المدينتَينِ ما للقدس والخليل من قداسة دينية عند اليهود والمسيحيين والمسلمين.



عسكرة التعليم الإسرائيلي

محمود خليل/ مصر[1]

العسكرة هي إشاعة الروح العسكرية، كاستعداد عاطفي، ومكون أيدولوجي، يعبأ به الدارس من خلال النظام الإداري، والإطار المنهجي، والعملية التعليمية ككل...

وقد أصبح هذا التوجه الثقافي، هو الطابع المألوف للعملية التعليمية الإسرائيلية مما جعل «العدوانية» سلوكًا مميزًا للشخصية اليهودية الشابة، التي تمت برمجتها بإحكام، لتتربىٰ علىٰ هذا السلوك الاستقوائي، المرتكز إلىٰ التراث الديني اليهودي، كمنطلق لعسكرة التعليم، وثقافة الحرب والعدوان...

يبدأ هذا التوجه التعليمي الإسرائيلي من ولادة الأطفال، بإحياء بعض الأعياد والاحتفالات، مثل «أعياد الشمعدان» (الحانوكاه) و«أعياد البوريم» حيث يقرأون سفر استير، والحفاوة بانتصار قوىٰ النور (اليهود) علىٰ قوىٰ الشر والظلام (أعداء اليهود)، كما يتعرض الأطفال في سن مبكرة جدًا لمشاهدة أفلام عن الحرب، وإلىٰ ألعاب حاسوبية عبارة عن لعب حربية

(١) شاعر وكاتب، مدير عام بإذاعة القرآن الكريم.

صهيونية، كما يكرسون عند الأطفال الصغار، تقديس يوم (الفصح) وهو اليوم الذي خرج فيه اليهود من مصر، وهو آخر أعياد السنة العبرية... وكذلك يوم (الاستقلال).. وكل هذه المناسبات تنقل للأطفال رسائل متعسكرة واضحة، وترسب لديهم سلوكًا خاصًا، واتجاهًا وجدانيًا معينًا، ونقل رسائل تربوية مفادها أن «العالم كله ضدنا».

ويتم تعزيز هذا التوجه بشدة، من خلال الزيارات الميدانية للأطفال إلىٰ مناطق القتال وميادين المعارك، كأحد أهم أهداف الرحلات المدرسية، وكذلك وضع النصب التذكارية للقادة والجنود المحاربين في ساحات المدارس، وتزيين كل مدرسة بلوحة رخامية في ركن هام منها.. وقد سطرت عليها أسماء لأبطال عسكريين، مما يكون له أبلغ الأثر في نفوس التلاميذ...

ولا يقتصر هذا النهج علىٰ هذه الثقافة البصرية فحسب.. فإلىٰ جانب رؤية الجنود بزيهم العسكري، وقراءة الملصقات في الشوارع وعلىٰ الحافلات والسيارات المدنية، فإنه يتم تدريس «سفر يشوع» في الصف الرابع الابتدائي».. كذلك فإنه يتم تناول كل حروب إسرائيل مع العرب، من خلال رؤية «سفر يشوع»، والتي تجعل من ذلك السياق التاريخي عملًا دينيًا، تتم فيه مقابلة

«جيش يشوع» بجيش الدفاع الإسرائيلي الحالي، وتغرس في نفوس التلاميذ عقيدة الإبادة والاستئصال، والقتل والتدمير التي مارسها يشوع ضد أعدائه بالأمس... ويجب أن يطبقها جيش الدفاع الإسرائيلي ضد أعدائه اليوم...

وتجعل من هذه المادة التاريخية مرجعية أساسية لتبرير أعمال الاحتلال والعدوان في العصر الحديث.. بل تجعل منها عملًا بطوليًا مشرفًا علىٰ خلفية أن التعليم وحده لا يمكن أن يقوم بالتغيير، بل أن العسكرة الدينية هي وحدها القادرة علىٰ إنجاز هذه المهمة...

عسكرة الحياة الثقافية:

ولأن العسكرة هي منظومة من القيم والمعتقدات، التي ترىٰ في استخدام القوة العسكرية، وسيلة مناسبة وملائمة لحل المشاكل، وتخطي العقبات، بدلًا من المصالحة أو التفاهم.. أو حتىٰ التنازل – بعض الشيء – لحل المعضلات... لذا فإننا ندرك أن الحرب هي إحدىٰ النتائج المرتقبة لهذه العسكرة المشحونة، بل ربما تكون الحرب هي إحدىٰ الشرور التي تخلقها...!!!

ومنذ نشأة الكيان العبري، وكل مؤسسة بنيت فيه، إنما قامت لتؤدي دورًا سياسيًا عسكريًا... بل ومن قبل.... منذ عام ١٩٠٩،

حيث أنشئت أول قوات «هاموشير» عسكرية صهيونية.. وكذلك «الهستدروت» الصهيوني..، الذي يتجاوز دوره كنقابة عمالية يهودية... فالعمل العسكري الإسرائيلي أداة لبناء الدولة، وليس لمجرد حمايتها أو الدفاع عنها...

وقد أخذ هذا المنهج في التنامي والتجييش، حتىٰ عقد في مايو ٢٠٠١ المؤتمر الإسرائيلي الأول حول «العسكرة والتعليم» والذي عقد بالجامعة العبرية، التي أنشئت بالقدس عام ١٩٢٥م... حضر حفل افتتاحها من مصر (أستاذ الجيل)!!! أحمد لطفي السيد!!!

وقد انتهىٰ هذا المؤتمر إلىٰ أن العملية التعليمية الإسرائيلية قد نجحت في مزج اللغة والثقافة العسكرية، باللغة والثقافة اليومية الحياتية.. فقد أصبح معتادًا ومستساغًا لدىٰ تلاميذ المدارس أن يستمعوا للإذاعة (العامة أو المدرسية) وهي تذيع لهم الأغاني التي تخلد ذكرىٰ من قتلوا في الحروب، وقد أصبح أمرًا بديهيًا أن يقوم أبناء (رياض الأطفال) بترديد هذه الأغاني....بل أن هناك محطة إذاعية ترفيهية عسكرية، تقوم بالترفيه الشعبي عن السائقين في الاختناقات المرورية...!! كما أن المدنيين يقومون بقراءة المجلات العسكرية بقابلية تامة وإقبال شديد...

التعليم بالذّخيرة الحيّة:

ومن مؤشرات النجاح أن يشغل «الجنرالات» منصب مديري المدارس، كما يشغلون منصب رئيس الحكومة... بل أن مقاولي الإعلانات الناجحين، وشركات الدعاية المتطورة... هي تلك التي تستخدم واقع الجيش الإسرائيلي ومظهرياته في الترويج لمنتجاتها وسلعها... التي لا تمت إلىٰ الجيش صلة ما ...

فشركة «الجُبن» تعلن عن منتجاتها من خلال أفراد (٥٠٪ مظليون، ٥٠٪ جولاني) وإعلانات منظفات الملابس تتم علىٰ خلفية جنود قتاليين، وإعلانات مساحيق التجميل... تتزين به المرأة لتتهيأ لملاقاة حبيبها المقاتل العائد لتوه من الميدان، وتقوم المرأة اليهودية بإعداد السلاطة في الإعلان الخاص بذلك، وهي تنتظر الأبناء العائدين من الجيش في إجازة الجمعة والسبت،....

والأم تقوم بكي الملابس، وطهي الطعام... بانتظار الأبناء العائدين من معسكرات التدريب القتالي... وهاتف المنزل غير مشغول، وكذلك السيارة في أعلىٰ درجات الجاهزية... من أجل الاتصال والحركة من وإلىٰ الميدان..

والأب يحتفل بعيد ميلاد ولده... وهو يرتدي الزي العسكري، وكذلك يقدم له بزّة عسكرية هدية لهذه المناسبة السعيدة..



والشارع الذي يذهب منه التلميذ لمدرسته اسمه (شارع الجيش الإسرائيلي)، والشارع الذي يتنزه فيه اسمه (شارع القادة)، والملصق العسكري الذي يزين سيارة الشباب مكتوب عليه (كل الشكر لرجال الكوماندوز الإسرائيلي)،... واللوحة الجدارية التي تزين مدخل المدرسة... مدون عليها أسماء بعض أبناء هذه المدرسة الذين قتلوا في الحرب مع صورة رئيس الدولة العبرية، وبجوارها علم إسرائيل منكس... وأطفال الروضة يذهبون إلىٰ رحلة خلوية... ليقوموا بتسلق آلة عسكرية إسرائيلية، ويجلسون علىٰ مقعد قيادتها... ويلتقطون لهم الصور التذكارية وهم يقومون بهذا العمل.. ويفوز بالمركز الأول في مسابقة حول هذه الآلية... ذلك الطفل الذي ينجح في إطلاق طلقة من مدفع رشاش... حتىٰ مسرح (الكاميري) أشهر مسارح إسرائيل... مكتوب علىٰ جدرانه «الكاميري .. يتجند.. من أجل الجيش الإسرائيلي»... ولم يسلم من هذه «الحمّىٰ» صندوق علاج المرضىٰ. فالمعلنون هم من القوات الخاصة الإسرائيلية.. وحتىٰ الملابس الداخلية وحفاضات الأطفال... وإعلانات الجنس.. والملابس النسائية الداخلية.. تقوم بها مجندات إسرائيليات... كل ذلك في اجترار لا نهائي لرسائل متعسكرة، نبتت بالداخل الإسرائيلي دون وعي، من خلال العقلية التي شكلتها هيئة التعليم الإسرائيلية، مما جعل من

العملية برمتها.. تعليمًا بالذخيرة الحية.

وفي مقال «لموشي ديان» في مجلة الشئون الخارجية، عدد يناير ١٩٥٥، بعنوان «حدود إسرائيل ومشاكل الأمن»... يبلور «ديان» هذه الفكرة المركزية في العقلية الإسرائيلية.. في شكل منظومة خماسية مفادها:

١- إن الدولة كلها عبارة عن خط حدود مع دول معادية.

٢- إن الدولة تعيش في كل لحظة تحت خط التدمير.

٣- إن العدو قد يلجأ إلىٰ سياسة حرب العصابات.

٤- إن هدف إسرائيل هو تحويل خطوط الهدنة، إلىٰ خطوط سلام دائم.

٥- إن الجيش وحده هو الذي يستطيع حماية إسرائيل...

إذن هي عقيدة قتالية، تقوم علىٰ التربص والتحفز الدائم،.. وهي نفس عقيدة «بنجوريون» الذي سيطر علىٰ الجيش الإسرائيلي لمدة ١٥ سنة من (١٩٤٧ - ١٩٦٣) ... وهي نفس النظرية الحاكمة لكل شياطين الجيل الإسرائيلي المؤسس.. وحتىٰ جيل الأحفاد.. فهم الامتداد الحقيقي لجيل الرواد الصهاينة... بكل اعتقاداتهم وتعصبهم ودمويتهم ومنذ صدر قانون الخدمة العسكرية في إسرائيل في ٨ سبتمبر ١٩٤٩... بعد دمج العصابات الصهيونية

المسلحة... لتكوين جيش الإجرام (الدفاع) الإسرائيلي... ولينخرط الجيش بكل مؤسساته في لعب أربعة أدوار أساسية كبرىٰ، إلىٰ جانب وظيفته الأساسية... وهذه الأدوار هي:

١-التعليم.

٢-النحال (فرق الطلائعيين المقاتلين).

٣-الجاندا (فرق الشباب)

٤-التدريب المهني.

أما فيما يخص التعليم، فإن الجيش الإسرائيلي هو المسئول الأول عن تعليم اللغة العبرية للمهاجرين الجدد، كما يقوم بالإشراف الكامل علىٰ المدارس النائية، وكذلك يتولىٰ مهمة محو الأمية بين جنوده، كما يتولىٰ التدريس بالمدارس المهنية والعسكرية الخاصة بالبنين والبنات...

جنـود ليـوم واحـد:

وعلىٰ ذلك... فإن مشاهد العسكرة التعليمية.. لا تتم عرضًا، ولو في أدق وأبسط مشاهدها... فالجيش والتعليم والروح العسكرية.. تشكل كلًا واحدًا في الهوية الجمعية الإسرائيلية.. وترسم المعالم الأساسية للخارطة الفكرية والواقعية الإسرائيلية.

فالمواقع والمباني والأحياء تحمل أسماء حروب، وحملات عسكرية، ومعالم تاريخية عبرية وأسماء وأسلحة وقادة.. ومن المعتاد أن ينتقل العابر من شقة في شارع حملة (قادش) إلىٰ شقة في شارع (حرب الأيام الستة) [وقادش: اسم مستمد من مكان ورد في التوراة في سيناء، وكان محطة انطلاق القبائل العبرية إلىٰ فلسطين، وهو الاسم الذي تطلقه إسرائيل علىٰ حرب ١٩٥٦ في ٢٩ أكتوبر] [وحرب الأيام الستة: هو الاسم الذي تطلقه إسرائيل علىٰ حرب ٥ يونيو ١٩٦٧، إمعانًا في الاستخفاف والسخرية من العرب]....!!!

وفي بعض المدارس الثانوية، يتم ما يسمىٰ برحلة (جنود ليوم واحد) حيث تقوم المدرسة برحلة إلىٰ قاعدة الاستقبال وفرز الجنود، في برنامج تأهيلي لتربية جنود المستقبل..

وفي المدارس الابتدائية لابد أن تقوم (مدرسّة – جندية) بزيارة مدرسية أسبوعية وهي ترتدي زي الجيش الإسرائيلي،.. حتىٰ بطاقات التهاني والذكريات والمناسبات، يتم حفر المشاهد العسكرية وتحويلها في الذهنية التعليمية إلىٰ جزء لا يتجزأ من الثقافة العسكرية، المكرسة للحرب والعدوان.. حتىٰ إنه من المألوف جدًا.. والمعتاد جدًا... أن تهيمن دروس الجدناع



(كتائب الشباب) علىٰ كل أطوار التأهيل التعليمي الإسرائيلي، بحيث يشتمل هذا التأهيل علىٰ تدريبات إطلاق النار إلىٰ جانب النشاط التأهيلي الميداني والعسكري لهؤلاء الطلاب...

ومن ثم فقد أصبحت العملية التعليمية الإسرائيلية.. عبارة عن مفرزة لعسكرة الحياة الإسرائيلية العامة.

كما أصبح الجيش الإسرائيلي... مفرزة لقوات المرتزقة من القوات المسرحة حتىٰ تم استحداث تجارة عسكرية إسرائيلية في صورة منتج إجرامي لتقديم خدمات التأمين، والتدريب العسكري، وبيع هذه التشكيلات العصابية إلىٰ شركات ودول أجنبية، والزج بها، والاستعانة بمثيلاتها، في عمليات قذرة، مثلما كان يتم في العراق ، وفي الحرب علي غزة الآن.

وستقف العسكرة الممنهجة للتعليم الإسرائيلي طويلًا، ورأسها إلي أسفل، أمام زلزال (طوفان الأقصي)، حيث قلب كل نظريات الغرس، والتفوق رأسًا علي عقب تلك المزاعم والعقد والخرافات التلمودية، التي كان المحتل الصهيوني المحتال، يحقن بها أبناء الكيان من المجرمين الجبناء الجدد من مجموع القمامات الغربية والأوربية، وعصابات قطاع الطرق، وبدو التاريخ.



المسكوت عنه في العدوان على غزة

محمود سلطان/ مصر[1]

الحروب الصليبية في الشرق الأوسط (سلسلة الحملات العسكرية) التي شنتها المسيحية الكاثوليكية بهدف إستعادة الأراضي المقدسة ومدينة أورشاليم (القدس) من سيطرة المسلمين في منطقة شرق المتوسط، كانت آخر الحروب التي اتخذت من الدين مظلة تبريرية و«مبررًا أخلاقيًّا» للتوسع علىٰ حساب الشعوب الآخرىٰ.

بعد عصر التنوير/ عصر المنطق (القرن التاسع عشر) والتي ترتب عليه انخفاض الأمية والتمهيد للثورة الفرنسية والأمريكية وحركات التحرر في أمريكا اللاتنية، تراجع دور الدين في التوظيف السياسي والحشد العسكري، في النصف الأخير من القرن الـ ١٩، شج «تشارلز داروين» شرخًا في الفكر الغربي علىٰ اتساعه وتنوعه، عندما نشر كتابيه أصل الأنواع **Origin of species** عام **1859** ونسب الإنسان **Descent of Man** عام **1871**. إذ بعد وقت

(١) صحفي، عضو نقابة الصحفيين، شاعر ومفكر وباحث في علم الاجتماع الديني والسياسي، ترأس تحرير جريدة (المصريون)، صدر له مؤلّفات عدّة.



قصير من صدورهما، تم توظيفهما بديلًا عن «الدين» في توفير المبرر «العلمي» و«الأخلاقي» للاستعمار الجديد ووريثته الناهضة الولايات المتحدة الأمريكية.

ووظف «هربرت سبنسر» (صاحب مقولة البقاء للأصلح)، و«كارل بيسون»، مصطلح الانتخاب الطبيعي في تبرير تفوق مجموعة معينة من الناس علىٰ غيرها (التفوق العرقي) تحت اسم «الداروينية الاجتماعية». وبحلول عام **1880**، بات المبرر الجديد للغزو الإمبراطوري في جميع أنحاء العالم، وشرعنة التقسيم الطبقي والتنظير له (الفقراء والضعفاء غير صالحين للبقاء) ودعم الاعتقاد بالتفوق الثقافي والبيولوجي والأنجلوسكسوني أو الآري (العرق الأبيض الغرب أوروبي). فأعطت «الداروينية/ الاجتماعية» هذا العرق المبرر «الأخلاقي» للقيام بالمجازر واستغلال الأعراق الأخرىٰ (العبودية في الولايات المتحدة الأمريكية علىٰ سبيل المثال) وذلك تحت مسمىٰ النظرية التطورية العلمية (الداروينية).

لذا يحتل كتاب داروين (١٨٠٩ـ١٨٨٢) عن أصل الأنواع منزلة ربما تكون أكثر قداسة عند جماعات المصالح «اللوبي» في العالم الغربي المسيحي، من الكتاب المقدس ذاته!

الولايات المتحدة الأمريكية «الرسمية» -علىٰ سبيل المثال- ترفض

بشكل قاطع أية نظرية تنتهك حرمة «النشوء والارتقاء» كما وضعها داروين، كان آخرها إجهاض طلب تدريس نظرية «التصميم الذكي» جنبًا إلىٰ جنب مع «أصل الأحياء» في المدارس الأمريكية، ولو من باب «حرية التعبير»**!**، وفي عام **2004** صادرت فرنسا العلمانية، «أطلس الخلق»، الذي ينقض نظرية داروين. ودول الاتحاد الأوروبي -علىٰ وجه الإجمال-تفرض حماية صارمة علىٰ النظرية، ولا تقبل المسَّ بمضمونها أو التشكيك بصحتها**!**

كان غريبًا إلىٰ حد الدهشة، أن يتشدد الغرب المسيحي «الرسمي» في التمسك بالتفسير الحرفي للداروينية، علىٰ الرغم من أنها لا تزال عند حدود «النظرية» التي لم ترق إلىٰ درجة «الحقيقة» العلمية**!** إن هدم هذه النظرية، يعني تقويض الأساس الأخلاقي والتسويغ «العلمي» الذي قامت عليه الحضارة الغربية، سواء علىٰ صعيد تطورها وحراكها الداخلي، أو علىٰ صعيد نظرتها وفهمها للعالم من حولها؛ فالداروينية هي التي سوّغت «تميّز» العنصر الغربي واستعلاءه علىٰ الآخر علىٰ أساس أنه الأفضل، ووفّرت له «الغطاء الأخلاقي»، لاستعمار مناطق شاسعة من العالم واستنزاف موارده، علىٰ أساس أن القانون الحاكم المطلق للعالم، يقوم علىٰ «الانتقاء الطبيعي»: الفرز الطبقي والاجتماعي والعرقي والسلالي، وأن الطبيعة تتجه نحو تنظيف المجتمع من الفقراء والضعفاء



وتخليص العالم منهم، لإيجاد مكان للأقوياء فقط.

بل يمكننا القول: إن الغرب المعاصر بكل تجلّياته السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية، هو في واقع الحال صناعة داروينية محضة، بمعنىٰ أنها وليدة منطق القوة والصراع والبقاء للأصلح والأقوىٰ، حتىٰ في التفاصيل «الأنيقة» التي تتخفىٰ خلف أكثر شعاراتها نعومة وجاذبية.

فحرية التعبير –علىٰ سبيل المثال– سواء علىٰ مستوىٰ «المعنىٰ» أو علىٰ مستوىٰ «التوظيف»، لا يحددهما توافق وطني محايد، ولكن المحصلة النهائية لعملية فرز القوىٰ المالية والاجتماعية والدينية والسياسية في المجتمع؛ إذ تفرز معها معنىٰ خاصًا لحرية التعبير يعبر عن مصالح القوىٰ المنتصرة، و تمكنها «شرعية الانتصار» من السيطرة علىٰ حدود وأسقف هذه الحرية.

كل ما تقدم هو في تقديري استهلال، أو مدخل لفهم موقف الغرب وعلىٰ رأسه الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب علىٰ غزة: إن انتصار المقاومة أو العرب عمومًا (الضعفاء وذوات البشرة السمراء أو السوداء)، هو خط أحمر أمريكي غربي، لأنه في التفاصيل البعيدة عن الفحص المباشر، ينقض نظرية داروين «التفوق العرقي الغربي» ويهدم الأسس الأخلاقية التي تبرر لهذا «الغرب »استعباده للعالم.

اليهود والهيكل السليمانى

منصور عبد الحكيم/ مصر[1]

الكثيرون من الناس يسمعون عن الهيكل السليماني ولا يعرفون شيئًا عنه أو عن تاريخه وارتباط الحركات السرية من النورانيين والماسونية ببناء الهيكل.. فماذا يشكل الهيكل لليهود بصفة عامة؟ الهيكل هو مكان العبادة مثل المسجد عند المسلمين والكنيسة عند المسيحيين يسمىٰ بالعبرية: بيت همقداش أو البيت المقدس أو هيخال، ويعني البيت الكبير في اللغات السامية، ومن أسماء الهيكل عند اليهود «يهوه» ويهوه هو إله بني إسرائيل، فالهيكل يعني بيت الرب، المكان الذي تؤدىٰ فيه طقوس العبادة.

والهيكل نسب إلىٰ سليمان بن داود عليه السلام أحد أنبياء وملوك بني إسرائيل، بناه في الفترة من ٩٦٠ ـ ٩٥٣ ق.م. ويزعم اليهود أن سليمان بناه فوق جبل موريا الذي هو جبل بيت المقدس حيث يوجد الآن المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة ويسمىٰ اليهود هذا الجبل بجبل الهيكل. في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠١ سمحت المحكمة العليا في إسرائيل لحركة أمناء جبل الهيكل بوضع حجر الأساس للهيكل الثالث قرب باب المغاربة في القدس القديمة، وهذا معناه قرب بناء الهيكل

(١) كاتب وباحث ومؤلف، له عشرات الكتب في التاريخ وغيره.



للمرة الثالثة بعد تدمير المسجد الأقصىٰ ومسجد قبة الصخرة!!

وقد تم هدم الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام بعد غزو الملك البابلي لمملكة إسرائيل عام ٥٨٦ قبل الميلاد والملك البابلي الذي هدم الهيكل هو «بختنصر» أو «نبو خذنصر»، وقد أخذ هذا الملك اليهود أسرىٰ لمملكته ولم تقم لهم دولة أو مملكة حتىٰ القرن العشرين بعد الميلاد. ولكن اليهود بعد فترة الأسر البابلي استطاعوا العودة ولكن تحت حكم الفرس ويسمح لهم الفرس ببناء الهيكل للمرة الثانية والأخيرة، والذي قام بالبناء «روز بابل» اليهودي في الفترة من ٥٢٠ ـ ٥١٥ قبل الميلاد. ولكن الرومان حين احتلوا فلسطين قام القائد الروماني «طيطس» أو «توتوس» بهدم الهيكل وتسويته بالأرض عام ٧٠ بعد الميلاد وطرد اليهود من فلسطين، ولم يعودوا إليها إلا مع مطلع القرن العشرين.

واليهود يخططون منذ هدم الهيكل للمرة الثانية من إعادة بنائه مرة ثالثة بأي طريقة، وهناك اختلاف بين طوائف اليهود حول الهيكل وبنائه، فهناك طائفة من أحبارهم وهم الأصوليون «الحريديم» يعتبرون بناء الهيكل هو ذروة الخلاص اليهودي وهم لا يرغبون في هدم المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة وبناء الهيكل فوقهما بل إنهم يحرمون هذا الأمر، لأن الذي سيقوم ببناء الهيكل للمرة الأخيرة الثالثة هو المسيح المنتظر وليس أحد غيره. وهناك طائفة يهودية لا تقدس الهيكل ولا جبل الهيكل ولا تؤمن إلا

بالوصايا العشر التي جاء بها موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من عند ربه ويطلقون علىٰ أنفسهم «السامريين». ويذكر المؤرخ ول. ديورانت في كتابه «قصة الحضارة» عن الهيكل وقدسيته لدىٰ اليهود: «كان بناء الهيكل أهم الحادثات الكبرىٰ في ملحمة اليهود، ذلك أن هذا الهيكل لم يكن بيتًا «ليهوه» إله اليهود فحسب بل كان أيضًا مركزًا روحيًا لهم وعاصمة ملكهم ووسيلة لنقل تراثهم وذكرىٰ لهم كأنه علم من نار يتراءىٰ لهم طوال تجوالهم الطويل المدىٰ علىٰ ظهر الأرض».

وجاء في دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٦٤م، إن اليهود يتطلعون إلىٰ افتداء إسرائيل واجتماع الشعب في فلسطين واستعادة الدولة اليهودية وإعادة بناء هيكل سليمان وإقامة عرش داود في القدس وعليه أمير من نسل داود. ومن طرائف وأدبيات اليهود، أن اليهودي في الماضي كان إذا طلىٰ بيته، أمره الحاخامات أن يترك مربعًا صغيرًا في منزله دون طلاء ليتذكر واقعة الهيكل**!!**

ويصوم اليهود يوم التاسع من أغسطس احتفالًا بذكرىٰ هدم الهيكل، لأنهم يزعمون أنه هدم في هذا اليوم، ولهم صلاة خاصة في منتصف الليل حتىٰ يعجل الإله بإعادة بناء الهيكل. ومن أقوال زعماء اليهود الصهاينة قول «بن جوريون» أول رئيس وزراء إسرائيلي للدولة الحديثة الأخيرة: لا معنىٰ ولا قيمة لإسرائيل بدون أورشاليم القدس ولا قيمة لأورشاليم بدون الهيكل. وقد تأسست في أمريكا مؤخرًا عشرات المنظمات المسيحية الصهيونية هدفها هو إعادة بناء الهيكل للمرة الثالثة.



والاختلاف حول وجود الهيكل ومكان بنائه لدىٰ اليهود يدل علىٰ كذب ادعائهم أن الهيكل مكانه علىٰ أرض المسجد الأقصىٰ، فاليهود السامريون لا يعترفون بوجود الهيكل علىٰ أرض المسجد الأقصىٰ ولا يقدسون سوىٰ جبل «جرزيم» في مدينة نابلس، والقدس ليست مدينة مقدسة عندهم، ويستدلون علىٰ صحة اعتقادهم بما جاء في سفر التثنية أحد الأسفار الخمسة التي يؤمنون بها.

وحتىٰ اليهود الذين يعتقدون بأن الهيكل كان علىٰ أرض ساحة المسجد الأقصىٰ اختلفوا في تحديد مكانه فالبعض يقول إنه تحت المسجد المعروف بالمسجد الأقصىٰ والبعض يظن أنه تحت مسجد قبة الصخرة وكلا المسجدين عل أرض ساحة المسجد الأقصىٰ. وهناك من يزعم أنه خارج منطقة الحرم الأقصىٰ والبعض يعتقد أنه علىٰ قمة الألواح وهي منطقة في الحرم بعيدة عن المسجد الأقصىٰ مسجد قبة الصخرة.

والحقيقة أن قصة وجود الهيكل علىٰ منطقة أرض الحرم الأقصىٰ خرافة إسرائيلية مثل خرافة شعب الله المختار التي اخترعها الحاخامات في فترة الأسر البابلي وكذلك خرافة أرض الميعاد وغيرها من الادعاءات اليهودية، وليس أكبر دليل علىٰ ذلك أن علماء الآثار اليهود والغربيين والأمريكان الذين شاركوا في الحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي لم يجدوا أي أثر له!

أطبّاء مُقاوِمون
«الرنتيسي نموذجًا»

منير لطفي/ مصر[1]

يَكْبُر الإنسان بقدر ما يحمل من قضيّة، ويَعظُم الرّجُل بعِظَم ما يتحمَّل من مسئولية، خاصّة عندما تكون القضية عادلة والمسئولية أخلاقية، وعندما يُخرِجُ حظوظَ نفسه فتكون النيّة لله خالصة لا تشوبها شائبة، وعندما يكرِّس في سبيل ذلك كلّ ما يملك من وقت وجهد ومال ونفْس.. وهذا ما تُترجِمه كلمات الطبيب المجاهد عبد العزيز الرنتيسي حين قال: «أغلىٰ ما نملك بعد العقيدة هو الوطن، ودون الوطن كلّ شيء يهون».

قبل النكبة الفلسطينية الكبرىٰ التي أخرجَت كالزلزلة أثقالَها عام ١٩٤٨م، وفي الثالث والعشرين من أكتوبر عام ١٩٤٧م تحديدًا، وُلِد الطفل «عبد العزيز» في قرية يبنا الواقعة في محافظة الرملة بين عسقلان ويافا، ليُصنَع بعدها علىٰ عين المحنة وفوّهة المدفع، فيَنزح وهو رضيع مع النازحين والمُهَجَّرين تحت وطأة

(١) طبيب استشاري أمراض باطنية، عضو رابطة الأدب الإسلامي، محرر بجريدة الديوان الجديد الأدبية، له نحو عشرين مؤلفا في الطب والأدب والدين.

إجرام العصابات الصهيونية التي أُصيبت بالسّعار، مخلِّفين وراءهم أشجارَ زيتونٍ تبكي السلام وثمارَ ليمونٍ يعتصرها الفراق، وحاملين في جعبتهم مفاتيح الدُّور وشريط الذكريات وألم الاغتراب، ليستقرَّ به وبهم المقام في مدينة خان يونس بقطاع غزّة علىٰ ساحل البحر الأبيض المتوسط والواقعة آنذاك تحت الإدارة المصرية.

ووسط الشّتات والمخيَّمات وشظف العيش ونقص الخدمات ووفاة العائل؛ يُنهِي صاحبُنا دراستَه الثانوية بتفوُّق في عام ١٩٦٥م، مِمَّا أهّله لنيل مِنحةٍ لدراسة الطبّ تكفَّلت بها وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (الأونوروا).

وفي عروس البحر الأبيض المتوسط التي احتضَنتْ إحدىٰ أعرق المدارس الطبيّة العالمية إبّان عصر البطالمة قبل الميلاد بثلاثمائة عام، وفي كلية الطبّ جامعة الإسكندرية، وعلىٰ مدار تسعة أعوام؛ أتمَّ دراسة الطبّ عام ١٩٧١م وواصل تحصيله العلميّ حتىٰ نال درجة الماجستير في تخصّص طب الأطفال، وكان ذلك بالتزامن مع هزيمة عام ١٩٦٧م، التي أجْهزتْ فيها إسرائيلُ علىٰ ما تبَقَّىٰ من الأراضي الفلسطينية باحتلالها للضفة الغربية وقطاع غزّة.

وريثما باشر الرنتيسي عمله في التدريس بالجامعة الإسلامية في غزّة، وفي علاج الأطفال بالمركز الطبي الرئيسي بخان يونس، وفي

الرّبْت علىٰ أرواح المرضىٰ بعيادته الخاصة، واضعًا نُصْبَ عينيه هموم الفقراء وآلامهم؛ كان هو ذاته مريضًا بوطنه المُحتلّ وقُدْسِه المغصوب وأقصاه الأسير وحرِّيته المسلوبة، وذلك وسط تجبُّر قوىٰ الشرّ العالمية وبطْش الآلة العسكرية الصهيونية. ومن العجيب أنّ ضابط شرطة صهيوني قصد العيادة لعلاج ابنته التي لم يُكتَب لها الشفاء علىٰ أيدي أطبّاء بني جنسه وملّته، فوافق الرنتيسي علىٰ علاج البنت ولكن دون أن تطأ قدمُ أبيها العيادة، وهو ما كان، وقَدّر لها الله الشفاء في أقلّ من أربعٍ وعشرين ساعة.

وعلىٰ وقْع اندلاع الانتفاضات الشعبية الفلسطينية، وتأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في العام ١٩٨٧م، وامتناعه عن دفع الضرائب للسلطة المحتلّة؛ توالتْ عليه الاعتقالات والعذابات داخل سجون الاحتلال، وفي الوقت ذاته أتاحتْ له فرصة مصاحَبة الشيخ المجاهد أحمد ياسين في محبسه، بالإضافة إلىٰ تمكّنه من إتمام حفظ كتاب الله أثناء حبسه الانفرادي في عام ١٩٩٠م.

ورغم التضييق الذي لاقاه داخل تلك المعتقلات بغْية الاعتراف بما تمليه عليه سلطات الاحتلال، حتىٰ ذَكر أنّه مُنع من النوم في إحدىٰ المرّات لمدّة ستة أيام! ووُضع في ثلاجة لمدّة أربع وعشرين ساعة! إلّا أنه كان أبيًّا لا يقبل الضيْم وأَنُوفًا لا يرضىٰ

الدنيّة مهما كلّفه ذلك من عسْف وجوْر؛ ففي سجن النقب عام ١٩٩١م، وغداة اجتماع مع إدارة السجن الصهيونية، رفض القيامَ لقائد السجن المتغطرس، بل وأقسم بالله يمينًا مغلّظًا ألّا يقف، مخاطبًا إيّاه قائلًا: «أنا لا أقف إلّا لله، وأنتَ لست إلهًا، ولكنك مجرّد إنسان، ولا يُجيز لي ديني أن أقف تعظيمًا لمخلوق»، وهو ما تَسبّب في ترحيله إلىٰ الحبس الانفرادي لمدّة ثلاثة أشهر.

ولمّا وجد الصهاينةُ أنّ الاعتقالات المتتالية لم تكسر إرادتَه المُقاوِمة، بل زادتْه صلابةً وثباتا؛ تفتَّق ذهنهم الشيطاني في عام ١٩٩٢م عن طرْده وإبعاده مع أربعمائة من الكوادر المناهِضة للاحتلال والمؤجِّجة لروح الانتفاضة، وذلك إلىٰ الحدود اللبنانية الجنوبية وسط الصحراء والعراء! وهناك في منطقة مَرْج الزهور، ولمدّة عام كامل، وقَع علىٰ عاتقه قيادة معسكر المُبعَدين، فجَهِد في إيصال صوتهم إلىٰ العالَم إعلاميًّا، ونجح في شرْح أبعاد قضيتهم سياسيًّا، ولسان حاله وحالهم يردّد مع شاعر الفروسية عنترة بن شداد قوله:

لا تسْقِني كأسَ الحياةِ بذِلّة   بل فاسْقِني بالعزِّ كأسَ الحنظلِ

ومن مخازي السلطة الفلسطينية التي ترأّسها الراحل ياسر عرفات، بعدما نَشأت عام ١٩٩٣م بناءً علىٰ اتفاق أوسلو الموقّع بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني والذي سمّاه

الفنان ناجي العلي بـ(حوار السيف والرقبة)؛ أنها عزفت لحن الاحتلال ورقصت علىٰ أنغامه، فلم تستحِ من اعتقال الرجل أكثر من مرّة، حتىٰ بلغ مجموع ما قضاه في سجونها سبعةً وعشرين شهرًا! وكأنها لم يكْفها أن يدفع الرجل من عمره ضريبةً قدرها سبع سنوات وراء قضبان الاحتلال، وسنةً في الإبعاد خارج حدود الوطن! وهذا بالطبع أشدّ وقْعًا علىٰ النفس من سجون الاحتلال، فظُلم ذوي القُربىٰ -كما قال الشاعر طرفة بن العبد- أشدّ مضاضةً علىٰ المرْء من وقْع الحسامِ المهنّد.

ولم يقِف الرنتيسي عند حدود القيادة العسكرية والسياسية، أو الزعامة الروحية الإسلامية؛ بل كان مثقَّفًا دبَّج بقلمه المقالات في العديد مِن الصحف والمجلات، وأديبًا نظم شِعرًا بثّه شجونه وآماله تجاه الوطن والدّين، واستنهض به همّة الثورة وعزيمة الجهاد. علاوة علىٰ امتلاكه لسانًا فصيحًا تمرَّس في مخاطبة الجماهير عبر محافل حاشدة، وهو ما ضاعف من تأثيره في الساحة الفلسطينية، وزاد الغصّة غصّتيْن في حلوق المحتلّين.

ولهذا حاول موساد الكيان الغاصب اغتياله مرّات عديدة، خاصَّة بعدما أصبح في سُدَّة القيادة لحركة حماس غداة اغتيال شيخها البطل القعيد فجر الثاني والعشرين من مارس عام ٢٠٠٤م،

ولكنَّ مساعيهم باءت بالفشل وكَتَب له الله النّجاة المرّة تلو المرّة. حتىٰ كان يوم السابع عشر من أبريل عام ٢٠٠٤م، وباستخدام طائرات الأباتشي المُهداة من الأمّ الأمريكية الرّؤوم، حين انطلقتْ صواريخ الغدر الصهيوني الثلاثة لتستهدف سيارته في قطاع غزّة المحتلّ، وتَكتب فصل النهايةً لقصّة أسدٍ فلسطينيّ وصقرٍ حمساوي، تلك النهاية المجيدة التي تمنّاها بقوله ذات يوم: (الموت آتٍ سواء بالسكتة القلبية أو بالأباتشي، وأنا أفضّل الأباتشي). ولها أنشد قائلًا: «أنْ تدخلني ربّي الجنّة، هذا أقصىٰ ما أتمنّىٰ»..

وقد كان استشهاده علامة فارقة في استراتيجية المقاومة علىٰ مستوىٰ القيادة الحمساوية، فبعدما خسرت اثنيْن من قادتها في أقلّ من شهر، امتنعَت عن الجهْر باسم قائدها، ليبقىٰ شخصُه طيّ الكتمان بعيدا عن وشاة الواشين واغتيالات المحتلّين، أخْذًا بالحيطة التي حثّ عليها القرآن الكريم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[النساء: ٧١].

وكما يُعرف الرجال عند الجنائز علىٰ قول الإمام الشافعي، فإنّ جنازة الرنتيسي كانت كاشفةً عن مآثره ومناقبه كبطل شهيد -نحسبه- يَصْدق فيه قولُ الحقّ جلّ وعلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران: ١٦٩]؛

إذْ شيَّعه موكبٌ مهيب انطلق من مستشفىٰ الشفاء بغزّة يزيد عدده علىٰ النصف مليون، ناهيك عمَّن صلُّوا عليه غيبًا وشيَّعوه في باقي أرجاء العالم الإسلامي.. ولِمَ لا، وقد كان الرجل طبيبًا لشعب وداعيةً لحقٍّ وقائدًا لرَكْبٍ وشهيدًا لواجب، وكان كما رثاه أحدُهم قائلًا:

يا فارسًا سَبَقَ الجيادَ جوادُه   قد عِشْتَ عُمرَكَ سيِّد المِضمارِ [(١)]

جديرٌ بالذكر، أنّ لقب الرنتيسي يعود إلىٰ قرية رنتيس الواقعة شمال غرب رام الله بالضفة الغربيّة، والتي انحدرت منها العائلة واضُطرت لمغادرتها في بداية الأربعينات إثْر خلاف مع إحدىٰ العائلات هناك..

وجدير بالذكر أيضًا، أنّ الطبّ تفاعل بحرارة مع القضية الفلسطينية وانخرط في مقاومة المحتلّ عبر أطباء آخَرين كانوا قيادات فارهة المقام؛ فجورج حبش (١٩٢٦-٢٠٠٨م) أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والملقّب من قِبل مريديه بحكيم الثورة؛ طبيبٌ متخرّج في الجامعة الأمريكية ببيروت ومتخصّصٌ في طب الأطفال.

ووديع حدّاد (١٩٢٧-١٩٧٨)؛ درس الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت، وانضم إلىٰ المقاومة والنضال من خلال حركة القوميِّين العرب ثم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وتحت

(١) من قصيدة للدكتور أسامة الأحمد بعنوان: (عجبي لك أيها الشهيد!).

شعاره الفريد: «وراء العدوّ في كل مكان»، برًّا وبحرًا وجوًّا؛ كثيرًا ما أَوجع قلب الاحتلال وآلم ظهرَه عبر خطفه للطائرات قاصدًا الضغط النوعي في اتجاه الإفراج الفوري عن الأسرىٰ الفلسطينيين وراء القضبان. ولا تزال وفاته في ألمانيا غامضة بين قائل باغتيال الموساد له عن طريق دسّ السمّ، وبين قائل بإصابته بسرطان الدم، وهو غموض يشبه وفاة القائد الفتحاوي العتيد ياسر عرفات.

وفتحي الشّقاقي (١٩٥١-١٩٩٥م) مؤسِّس حركة الجهاد الإسلامي؛ درس الرياضيات وعمل بالتدريس، ثم قاده شغفه بالطبّ إلىٰ إعادة الكَرّة ودراسة الثانوية ثمّ الطبّ الذي نال درجته من جامعة الزقازيق، قبل أن يغتاله الصهاينة في مالطا عن عمر قصير بلغ الرابعة والأربعين.

أمّا محمود الزهّار (١٩٤٥-) القيادي البارز بحركة حماس ووزير الخارجية في الحكومة الفلسطينية بقطاع غزّة، فطبيبٌ متخرّج في جامعة عين شمس ومتخصّص في الجراحة العامة، وله العديد من المؤلَّفات الفكرية والأدبية والسياسية، وفي عام ٢٠٢١ حقّق سبقا بتدوينه لتفسير (التيسير في فهم التفسير) والذي يُعدّ أوّل تفسير كامل مطبوع خطّته يدُ طبيب، إذْ لا زال تفسير فضيلة الشيخ الطبيب السوري أبو اليسر عابدين مخطوطًا رغم رحيله قبل عشرات السنين.



نبضاتُ أُمٍّ وأُمَّة!

منى مصطفى/ مصر[١]

أمّا قبل:

عندما بدأ اتصالي بمواقع التواصل الاجتماعي منذ عِقد ونصف، أخذْت أفكّر في كُنية أكتبها علىٰ صفحتي، ففي صغري أحببت بنت الشاطئ والمرجّح أن تكون هي، لكني وبعد نضج ووعي وأمومة وإلمام بحال الأمة اخترت الخنساء، لا لأني شاعرة ولا أديبة بل لأن حب الجهاد مغروس بالفطرة في قلبي! ثم أتت السيرة وقصص الصحابة لتلهب مشاعري بغضًا للظلم والظالمين.

صحا وجداني علىٰ حرب الجزائر، ولا زالت صورة النار وهي تلتهم حقول القمح بأهلها راسخة في ذهني، وصوت المذيع يزأر: بلد المليون شهيد تستغيث ولا مغيث، فلم أتمالك نفسي من النحيب، وصغيري بجواري يصيح لبكائي.. هنا عرفْت مرارة العجز، وتيقنت أنه لا نجاة إلا بالجهاد، ولكن متىٰ وكيف لا أعلم، وليس لي من معطيات التاريخ ما يؤهلني لأتكهن، كان أضعف إيماني أن أعتني بأولادي وأعدّهم للشهادة كالخنساء رضي الله عنها،

(١) كاتبة وروائية، تلقب بالخنساء العمرية، لها مؤلفات عدة.



فرزقت بصبي وثلاث مؤنسات، اجتهدت معهم قدر طاقتي لأصنع منهم أبطالًا، لكنهم بالنهاية أبناء مجتمعهم، فاض فيهم الخير وجاوره حب الدنيا.

ظل الجهاد والشهادة والحياة النبوية هواجس يقظتي ومنامي، ولكن الواقع ينكر ذلك، سلّمت وقلت: لعله مُدَّخر لجيل آخر، حسبي النية والسعي قدر الجهد! ومرّ العمر وإذا بأقمار غزة يسرجون الآمال، فرأيتهم أبنائي الذين وهبتهم الله قبل رؤيتهم، فقرت بهم عيني، وفاضت تجاههم مشاعري، وإليهم أكتب هذه الرسالة خالصة من قلب أمّ أحبتهم، وبلسان أمة كاد الوهن يهلكها لولا أن تداركتها رحمة الله علىٰ أيديهم، فإليهم أقول: أبنائي الكرام البررة، عليكم سلام الله وأمانه..

أمّا بعد:

في الماضي القريب جدًا كانت آمالي مختلفة تمامًا، كنت أعد برنامجًا يرضيني لأمارسه فيما تبقىٰ من عمري بدقة كوصفة طبيب لمرض مزمن اسمه الحياة في زمن الضعف!

فجهّزت أريكتي، وحاسوبي، وأصدقائي من البشر ومن الكتب الذين انتخبتهم لأقضي معهم سنيّ عمري القادمة، وفُليسات أقضي منها حاجاتي إذا ضعُفَتْ الطاقة أو عزّ المعين،

وفجأة وأنا أتفقد كل ركن في صومعتي وجدتُ برقًا ناعمًا يخطف قلبي، فإذا بكم تغيّرون وجه حياتي من عبء لأمل، ومن روتين أصنع تفاصيله بعناية إلىٰ نهر دفّاق يحمل تابوتًا فيه بقية من يقين وهمّة، وصوت أطربني يقول: هلمي هلمي إلىٰ حياة، فاعتراني خوف وفرح، ثم فاض شوقي لأكون معكم تحت وقع الرصاص وزخ المطر، وأنقض صومعتي تلك؛ فقد عاد لنا معنىٰ الحياة!

لا أخفيك سرًا أيها النبيل الأثير أبا عبيدة، في كل مرة تدكون فيها حصون بني صهيون تكون أطياف الفرح قليلة، سرعان ما يذهب بها أنين الثكالىٰ وصياح الرضّع وانطفاء البريق في عين الشباب، أما اليوم بني –ورغم خسائر العدد والعتاد– فوالله لا أرىٰ إلا نورًا يضيء غرتك، وعزة تتربع علىٰ جبينك، وثباتًا يشدّ عرش قلبك، وقلوبًا تتهافت حولك، ووجوهًا تقتبس من نورك، وجباهًا ساجدة تتقرب لربها بالدعاء لك، أتدري يا بني: لستم أنتم من تحتاجون دعاءنا، بل نحن نتوق لأن يذكرنا لسانكم الطيب وقلبكم المخلص، فأي برهان أصدق من الدماء، وأي قربة أغلىٰ من الروح، وأي قربان أغلىٰ من الضنىٰ، لقد قدمتم كل ذلك راضين بربكم سبحانه جلّ في علاه، أتفعل كل هذا وتحتاج دعاءنا نحن القاعدين العجزة، نرتع في حظائر أهل الوهن وتعشّق الجاه والسلطان!



ابني الحبيب:

أعلم أنك تسير علىٰ خط النار، وكل دقيقة في يومك كأنها زلزلة الساعة، وأن نفَسَك يخرج فلا تتوقعه يعود، ولكن حسبك أن انقطاع الدنيا عنك يعني الجنة، وكفىٰ بها سلعة غالية والله، فلا تجعل شيئًا يفِت من عزمك، فأنتم -بفضل الله وكرمه- في نعمة لو علم الطغاة عنها شيئًا لتركوا الأرض قاطبة وقاتلوكم من أجلها، لن أقول لك: إنك في رباط، وإنكم لخير جنود الأرض كما قال الصادق المصدوق ﷺ، وإن ليلة بت تحرس فيها أرض الخوف لا تعرف أترجع لأهلك أم لا هي ليلة خير من ليلة القدر...، لا، لن أقول ذلك وهو حق؛ لأنك تعلمه جيدًا وهو ما جعلك تفضّل الجهاد علىٰ القعود، لكني سأقول لك: انظر فقط لحياتك اليومية، نعم يا بني، حياتك اليومية التي لا ماء ولا كهرباء ولا أدوية وربما لا شمس فيها، ومع ذلك فصدرك باتساع الكون، وقوتك بقوة عقيدتك لا بقوة البندقية، وسلاحك وجندك ملائكة الأرض والسماء، وأكاد أجزم أنك ترىٰ ما لا يراه الآخرون، فأنت ترمي مستهدفًا جنديًا فيُقتل عشرة، تنظر حولك متعجبًا فلا أحد، فتردد فرِحًا طائرًا: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧]، نعم بني، الله يرمي بيدك، أي قربٍ هذا وأي سعادة تملأ جوانحك، وأي يقين يجعلك تواجه طائرة بحجر وتنتصر؟!

ربما يعتصر قلبك لارتقاء ولدُك أو حبيبتُك شهداء، ولكن سرعان ما يعلو وجهك ابتسامة رضا باصطفاء الله لهما، وبإنجازهم رحلة الدنيا بنجاح، فيشعل ذلك شجاعة قلبك ونخوة ثأرك فتزداد عزمًا ومن ربك قربًا.

أسمعك يا ولدي تقول: ليس الجرح جرح من ارتقىٰ، إنما الجرح جرح من خان وخذل.

نعم يا قرة عيني فلم أجد تعبيرًا أصدق وصفًا لموقفهم المخزي من قول بشار:

لَقَد أَسمَعتَ لَو نادَيتَ حَيًّا وَلَكِن لا حَياةَ لِمَن تُنادي

ولكني أعود لأطمئنك، فلا اتكال علىٰ أهل السلطان، فالدنيا في عيونهم حلوة براقة؛ قد اغترفوا منها غرفة بيدهم فسرىٰ عشقها في دمائهم، فعبدوا الدرهم والدينار والقطيفة من دون الله، وبئس ما عبدوا، ثم إن خسارتهم كبيرة؛ لأن نجاحكم يعني كساد بضاعتهم من أفلام ومباريات ومخدرات وماركات... اصبر يا ولدي فحسرتهم الكبرىٰ ليست الآن بل أمام الديان، ستتساقط لحوم وجوههم خجلًا أمام العزيز الجبار.

ورغم ذلك ففي خنوعهم خير؛ لأنه أظهر عزم شباب الأمة وصاروا معكم عقلًا وقلبًا، وذهبت مليارات الفاسدين التي أُنفقت



والسنين التي أُهدرت بتخطيطها وتدبيرها وسهرها ومكرها ذهبت سدىٰ!

نعم، لقد جاهدوا بكل ما يملكون –وما أكثره – لقتل الدين في القلوب، وتشويه العقيدة في العقول، وتصدير شباب تافه لا همّ له إلا بطنه وفرجه، فجئت أنت بأمر الله ودمرت ما علَو تدميرًا، وأسرجت بثباتك نورًا، وأثبت أن ما صنعوه كان صنع ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ.

هل تعلم يا أبا عبيدة أن شباب الأمة كلها عربي وأعجمي يحصي الدقائق حتىٰ تُفتَح المعابر لنكون معكم، لك حق ألا تصدقني، ولكن هذا هو الحق والله، ولسوف ترىٰ ذلك بعينك بحول الله، فالقرآن عاد للواجهة بدلًا من المباراة، والرياضة والتدريب حلّ محل ألعاب الشاشات، تصدرت البساطة حياتنا مشاركة لكم، كل مواليد هذا الشهر حملوا أسماءكم المباركة (ياسين ويحي وحمزة وأبو عبيدة وبقية الأقمار)، كل سجلات الدنيا كتبت أسماءكم في مواليدها كما سجلتها ملائكة السماء تمامًا في صحف الشهداء والصديقين... غدًا يا أبا عبيدة يعود الأمان ونعصر معًا الزيتون ونسقي الريحان، ونجلس في الباحة المباركة نصلّي ونسلم علىٰ نبينا، ونذكر ربَنا، ونعدّ ما استطعنا من قوة ومن رِباط خيل لتبقىٰ رئة الأمة (الجهاد) في عافية.



التغريبة الفلسطينية

ماجد رمضان/ مصر[1]

وقعت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، فتحركت الأقلام للدفاع عن فلسطين، فخُطَت الأشعار، وسُطرت الكتب، وغدت قضية فلسطين مصدر إلهام للأدباء العرب.

ووجدت فلسطين في النصوص الأدبية بمختلف أجناسها وطنًا ثانيًا يرادف الوطن المكلوم، وأصبح الأدب شريكًا حقيقيًّا في الاستمرار في رفض وتنديد الظلم والقهر الذي تعرض له، ومازال يتعرض له الشعب الفلسطيني، ودعم قضيته من خلال تسليط الضوء وإبراز المعاناة والألم الذي يعيشه في ظل الاحتلال الإسرائيلي، بالإضافة إلىٰ توثيق الجرائم والمجازر التي يتعرض لها.

ففي مجال الروايات، كُتبت روايات كثيرة، جسدت جذور القضية كما جسدت واقع يوميات الفلسطيني وما يعانيه في وطنه، وما تعرض له من عمليات تطهير عرقي، وتهجير قسري وشتات دفع الفلسطيني إلىٰ جهات الأرض الأربع. وتصور كيف امتزج الضدان، الموت بحب الوطن، ورسمت صورة الصمود والمقاومة

---

(١) طبيب وكاتب، له مؤلفات عدة في مجالات متشعبة.

في الأرض المحتلة، وشجر الزيتون، وبرتقال يافا، وقسمات الشيوخ التي تحوي طياتها تاريخ السنين، وورد الجدات وخبزهن، وأحلام وآمال الفتيات، ولعبة الشهيد التي يلعب بها أطفال غزة وحدهم، ومعاناتهم التي لا تنقطع بسبب الحصار المفروض عليهم، فكانت رواية (التغريبة الفلسطينية ــ وليد سيف) والتي تعتبر من أهم ما كتب عن النكبة الفلسطينية، والشتات الذي أعقبها، والظروف المعقدة التي أحاطت باحتلال الوطن الفلسطيني عام ١٩٤٨، حيث تؤرخ ملحمة الشعب، ومسيرة القضية الفلسطينية، بدءًا من عشرينيات القرن الماضي، وصولًا إلىٰ انبثاق حركة المقاومة الفلسطينية بعد نكسة يونيو (حزيران) ١٩٦٧.

يقوم بناء الرواية حول أفراد عائلة فلسطينية ريفية فقيرة، تمتلك قطعة أرض صغيرة تعتاش عليها، إضافة إلىٰ عملها لدىٰ مالكي الأراضي الكبار من الفلاحين بالأجرة اليومية، وتعيش هذه العائلة في واحدة من القري الواقعة شمال فلسطين، وتتكون من أب وأم، وأربعة أبناء وابنة وحيدة، وتصور الرواية معاناة العائلة في كسب رزقها اليومي، وظلم أحد ملاك الأراضي لها، وضغوطه المتزايدة عليها لإجبارها علىٰ بيع قطعة الارض الوحيدة التي تمتلكها لكونها تقع علىٰ حدود أرضه. ثم تنقل المشاعر التي

تعرض لها الفلسطينيين عند التهجير القسري من قراهم من شتات وضياع ومذابح.

وتهتم الرواية بذكر التفاصيل الصغيرة، وحكايات العيش اليومي، ومشاهد الأفراح والأتراح، وصور الفقر المدقع الذي لا يمنع الروح المتوثبة لأبناء هذا الشعب من الحلم والتغلب علىٰ صعوبات العيش.

كما يرصد المؤلف الصراعات السياسية، والتفاوت الطبقي، والظلم الاجتماعي، والتخلف، والعشائرية البغيضة، وصراعات الزعامات العائلية في المدن والقرىٰ الفلسطينية، مع مؤامرات الدول الاستعمارية الكبرىٰ، وعلىٰ رأسها بريطانيا، والمخطط الصهيوني، الذي حاك مؤامرته للاستيلاء علىٰ فلسطين بخبث وذكاء، في ظل غياب الدول والجامعة العربية، وضعف تجهيز الجيوش العربية.

وجاء مريد البرغوثي بروايته «رأيت رام الله» ليضخم في عيوننا المأساة التي تتجدد مع كل شروق للشمس، الاحتلال الطويل الذي خلق أجيالًا إسرائيلية ولدت في إسرائيل ولا تعرف لها وطنًا سواها، خلق في الوقت نفسه أجيالًا من الفلسطينين الغرباء عن فلسطين، أجيالًا وُلِدت في المنفىٰ ولا تعرف من وطنها



إلا قصته وأخباره.

ويذكرنا بنقاط التفتيش والوجوه الإسرائيلية البغيضة، وفوهات البنادق التي لا تُنكس، وحال الأسرىٰ والمرابطين، وشجاعة الشهداء في لحظاتهم الأخيرة.

وهذه الروايات لا تقفل المشهد علىٰ الخروج والشتات الأبدي اللذين لا يمكن عكسهما، بل تفتح المشهد علىٰ أمل العودة والمقاومة، فرواية إلياس خوري «باب الشمس» تقوم علىٰ واحدة من حكايات المتسللين الفلسطينيين، وتتحول حكاية التسلل إلىٰ حكاية عشق ورمز وصمود، حيث يذرع الجبال والوديان بين لبنان والجليل الفلسطيني ليلتقي زوجته في مغارة سماها «باب الشمس» وينجب من زوجته عددًا كبيرًا من الأولاد والبنات.

وفي مجال الشعر:

جرىٰ سيل الشعر في تحرير فلسطين، تحريرها في العقول من قيود العجز والتأخر التي نصبها لنا المحتل وأتباعه، فرأينا محمود درويش الذي استل قلمه في وجه الاحتلال، فجالت قصائده الآذان كلها، وترددت أبياته التي تنتصر للحق، وتجسد معاناة الفلسطيني في كل صباح منها:

آهٍ يا جُرحيَّ المُكابِر وَطنـــــــي ليسَ حقيبة

وأنا لست مُسافر إنّني العاشقُ، والأرضُ حبيبة

وجاءت رسالة عبد الرحمن العشماوي لتستنهض الهمم وتوثب العزائم:

اصرخي.. ربما أفاد النواح
في زمان يســود فيه الصياح
في زمان تســود فيه المآسي
فشعار الـــوفاء فيه السلاح

لابد أن ننظر لأدب القضية الفلسطينية بأنه سلاح مقاومة وليس عرض صور وسرد قصص، وأنه سلاح في وجه تزييف التاريخ، وطمس الحقائق، وتغييب العقول، فلم يتبقَ لنا الكثير من الأسلحة ولكن ستبقىٰ لنا دائمًا الكلمات التي تنسج الحلم، وتحلق نحو الحرية، ترحل مع خيوط الشمس مهما طالت ظلمة الليل.

ولا بد لكل أديب وكاتب أن يعرف أنه جزء من قضية لا تنام ولا تستسلم ولا تعرف الراحة، جزء من قضية تزداد أبعادها حدة وألمًا مع مر السنوات، ولا بد أن يكتب بمقدار جدية هذا الألم وبمقدار عمق هذه المعاناة وبمقدار الظمأ لتحقيق حلم من استشهدوا ومن لا يزالون أحياء، إنها الرسالة والأمانة، والصدق والدفاع عن العرض والشرف والأرض أمام عدو انتهك كل معاني الإنسانية والأخلاق والضمير.



اختراع اسمه إسرائيل

نهى الرّميسي/ مصر[1]

جاءت معركة طوفان الأقصىٰ في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ التي بدأت بهجمات مباغتة من المقاومة الفسطينية المسلحة ومعها أهل غزة المحاصرون منذ عشرين عامًا؛ علىٰ قواعد عسكرية إسرائيلية تلك التي تحاصرهم في مستوطنات غلاف غزة، لتكشف للأجيال الجديدة من أبناء العرب الذين ولدوا في عهد ما يسمىٰ (باتفاقية السلام مع إسرائيل) تكشف لهم حقيقة الدعم الغربي الأعمىٰ للصهيونية ودولة إسرائيل المزعومة، كما كشفت لهم الطريق بعد أن كادت أقدامهم تنزلق إلىٰ أيدلوجيا جديدة تتحدىٰ هويتهم ترتكز علىٰ :

ـ الانبهار بالتقدم الغربي وارتفاع مستوىٰ المعيشة فيه ومدىٰ تطبيقه لعدالة مجتمعية يفتقدها، ومن ثم تبَني أخلاقيات هذا الغرب التي تعظم ظاهريًا من شأن الحريات وهو يؤكد دائمًا علىٰ اعتبار دولة الكيان الصهيوني امتدادًا له في الشرق، ولذا فقد اعتمدت وسائل الإعلام الغربية اسمًا جديدًا للمنطقة نتناقله دون

---

(١) كاتبة وروائية وإعلامية.

وعي بخطورته وهو اسم (الشرق الأوسط) بدلًا من المنطقة العربية.

ـ عقيدة موحدة جديدة أُعدت مضامينها في أروقة السياسة الأمريكية وهي (الديانة الإبراهيمية)، ومن ثم قبول الكيان الصهيوني بين أبناء هذا الجيل من العرب دونما غضاضة أو تعارض مع معتقدهم الديني، وقد نجحوا من قبل في تفريغه من فكر الجهاد والمقاومة، والترويج المباشر لبعض قيم الحق التي يراد بها باطل مثل قيم قبول الآخر والتسامح والاندماج .

ـ وهي معركة كاشفة أيضًا لتاريخ الاحتلال الصهيوني لدولة فلسطين من عدة جهات سوف نتناول بعضها في هذا المقال .

وقد تجسد بجلاء سافر في هذه الجولة من الصراع العربي الصهيوني الممتد هذا الدعم الغربي المتماهي مع الفكر الصهيوني الإسرائيلي قيادة وشعبًا، فلم يقتصر علىٰ إعطاء الضوء الأخضر لإبادة جديدة لكتلة صلبة من الشعب الفلسطيني متمثلة في سكان غزة، رغم عدم استسلامهم وخيارهم للمقاومة لآخر حجر وآخر بشر، بل والعمل علىٰ طرد مايتبقىٰ منهم إلىٰ سيناء المصرية في تنفيذ محكم لما خُطط له تحت اسم (صفقة القرن).



وقد رأىٰ أبناء العرب كما رأىٰ العالم أجمع كيف كان المدد الأمريكي الأوروبي بالعتاد والسلاح والخبرات العسكرية والاستخباراتية وقيل ببعض فرق النخبة من الجيش الأمريكي كفرقة دلتا الأمريكية وغيرها للتخطيط والمتابعة، فضلًا عن التأييد العلني لإسرائيل في بيانات موحدة من قادة الغرب، وكيف أرسلت الولايات المتحدة حاملات طائراتها إلىٰ شرق البحر الأبيض المتوسط لردع أي قوة في المنطقة تحاول مساندة شعب غزة، كما عززت قواعدها العسكرية في المنطقة بشكل مكثف استعدادًا لأي هجوم علىٰ إسرائيل .

ثم تابعنا المجازر التي تجاوزت بمراحل مفهوم القانون الدولي لمعنىٰ الإبادة الجماعية، وتجاوزت كل الأعراف والمواثيق العالمية باستهداف الآمنين والقصف العشوائي للأحياء السكنية بالطائرات مما أدىٰ إلىٰ أبشع عمل عسكري عرفته البشرية وهو قتل آلاف الأطفال «خمسة آلاف وثمانمائة طفل إلىٰ وقت كتابة هذا المقال» وآلاف النساء والعجائز وغيرهم آلاف تحت الأنقاض وآلاف من الجرحىٰ الذين لم تترك لهم المشافي بل هاجمتها في تحد مذر لكل القيم البشرية كما قصفت مدارس الإيواء والطرق التي أعلنوها آمنة لخروج الجرحىٰ والمرضىٰ من المستشفيات، ويعزز كل هذا حصار بري بحري جوي وقطع شرايين الحياة للسكان من غذاء وماء وكهرباء ودواء وقصف أي

وسائل بديلة يمكن توفيرها .

وجاء هذا وسط صمت عالمي من القادة والساسة في الدول التي يمكنها اتخاذ القرار بالمساعدة في إيجاد حل شبه عادل لهذه القضية، وحتىٰ حين تحدث الأمين العام للأمم المتحدة مستنكرًا ما يحدث مخاطرًا بمنصبه، ليتضح لنا أنها منظمة الأمم المتحدة الأمريكية وليست منظمة عالمية لدولها الأعضاء كما جاء في ميثاقها العام، وجاء اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة العاجل بقرار غير ملزم لإنهاء الحرب علىٰ المدنيين في غزة مخيبًا للآمال، بينما جاء الفيتو الأمريكي معطلًا قرار مجلس الأمن الملزم بوقف الحرب، وهو أمر ليس بجديد علىٰ المواقف السابقة للولايات المتحدة طوال مراحل الاغتصاب الصهيوني لأرض فلسطين.

بينما في الوقت ذاته نرصد تلك الالتفاتة الكبرىٰ التي حدثت علىٰ المستوىٰ الشعبي سواء علىٰ الصعيد العالمي أو العربي أو المحلي، التفاتة لم تأت فجأة في واقع الأمر إلىٰ قضية الشعب الفلسطيني وعدالتها، وإنما هي جاءت تدريجيًا وفي هذا يرجع الفضل لصمود أهل غزة ومقاومتهم، فمنذ الحصار الذي فرضته عليهم دولة الاحتلال وتحديهم له، الأمر الذي أثار تعاطف منظمات عالمية وعربية مع قضيتهم العادلة، فكانت هناك حملات



لكسر هذا الحصار جاءت علىٰ متن سفن خرجت من دول أوروبا وتركيا وغيرها، وتعرض بعضها لاعتداءات من جيش الاحتلال دون اكتراث للمناشدات الإنسانية والأممية .

كما أن هناك جماعات يهودية ومفكرين في أوروبا والولايات المتحدة نفسها ينكرون قيام هذه الدولة من وجهة دينية ومن وجهة الحق والعدل، فمن ينكرون قيام دولة اسرائيل من جهة دينية ومنهم جماعة (ناطورىٰ كارتا) علىٰ سبيل المثال، هؤلاء الجماعات -كما يقول المفكر الراحل د.عبد الوهاب المسيري في كتابه (في الخطاب والمصطلح اليهودي)- يعتقدون أن: «العودة إلىٰ أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الإله وبالطريقة التي يقررها، وأن العودة ليست فعلًا يحدث بمشيئة البشر وقد جاء في التلمود (لاتعودوا ولاتحاولوا أن ترغموا الإله)، ومن هنا فإن الحاخامات اتهموا الصهيونية بأنها تسعىٰ إلىٰ التعجيل بالنهاية وتحدي مشيئة الإله، وغني عن القول أن الصهاينة يحرصون علىٰ إخفاء هذه المصطلحات مما جعلها توارت مع صهينة اليهودية التي جعلت من العودة إلىٰ أرض الميعاد أمرًا دينيًا».

- أما من ينكرون قيام الدولة الصهيونية من ناحية حقوقية، فهم مفكرون محايدون رصدوا الواقع وتاريخ هجرات اليهود

لدولة فلسطين منذ اختيارها لتكون أرضًا للميعاد، مع أنه من المعروف أن الذين أسسوا لقيام هذه الدولة منذ المؤتمر الافتتاحي للمنظمة الصهيونية في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ وعلىٰ رأسهم تيودور هرتزل هم علمانيون وملاحدة وكذلك كل قادة إسرائيل فيما بعد، فمن المعروف أنه بعد فشل محاولات هرتزل في إقناع أغنياء اليهود بالعمل علىٰ إقامة وطن قومي حتىٰ يتخلصوا من عقدة اضطهاد الغرب لهم، وكان يطرح لهذا الوطن عدة دول مثل أوغندا أو الأرجنتين أو فلسطين، نجح في عقد هذا المؤتمر الذي كان من أهم نتائجه إقامة المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ البرنامج الصهيوني الذي يهدف لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والعمل بكل السبل علىٰ منحه الشرعية الدولية.

كما رصد هؤلاء المفكرون بحياد المبالغات الصهيونية في حجم اضطهاد هتلر والنازية لهم بتضخيم حجم وعدد من قضوا منهم في المحارق النازية، ومن بينهم مفكرون يهود آباؤهم قضوا في هذه المحرقة كمثال المفكر الأمريكي (نورمان فنكلستين) الذي يتهم الصهاينة وقادة دولة إسرائيل بأنهم لصوص حيث سرقوا أرض الفلسطينيين، ومبتزون لأنهم يبتزون ألمانيا ودول الغرب باسم المحرقة المبالغ فيها، وكذلك نرىٰ المفكر الفرنسي (روجيه جارودي) الذي اعتنق الإسلام وكان ينكر المبالغة في

محارق النازية لليهود ومن ثم اضطهده صهاينة أوروبا والعالم وعقدوا له محاكمة بعد إقرار قانون معاداة السامية وحكم عليه بالسجن بموجبه، ومن الجدير بالذكر أن مثل هؤلاء المفكرين تلقىٰ عليهم التهمة التي اخترعتها إسرائيل (معاداة السامية) والتي يمكن شرح تفاصيلها وتفنيدها في مقام آخر .

ونعود الآن لمعركة طوفان الأقصىٰ التي أعادت إحياء تلك الحركات، وزادت عليها بالمظاهرات التي ملأت شوارع العالم لمناصرة القضية الفلسطينية .

فقد سقطت في أعين شرفاء العالم والباحثين عن الحقيقة من الأجيال الجديدة سقطت فكرة الوطن اليهودي بعد الرجوع للوقائع التاريخية واستعادة فهم التاريخ من منظور غير صهيوني لأول مرة، وبعد ما رأينا أمام أعيننا مدىٰ تمسك الفلسطيني بأرضه بما يسقط المزاعم القديمة بأنه باع أرضه للصهاينة، كما أيقظت ذكرىٰ المذابح المتكررة التي دأب علي ارتكابها الكيان الصهيوني لتهجير أهل فلسطين من قراهم، واستبدل بهم أي كائن ينتمي للديانة اليهودية مهما كانت أصوله العرقية مما أوقعهم في مشكلة هوية ما زالوا غارقين فيها حيث إنهم للآن يصعب عليهم الإجابة عن السؤال من هو اليهودي؟

وكان للاحتلال الصهيوني في قرىٰ فلسطين منذ أربعينيات القرن الماضي نفس المسلك المشين من هدم البيوت علىٰ رؤوس ساكنيها وقتل المدنيين وبقر بطون الحوامل وطردهم من قراهم والأمثلة كثيرة علىٰ ماقامت به عصابات الهاجانا والإرجون والبالماخ، ومنها مذبحة دير ياسين، وبعدها بشهر تقريبًا مذبحة الطنطورة والتي راح ضحيتها مائتان وثلاثون فلسطينيًّا، وأيضًا ماحدث في مذبحة صفصاف والدوايمة وبلد الشيخ وكلها أظهرت وحشية هذا الغاصب الذي يتجبر استنادًا إلىٰ الدعم الغربي والأمريكي وسرعان ما تسقط أقنعة القوة الزائفة أمام صاحب الأرض وصاحب الحق كالمقاومة الفلسطينية في السابع من أكتوبر وقبلها بعقود عندما باغتهم الجيش المصري في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ م.

وقد بدا من خلال تلك المعركة (طوفان الأقصىٰ) أن الفلسطيني تمثل المقاومة لديه حالة تاريخية دائمة أمام عدو غاصب لا أخلاقي ينفي وجودهم ويعمل علىٰ إبادتهم بدعم عالمي، كما أنها تمثل عقيدة ومرتكزًا للأيدلوجيا يتجسد في مسلكهم اليومي وإعدادهم لأجيالهم القادمة، فالموت في سبيل الأرض المقدسة بالنسبة للمقاوم عقيدة وجهاد، نصر أو استشهاد.



ملحمة غزّة: الدلالات والرمزية

نور الدين قوطيط/ المغرب[1]

في يوم ٢٢ ربيع الأول ١٤٤٥، الموافق لـ ٠٧ أكتوبر ٢٠٢٣، كان العالم علىٰ موعد مع حدث في بقعة جغرافية صغيرة لا تكاد تُرىٰ بالعين المجردة، لكنه حدث كبير ستترتب عليه آثار عظيمة، تتمثل في كونه شكّل صدمة عنيفة وزلزلة قوية للنفوس والعقول، في العالم الإسلامي، وفي العالم غير الإسلامي، علىٰ جميع المستويات، وبين مختلف الطبقات!

المكان هو قطاع غزة في فلسطين المحتلة، القطاع الذي لا تتجاوز مساحته الجغرافية ٣٦٥ كيلومتر مربع، وسكانه لا يتجاوزون ٢,٣ مليون نسمة. والحدث هو عملية الطوفان التي قامت بها حركة المقاومة الإسلامية في القطاع: حماس. والمدة الزمنية لهذا الحدث لم تتجاوز بضع ساعات قبل أن يتنبه الاحتلال الصهيوني ومعه العالم أجمع إلىٰ أن هناك حدثًا كبيرًا وقع دون أن يدري!

لقد شنّ الاحتلال الصهيوني خلال العشرين عامًا الأخيرة علىٰ

(١) كاتب وباحث، له العديد من المؤلفات في قضايا الأسرة والمجتمع.

غزة أربعة حروب، بالإضافة إلىٰ الحصار الشديد، وما تخلل ذلك من قتل لعشرات المسلمين وتخريب لعشرات الدور والمرافق. لكن، مع ذلك فلأول مرة يجد الاحتلال الصهيوني نفسه أمام عملية مختلفة بشكل جوهري، ويخوض معركة لا مجال للمقارنة بينها وبين كل الحروب السابقة سواء داخل فلسطين أو حتىٰ ضد قوات الجيوش العربية سابقًا! بل لأول مرة يشعر هذا الاحتلال بأنه أمام عملية شكّلت تحديًا وجوديًا له!

والسؤال الذي يسأله كثيرون هو: لماذا كل هذا الاهتمام والاحتفاء بعملية الطوفان؟

والجواب هو:

خلال العقود الأربعة الأخيرة، ظل الاحتلال الصهيوني يفتخر باستمرار بامتلاكه أقوىٰ جيش في المنطقة، بإمكانيات هائلة، وتقنيات متقدمة جدًا، وظل أيضًا يفتخر باستمرار بامتلاكه أحد أقوىٰ جهاز للمخابرات في المنطقة وفي العالم كله، من حيث الإمكانيات والتقنيات! كما أن الغرب بقيادة أمريكا ما زال يروج لهذه الفكرة ويؤكد عليها، حتىٰ تشكل لدىٰ كثير من الخاصة والعامة من بني جلدتنا أن الاحتلال الصهيوني بجيشه ومخابراته لا يُقهر ولا يُغلب!

كانت هذه الفكرة أو لنقل الشائعة المنتشرة والمترسخة خلال العقود الماضية، ثم فجأة، وخلال سويعات فقط، ومن جماعة

محاصرة منذ سنوات طويلة، وفي بقعة جغرافية صغيرة جدًا، فجأة تحطمت أسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر، وتحطمت أسطورة المخابرات الصهيونية التي لا يمكن أن يفلت منها شيء! لقد سقطت هذه الأسطورة علىٰ أيدي جماعة محاصرة، وهو الشيء الذي عجزت عنه الجيوش العربية في المنطقة في تحقيقه خلال معاركها المباشرة مع جيش الاحتلال!

والأمر الثاني لهذا الجواب، هو أن الغرب بقيادة أمريكا استثمروا كثيرًا وطويلًا في الاحتلال الصهيوني ليظل الأقوىٰ بين دول المنطقة من أجل تحقيق أهداف دينية يؤمن بها، تتمثل في عقيدة تقوية بني صهيون والسيطرة الكاملة علىٰ القدس استعدادًا لاستقبال المسيح لنشوء معركة هرمجدون التي تكون بينهم بقيادة مسيحهم وبين المسلمين الأشرار أعداء المسيح. وأيضًا من أجل تحقيق أهداف استراتيجية مهمة بالنسبة له في السياسة والاقتصاد والثقافة لإبقاء منطقة الشرق الأوسط خاضعة للهيمنة الغربية!

والأمر الثالث لهذا الجواب، هو أن الغرب بقيادة أمريكا ما زال خلال العشرين سنة الماضية يزيد باطراد وتيرة الجهود لتحقيق التطبيع الكامل بين الحكومات العربية وبين الكيان الصهيوني، وإخراج هذا التطبيع من الخفاء إلىٰ العلن، وهذا ما سيترتب عليه الكثير من الامتيازات المباشرة للكيان الصهيوني

الذي يخدم الأهداف الأمريكية في المنطقة، ومن أبرز النتائج لمحاولات التطبيع الكامل والعلني الإجهاز النهائي علىٰ القضية الفلسطينية فلا يعود هناك كلام مطلقًا عن وجود شيء يسمىٰ الاحتلال الصهيوني!

والأمر الرابع لهذا الجواب، هو أن النفسية الصهيونية التي بدأت خلال السنوات القليلة الماضية تعيش في أوهام كبيرة تتعلق بالسلام والازدهار والقوة والانتصار، فجأة وبلا سابق إنذار تحطمت بعملية مباغتة من جماعة قيل لها بأنها محاصرة منذ سنوات طويلة من طرف الجيش والمخابرات، ولم تعد تشكل أي خطر علىٰ الفرد الصهيوني! فقد أدرك هذا الفرد أن حكومته باعت له الوهم، وتركته يعيش في سرابه، أما الحقيقة المرة، فهي أنه لا جيش قوي، ولا مخابرات قوية، ولهذا اكتشف أنه لا يوجد ثقة ولا أمان!

والأمر الخامس لهذا الجواب، هو أن الغرب بقيادة طاغوت العصر «أمريكا» ما زال منذ عقود طويلة يبذل كل الجهود الممكنة، وبشتىٰ السبل والوسائل، لأجل محو عقيدة الجهاد من نفوس المسلمين، وأنهم يمكن أن تقوم لهم قائمة، وإنما لا سبيل لهم إلا الخضوع للغرب وإملاءاته، والذوبان في بوتقة التطبيع والانتماء والولاء والاتباع، سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا وتقنيًا وحضاريًا. فحين تأتي المقاومة المحاصرة وتصنع هذا الحدث



العظيم فهذا يعطي الجيل الصاعد شعور القدرة علىٰ التحرر والتغيير، وهذا شيء مرعب للغرب!

إذن فعملية الطوفان تعني أن جهود عقود طويلة، وما تم إنفاقه من الأموال الهائلة، وما تم حشده من الإمكانيات الجبّارة، والأشواط الطويلة في طريق التطبيع، كل هذه الجهود والأموال والإمكانيات والخطوات التي حشدها وضخّها وسار في طريقها الكيان الصهيوني، والغرب بقيادة أمريكا، مع الحكومات العربية المتواطئة، لمسخ هوية الإنسان الفلسطيني خصوصًا، والمسلم عمومًا، وفك ارتباطه بقضية فلسطين، وصهره في بوتقة التطبيع والسلام والتسامح، كل هذا ذهب سدىٰ، وتلاشىٰ أدراج الرياح، في سويعات قليلة وعلىٰ حين غرة، حتىٰ كأن شيئًا لم يكن، فمثلهم كمثل من بنىٰ صرحًا عظيمًا من الرمل، ثم فجأة جاءت ريح عاصف فإذا هو لا شيء!

هذه هي الأسباب التي جعلت دولة الاحتلال ومن ورائه الغرب بقيادة الطاغوت الأكبر «أمريكا» يفقدون أعصابهم ويُجنّ جنونهم، لأنهم وجدوا أنهم أمام انهيار رهيب لكل ما شيّدوه وروجوا له، ولأنهم اكتشفوا أن عملية الطوفان تركت جروحًا عميقة جدًا في النفسية والوعي الصهيوني، وستظل هذه الجروح تنزف دمًا في قلوبهم ووعيهم لمائة عام قادمة، لأن كل شيء تحطم

في هذه النفسية! ومن هنا ذهب الجيش الصهيوني بمنتهىٰ الفظاعة والهمجية والإرهاب يقتل ويدمر، فإلىٰ ساعة كتابة هذا المقال تجاوز عدد شهداء غزة اثني عشر ألفًا، وعدد الجرحىٰ الثلاثين ألفًا، بالإضافة إلىٰ التدمير الرهيب للبنية التحتية المدمرة أصلًا، وقصف البيوت والعمارات والمشافي والمدارس!

ولهذا نفر الغرب في اليوم التالي من عملية الطوفان لتقديم الدعم والمساعدات. لقد حشدت أمريكا وكبرىٰ دول أوروبا ما لم يحشدوه من العتاد العسكري، والسخاء المالي، والدعم الإعلامي طيلة العقود الخالية، وهو دعم ومساعدات بالمليارات بشكل علني صريح ومباشر، دون أي مبالاة بأحد أو بقانون أو بقيم!

والغرب يفعل ذلك لأنه أدرك بسرعة -وما زال هذا الإدراك يتأكد مع مرور الأيام والأسابيع- أن المقاومة في غزة انتصرت بعد انتهاء عمليتها مباشرة، لأن المعيار الحقيقي للنصر والهزيمة له ثلاثة مظاهر:

الأول: هو الإرادة والنفسية، فإذا تحطمت إرادة العدو وتمزقت نفسيته فهذا نصر حقيقي حتىٰ وإن مارس بعد ذلك كل ما يمكن تصوره من الهدم والتخريب والدمار، لأن خراب العمران يمكن تعويضه بسهولة وإعادة بنائه بيسر، أما خراب الإنسان فمن



المستبعد للغاية إعادة بنائه وترميمه.

الثاني: هو العجز عن تحقيق الأهداف المعلنة ضد العدو، فقد بادرت قيادة الاحتلال للإعلان عن مجموعة أهداف تتمثل في تحطيم حركة المقاومة بشكل كامل، لكنها حتىٰ بعد مرور أكثر من شهر لا تزال عاجزة عن الدخول البري إلىٰ قطاع غزة، رغم الحشد العسكري الهائل والدعم الغربي الجبّار!

الثالث: هو تحطيم السردية الإعلامية المنتشرة عالميًا لصالح العدو، فمنذ عقود والإعلام الغربي يرسخ سردية التعاطف مع الكيان الصهيوني، لكن مع انتشار وسائل التواصل ومنصات الأخبار غير الحكومية انكشف الزيف وسقط القناع، فثار الآلاف في الغرب ضد حكوماتهم الداعمة للاحتلال الصهيوني!

ونحن نقول: رغم الألم الشديد، ورغم التحديات الهائلة، ورغم جيوش الخونة بيننا، ورغم الإمكانيات الجبارة التي بأيدي الغرب التي يدعم بها الاحتلال اليهودي.. رغم كل هذا، نقولها مدوية صارخة في سمع التاريخ وسمع الجاهلية الكنود: نحن قادمون، وعدًا من الله ورسوله، ومن أصدق من الله ورسوله، وإنما المسألة مسألة وقت فقط، لا نشك ولا نمتري، لأنّ الشك هنا تكذيب لله ولرسوله، وجهل بسنن الله في التاريخ وخط البشرية، فلا نامت أعين الجبناء، المثبّطين، الضبابيين، المخذّلين.



خذلوك فقالوا..

هشام الحمامى/ مصر[1]

ما أقسىٰ (الخذلان) وما أوجعه حين يكون من قريب وقادر ويستطيع .. وما أجهله وأعماه حين يكون تفريطًا في حق النفس قبل أن يكون في حق المخذول المغدور الذي أدرت له ظهرك وأطلقت له آهاتك وأسفاتك.. وما الآهات والأسفات هنا إلا مقدمة (لصرخاتك وصيحاتك) أنت.. لكنها عجائب التاريخ والإنسان، والجهل المزدوج.. جهل بالتاريخ وجهل بالنفس ومصالحها، وليس مطلوب من الإنسان أن يكون مؤرخًا ليتعظ من حوادث التاريخ، ولا عالم نفس ليكون واعيًا بمصالح النفس.. وصدق من قال إن (الفطرة أهدىٰ من العقل) ليس مطلوب فقط إلا (الفطرة السليمة) الخالية من دهاليز المخبوءات اللئيمات التافهات.. وعادة كل ما هو (مخبوء) يكون لئيمًا وأيضًا تافهًا وحقيرًا.. فالمواقف العظيمة لا تقبل أبدًا بوسائل (لئيمة) وتأبىٰ (التخفّي).

(نحن عبارة عن ذاكرتنا).. لا أدري مَن صاحب العبارة؟ لكنه كان

---

(١) طبيب وكاتب مخضرم، ينشر مقالات في الفكر السياسي علىٰ منابر إعلامية عديدة.



يتحدث لنا بلسان (الفطرة الهادية) حين قالها .. فالذاكرة إحدىٰ نعم الله الكثيرة علىٰ (الإنسان).. يعيش ويرىٰ ويسمع ويتعلم ويتذكر..

ومن كان أصل أمره (عداوة جوهرية) فلا سبيل إلىٰ مصادقته وطلب النفع منه، كالماء الذي يسخن بالنار، فإذا رفع عنها كان باردًا.. هكذا قال الفيلسوف (بيدبا) علىٰ ألسنة الحيوانات.. إسرائيل عداوتها للمنطقة كلها عداوة جوهرية.. ولا سبيل لأي صداقة معها.. اسمعوا العجوز الداهية (إسحق بريك) الرئيس السابق لـ (مفوضية شكاوىٰ الجنود) وهو ينصح نتنياهو قائلًا: الحل في غزة هو (حصار تجويعي) علىٰ القطاع وحرب استنزاف طويلة..

البائس يتحدث عن حصار داخل (الحصار) المفروض علىٰ القطاع من سنة ٢٠٠٧م.. العبيط لم يسمع محمود درويش (ت٢٠٠٨م) رحمه الله يقول من قبره: حاصر حصارك لا مفر/ اضرب عدوك لا مفر / سقطت ذراعك فالتقطها/ وسقطت قربك فالتقطني/ واضرب عدوّك بي/ فأنت الآن..حر.. وحر.. وحر.

هذا التيس العنيد (بريك) قال في مارس الماضي: إسرائيل اليوم في أحد أسوأ (الأوضاع الأمنية) التي عرفتها منذ عقود، الجيش الصهيوني غير جاهز للحرب التي قد تندلع في الزمن القريب، أو

الزمن البعيد. وبعد ما حدث ما كان يخشاه وفي أقل من ٨ شهور، قال: إن حركتي حماس والجهاد الإسلامي كانتا تدركان أن الجيش سيدخل بريًا، لذلك استعدتا بشكل جيد قبل عملية ٧ أكتوبر، فأعدتا العدة كامل الإعداد، وسيتكبد الجيش الكثير خسائر فادحة..

وأضاف: الهدف من الدخول إلىٰ قطاع غزة هو القضاء علىٰ مقاتلي حماس والجهاد في الأنفاق؟! هذه مهمة صعبة جدًا وستستغرق شهورًا.. والجيش سيتعرض إلىٰ خسائر كبيرة.. ولن ينجز المهمة..

حرب الاستنزاف الطويلة التي يتحدث عنها الجنرال، يعلم الطفل في بطن أمه أنها (كعب أخيل) الدولة الصهيونية، أي نقطة الضعف الأخطر فيها.. كما قال لنا فخر العسكرية المصرية الفريق سعد الدين الشاذلي رحمه الله (ت/ ٢٠١١) في مذكراته: إن لإسرائيل مقتلين: المقتل الأول هو خسارة الأفراد.. والمقتل الثاني هو إطالة مدة الحرب.. إسرائيل تصاب بالهلع إذا فقدت بعض الأفراد، واقتصادها ينهار فورًا في الحرب الطويلة، لأن الشعب كله تقريبًا مجند أو احتياط في الجيش.

هكذا قال العبقري الذىٰ رحل .. وكأنه ينصح (المقاومة) من قبره رحمه الله ..بالصبر والثبات .



وسط هذه (الدموع الخادعة) التي تملأ كل الأماكن في كل العالم، وهذا عظيم في حد ذاته..

لكن دعونا أولًا نتساءل: أمام كل هذه (الشراسة الحيوانية)، التي تقوم بها (إسرائيل) بقسوة متناهية مع المدنيين والعزل في غزة، ما المانع من قيام (العالم الحر)! بإلقاء شحنات المواد الإغاثية والطبية بالطائرات علىٰ القطاع؟ مسألة أن هذا يعنينا هنا أو لا يعنينا لن نتعرض لها؟ فقط أذكر تذكرة سريعة بما قاله د/ جمال حمدان رحمه الله (ت/ ١٩٩٣م) عن العلاقة الـ (فوق استراتيجية) بين مصر وفلسطين .. كل فلسطين.

فما بالنا اذا كانت علىٰ التخوم منا في (غزة).. أعلم جيدًا أن العين بصيرة واليد قصيرة، لكن هناك مواقف بين المواقف .. واختيارات بين الاختيارات .. قد لا يكون متاحًا لنا الدخول فورًا إلىٰ(غزة) بحجة النظر فيما فعلته (المقاومة) ومدىٰ تأثيره علىٰ المنطقة، وتسلم كل مراكز القوة والفعل في القطاع، وإدارة الموقف برمته، والأخذ بزمام المبادرة في هذه اللحظة الخطر. كما كنا نتوقع ذلك في وادىٰ النيل ..في السودان؟! هذا (موقف كبير) قد لا تسمح به أحوال الأمور، لكن بين هذا الموقف، وبين هذه الإبادة، هناك أيضا موقف وسط ..

موقف كان من الممكن أن تكون فيه (مسألة الرهائن)، أكثر المسائل حساسية لدىٰ إسرائيل ولدىٰ الغرب أخطر وأهم ورقة علىٰ المائدة .. ثم ما رأيناه لاحقًا من تتابع التبدل الرائع في الرأي العام الدولي ..

لقد تم استدراجنا ببساطة غريبة للحديث الصاخب عن (وهم) اسمه التهجير إلىٰ سيناء ..هذا محض وهم، ويتطلب شعبًا آخر غير أهل غزة وقيادة أخرىٰ غير حماس! وما رأيناه ونراه منهم من قوة وصمود يكفي لألف رد ورد علىٰ هذا الهراء.

ما رجوناه من أم الدنيا كنا نرجوه أيضًا من بلد كبير مثل (تركيا) بميراثها التاريخي العثماني، وبحكم ألف رابط ورابط بينها وبين الغرب، وكذلك (السعودية) بحضورها الإسلامي العريض، واحتوائها لأقدس مواقع الإسلام وقبلة أهله، وأيضًا بخصوصية العلاقة بينها وبين أمريكا (اتفاقية كوينسي / ١٩٤٥/ ٦٠ سنة) والتي تم تجديد محتواها للمدة نفسها عام ٢٠٠٥م في عهد الرئيس الأمريكي بوش.

الجنرال (احتياط) جيورا آيلاند ورئيس قسم التخطيط في جيش الاحتلال ورئيس مجلس الأمن القومي سابقًا، في مقابلة له مساء أمس!!! الأحد ٥ نوفمبر مع (القناة ١٢) قال: نحن لا نرىٰ

أي علامات علىٰ انكسار حماس نحن نشاهد أنهم ينفذون عمليات معقدة، ومنسقة بواسطة المسيّرات، وقذائف الهاون، والصواريخ المضادة للدروع . غزة ما زالت الهدف المحصن الأكبر في العالم ..

هذا واقع حال حقيقىٰ من فم جنرال يعرف ما يقول .. فهل يكافئ ذلك منا التعاطف والتباكي في المؤتمرات فقط.. لن ينسي العالم كله هذا الموقف من (العالم الإسلامي) الذي طالما تحدث شيوخه الموقرون عن المؤمن أخو المؤمن الذي لا يخذله ولا يسلمه .. وها هو يخذله ويسلمه.. ومتىٰ؟ في مواجهة أحقر وأضعف عدوّ.. وفي أسوأ أوقاته علىٰ الإطلاق.

إسرائيل ليست إلا مشروعًا غربيًا في (قلب العالم الإسلامي) ويتعرض الآن للانهيار، والكارثة أن الضربة التي سقطت علىٰ أم رأسه جاءت من قلب أفكار القوة الحضارية لهذا العالم.. من (الإسلام).

إنهم يعلمون أن (حماس) هنا ليست تنظيمًا فلسطينيًّا فقط إنها (فكرة).. والأفكار لها قوّة الفولاذ.. وأرض (غزّة) ليست ميدانًا لتهديد المشروع الغربي فقط.. إنها (إرادة).. والتاريخ ما هو إلّا (فكرة وإرادة).

هكذا يدير الغرب (معركته) التي نراها في أحشائنا، وكأنها لا تعنينا، ولا تعني وجودنا في هذا العالم.

وما يزيد الأمر (هياجًا) لديهم هو أن (حماس) أرادت من ٧ أكتوبر و(طوفان الأقصىٰ) تحرير أرضها وأسراها ليس إلّا.. فاهتز (كوكب الأرض) كله طالبًا الحرية، من سجن أكاذيب (المسيحية / الصهيونية) التي طال استنزافها لهم، وطال استهانتها بهم ..

وهذه المظاهرات العارمة التي نشهدها في العالم صراخًا علينا، تريد أيضًا تقليب المياه الراكدة في العالم كله.. وتحويلها إلىٰ موج متلاطم .. يعيد للإنسان قيمته وللأرض مجدها .

سيكتب التاريخ في خلود لا ينسىٰ.. أنها كانت معركة تحرير (الإنسان) كله علىٰ وجه (الأرض) كلها.. وحاملات الطائرات في المنطقة تشهد وتقر.





نصرة.. مع وقف التنفيذ!

وصال تقة / المغرب[1]

شهر ونيف، لم يُوَزَّع -كما عادة الشهور- أسابيع وأيامًا وساعات، وإنما قُسِّم إلىٰ ثوابيت وأكفان وشهداء، وإلىٰ جرحىٰ، وإلىٰ أرواح ما زالت عالقة تنتظر الحياة، قد تعداها الموت هذه اللحظة إلىٰ غيرها، وليست تفعل سوىٰ أن تسترجع وتمسح دموعها وتتساءل: علىٰ من الدور الآن؟

أبراج تتساقط، ويتساقط معها سجل مدني كامل، الفرق بين أصحابه؛ جثة كاملة، أو مزعات أشلاء متناثرة تُكدَّس في أكياس. لا أحد يعرف أسماء أصحابها، لكن الكل يعلم يقينًا أنهم في مكان أفضل، وأنهم يستشرفونهم من هناك بالكثير من الشفقة أن تركوهم خلفهم عالقين بين رصاصة وصاروخ وخيبة.

هذه باختصار يوميات غزة مذ بدأت الحرب.

لم أستطع أن أطلع علىٰ كل المقاطع التي تنشر كي أضيف الكثير من التفاصيل. لا أستطيع أن أكمل النظر في وجه ثكلىٰ تصب الوجع دموعًا، ولا لشاب بترت أطرافه.. والأطفال.. يا للأطفال!

(١) كاتبة وباحثة في قضايا التربية والأسرة، لها إصدارات عديدة.

لا أستطيع أن أكمل مشهدًا واحدًا يترجم كل فجيعتهم في صراخ، أو عويل، أو حتىٰ في كلمات شجب، ومواقف صمود تنم عن صبر وقوة؛ ليسوا مطالبين بها، وعن نضج غصب طفولتهم، وعن استيعاب لواقع فرض عليهم؛ يفضلون عنه، لو خيروا، ملاحقة طائرة ورقية عوض متابعة تلك التي تزمجر في الفضاء تحمل حتفهم، واللهو بالرمال يصنعون القصور، و ينبشون عن الأصداف عوض أن ينبشوا ما تبقىٰ من أشلاء ذويهم.

أتابع، اليوم كله، ولا أتابع.

أقلب التحليلات والتعليقات، وأنشرح لأعداد المثلثات الحمراء المتنامية، ويلهج قلبي قبل لساني بالدعاء.. لكنني لا أستطيع أن أبقىٰ رهينة المقاطع التي تقطر دمًا وغبارًا ودخانًا وأشلاء.

أخشىٰ أن أتطبع مع الألم فلا ينتفض فؤادي بعدها للألم، وأن أعتاد علىٰ الدماء فأنتقل من مقطع إلىٰ مقطع، ومن خبر إلىٰ خبر دون أن تتحرك في أحشائي مشاعر الحزن والخيبة.. دون أن أنتفض لشجب الظلم والتجبر والعدوان. هذه جريرتي.. أخشىٰ أن تتصنّم مشاعري، فأصير إنسانًا بلا إنسانية، وبقايا بشر متكلس الإحساس، لا يصلح لا لنفسه، ولا لغيره. وعوضًا عن

الغرق في تفاصيل المشاهد، انتفضت، مع من انتفضوا، كي نُخَلِّد بالحرف الوجعَ الممزوجَ بالأمل في نصر بات وشيكًا؛ لا نعلم متىٰ ولا كيف، ولكننا نعلم يقينًا أنه آت، وأن إرهاصاته أجلىٰ من أن يكذِّبها مرجف أو مثبط، وأن طريق التحرير هذه بدايته.

قررت أن أعطر حرفي وأزكيه، فكتبت عن المرأة الفلسطينية، عن أيقونة الكفاح والصبر والثبات؛ **فلم آت بجديد.**

هي ذي المرأة المقدسية مذ تكالبت الوعود والعهود علىٰ تهويد المقدسات، وعلىٰ بيع الوهم لمن صدقوا أنهم من الممكن أن يجعلوا الرموش ترف خوفا من الصواريخ، ومن الزناجير، ومن صولة الحروب. كتبت عن زغاريدها وهي تزف للحور العرسان، وعن ثباتها وهي تشيع الجثمان، وعن قدرتها الخارقة في أن تربي جيلا لا يهاب الموت، ولا يُجفله الدمار.

أعدت قراءة مقالي، ثم قررت بضغطة زر أن أنسف كل المكتوب.

لم آت بجديد**!**

ارتأيت أن أكتب عن الأطفال. عن أولئك الذين لا خطيئة لهم سوىٰ أنهم فلسطينيون. عن الموت المبتكر الجائع لأجسادهم

الغضة، وعن براعته في تحويل تراب غزة الطاهر إلىٰ حدائق ياسمين، وتفانيه في جعل الدحنون ينبت فوق الأكفان. عن الرجال البواسل في أجساد أطفال..عن لهوهم حين يودون أن يلهوا فيختارون لعبة «الشهيد حبيب الله»، وينتقون من الأماكن المقابر؛ بها لهوهم وبها يدفنون.

لم آت بجديد!

هو ذا الطفل الفلسطيني مذ عهد أطفال الحجارة ومحمد الدرة ومهند وخالد صلاح وعدي التميمي وغيرهم ممن همهم وهمتهم تخجلنا، نحن العالقين في قضايانا الصغيرة، الغارقين في همومنا اليومية التافهة.

قررت أن أكتب عن التاريخ الذي تعاد كتابته من جديد بمداد من نور وإباء وتتبختر فيه الحقيقة المنسية، وعن الجغرافيا التي يعاد ترسيمها، وعن هذا الصمت الذي يعربد بين الإخوة الأشقاء، وعن الانتحار السياسي العربي؛ وسؤال يكاد يفتك بي؛ يعجن الشعور بالعجز بالشعور بالخيبة والخذلان : أين النصرة؟

مسحت مرة أخرىٰ؛

لم آت بجديد..

متىٰ كان للمسار السياسي العربي والإسلامي جدوىٰ في تاريخ غزة؟
ومتىٰ استطاع العرب الحراك دون أن يتلقوا إشارة السماح من العدو؟

لن يسمح لهم وخطر الهزيمة يداهمه، سطرته الملحمة مذ أول هجمة وأول صاروخ، بدلالة تركيزه علىٰ «إدارة المعركة بالنتائج» بزيادة أعداد القتلىٰ والمصابين، وإحالة المكان إلىٰ خراب يعربد فيه الموت والدخان، وهذا التوتر والنزق والارتباك والجنون في ضرباته التي لم تستثن صحفيًا ولا مسعفًا ولا طفلًا ولا بناء.

مرة أخرىٰ، لم آت بجديد..

هي ذي سياسة العدو منذ فجر التاريخ. لم يوقر أنبياءه، ولم يسلموا من تنكيله وقتله ورعونته،فهل كان من دونهم ليسلموا؟

تركت ذا وذاك، وعزمت علىٰ الحديث عن الدروس والعبر التي لا تخل منها أزمة أو محنة. قررت أن ألبس عباءة الحكيم، وأن أتوجه بنصائحي للقارئ ألا ينظر إلىٰ النتائج من جهة انتهاء المعركة بالفوز؛ وإن كان هو ما يثلج القلوب ويشفي الصدور ويعيد البسمة للشفاه، وأن الأمر لو كان بالنتائج العاجلة؛ لكان رسول الله ﷺ أولىٰ بأن ينصر من أول غزوة، ولما شج وجهه الكريم، ولما كسرت رباعيته الشريفة، بأبي هو وأمي، بل لما احتاج أصلًا إلىٰ غزو، لكنها سنة التدافع، ودرء فساد الأرض، والتمحيص، واستئثار المولىٰ

بالحكمة وبعلم الغيب عنده بالمآلات.

عن الحراك العالمي الجديد، وعن النصرة المعنوية التي اجتمعت حولها شعوب العالم، وعن تصحيح الروايات القديمة الكاذبة المشيطنة لحماس، و التي طالما روجت لها المنابر الإعلامية الغربية، وعن المراجعات الذاتية الفردية والجمعية التي أسفرت في الكثير من الحالات علىٰ استفاقة من جهل مطبق لمعانقة نور الإسلام، وإعادة بناء القيم علىٰ أسس دينية، وإعادة تأسيس الروح علىٰ بناء إلهي..

ابتسمت أخيرًا في ارتياح، شيء جديد علىٰ الأقل لم نشهده من قبل، ولم تتواطأ الأقلام علىٰ تخليده. ها نحن الآن نحظىٰ بالسبق.

حاولت الاسترسال، ومشاعر الزهو تتملكني، لكن سرعان ما هجم علي تساؤل عميق عمق جرحنا النازف خيبة وضعفًا وعجزًا:

هل هذا كل ما تحتاجه منا النصرة؟

أن نكتفي بإضفاء القدسية والملائكية علىٰ المقاومين البواسل، وأن نجرد الأطفال والأمهات من بشريتهم التي تقتضي ضعفهم وحزنهم وانهيارهم، ونلبسهم ثياب المعجزات والخوارق؟



أن نندد وننفس غضبنا حرفًا؟

أن نترنم بالأشعار والشعارات؟

أن نذرف الدمع لمرآىٰ الفاجعة، وأن نتبادل التهاني والتبريكات لجديد أخبار المثلثات الحمراء، وأن نصفق احترامًا وتبجيلًا كلما أطل علينا الفارس الملثم؟؟

لسنا نفعل سوىٰ إخراس وخزات ضمائرنا، والتمسح في العجز كي نزيح عنا قليلًا شعورنا الدفين بالتقصير، وإلا فإن النصرة الحقيقية لا ترتب خلف الشاشات..

النصرة الحقيقية هبوب للميدان، وتسطير للملحمة مع من سطروها بأرواحهم ودمائهم وما دفعوه مهرًا للعقيدة وللحرية والكرامة والإباء..

حينها؛ وحينها فقط سنكون قد أتينا بالجديد..





مرآة غزّة

وليد الصرّاف/ العراق[1]

في فلسطين نحن عربًا ومسلمين إزاء هذه الخيارات: الحرب، السلم، الحرب والسلم، اللاسلم واللاحرب، القعود علىٰ التل، الهبوط من سفح أُحُد إلىٰ الغنائم..

البعض يمسك بشعرة معاوية، البعض يقول إن شعرة معاوية شابت واهترأت من الشد والإرخاء ويحمل سيف عنترة الذي تثلم وأصبح كهامًا.

نحن في عجز تام ولكننا ساهون عنه، لا المسالم يدرك فداحة ما استقر عليه، ولا المحارب يدرك هول ما يقدم عليه. العجز نائم في دقائقنا وساعاتنا نومة أفعىٰ في كوم من القش. أفعىٰ يطغىٰ ضجيج فضائياتنا وصخب أحاديثنا الدينية وقصائدنا علىٰ فحيحها فلا نسمعه.

وعندما يحصل أمر جلل كهذا الذي يحصل هذه الأيام ونرىٰ بيوت الناس في غزة تتحول إلىٰ مقابر. عندما عقارب الساعة تعود

(١) طبيب، دكتوراه الأنف والأذن والحنجرة، وشاعر له دواوين عدّة، وصاحب نشاط أدبي محلي ودولي ملحوظ.

إلىٰ زمن الكهف والوحشية عندما يشاهد الملايين بل المليارات في زمن الفيسبوك والفضائيات طفلًا لم يبلغ به العمر بعد حد أن يحسن نطق مفردة فلسطين وتهشم حجر أو شظية رأسه . عندما نرىٰ المستشفيات تقصف والمدارس تنهار والإبادة الجماعية تتحقق فعلًا لا قولًا يقفز إلىٰ الوعي العجز الذي كان مختبئًا في طيات الحياة اليومية ونحس أن إنسانيتنا بل وجودنا كله مطعون بخنجر مسموم..

كم يتمنىٰ المرء لو أن البشرية لم تعرف القراءة والكتابة ولم تبتكر العجلة وهو يرىٰ العلم يتحول إلىٰ عمارة تنهار جدرانها وسقوفها علىٰ أطفال.. غرف نوم طاهرة تتحول إلىٰ مقابر.. قذيفة تستهدف قطنًا وأدوات جراحية وجرحىٰ أبرياء جاؤوا ليبرؤوا من جراحهم، وحبة دواء ما زال الإنسان في ماراثون منذ فجر التاريخ حتىٰ اليوم كي يبلغها..

والعالم كله يتفرج كمن يتفرج علىٰ لعبة كرة قدم!

وذلك كله يحدث في القرن الحادي والعشرين، قرن الفضائيات والقانون الدولي ومنظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان وجمعيات الرفق بالحيوان والفيسبوك والديمقراطية التي من اتخذ سواها دينًا فلن يقبل منه كما يقول الأنبياء الجدد.. ماذا سيقول من

سيرىٰ آثارنا التي ستحفظها تكنولوجيا هذا الزمان فيراها من سيأتي بعد قرون ونحن جميعًا قبور دارسة؟ ماذا سيقول عن زمننا الذي وصل إلىٰ القمر وإلىٰ الذرة المتناهية في الصغر ومع ذلك انقطعت السبيل فيه بين الطعام والجائع والظمآن والماء والخائف والأمان..

انقطعت السبيل فيه بين دم طفلة ما زالت تنزف علىٰ الإسفلت والضمير الإنساني علىٰ امتداد الأرض.

ما العمل؟

حقًا ما العمل إزاء هذا العجز؟ هم يمتلكون الاقتصاد ونحن لا نمتلك.
هم يصنعون الطائرات ونحن لا نحسن أن نصنع عربات الخضراوات.
هم يملكون الإعلام الذي يجعل الأسود أبيض والأحمر بزرقة السماء ونحن لا نملك إلا شتائم الفرزدق وجرير بلهجة ركيكة.

هم يملكون دهاء السياسي الذي يتتلمذ الثعلب علىٰ خبرته المعتّقة عبر الأحقاب ونحن نرتجل السياسة كما يرتجل شاعرها بقصيدة ركيكة:

أنا عدوّي فمَن مني إذا صرخَت
قبائلي يالثاراتي سيحميني
أنا قتيلٌ ونسْر شمّ جثتَه
فمَن ببطن الثرىٰ منّي يواريني



هم يتشبثون بكل ما يوحّدهم ولو كان وهما، أما نحن فاذا تكلم قومي في فلسطين قلنا له دعوها فإنها نتنة، وإذا تكلم إسلامي قلنا له: كيف تستحل لنفسك الحديث عن فلسطين وأنت لست من الفرقة الناجية؟

كل واحد من العشرات من الفرق غير الناجية يسأل هذا السؤال.. وكل منهم عدوه مواطنه وليس إسرائيل. كلما تكونت شوكة إسلامية خضدها القوميون، وكلما تكونت شوكة قومية خضدها الإسلاميون، والكل يكفّر الكل والكل يخوّن الكل والخصم ما زال علىٰ سياسة فرّق تسد التي كان درج عليها وهو يستعمرنا في القرن الماضي ومازلنا ننصاع لها بكل سذاجة..

أمة تتكلم العربية وتسكن بين المحيط والخليج . الآية يفهمها الجميع، قاعة الشعر إذا اعتلاها شاعر من أي فج قدم بين المحيط والخليج يصفق له الجميع مستعيدًا أربعة عشر قرنًا من انفعالات و مثل ومبادئ وتاريخ مشترك وقيم . كل من في القاعة كائن واحد يخفق في جسمه قلب واحد وتنحدر من عينه دمعة واحدة، دمعة بدأها امرؤ القيس وأضافت لها الخنساء ملحًا جديدًا وأضاف شهداء غزة ملحًا جديدًا حتىٰ استوت دمعة عملاقة لا تشبه الدموع في بكاءات كل الأمم. ومع ذلك نتفرق. الحديث الشريف يوصي بسابع جار وقد يكون من دين آخر ولا يوصي بالثامن كما أوصىٰ

بالسابع وقد يكون مسلمًا. هذا يعني أن البعد الجغرافي مهم أن الوطن مهم لماذا نقوض فكرة الوطن العربي؟

من جهة أخرىٰ المسلمون كالبنيان المرصوص إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ.. لماذا إذا تحدث مسلم وهو في القطب الشمالي عن فلسطين أنكر عليه بعض القوميين وقالوا له مالك ومالها إنها تخصنا ولا تخصك؟

متىٰ نتعلم من أعدائنا؟

متىٰ تتحد كل القوىٰ من أجل غزة؟ قبل ربع قرن قلت:

جاء المغــــول يجرّون الحديد لنا	والقوم ما لوّحــوا حتىٰ بسكين
جاء المغــــول وزرقاء اليمامة ما	زالت تقول أرىٰ أغصان زيتون
والسائــرون إلىٰ حطّيـن ما تركت	حرب البسوس بهم شيئًا لحطين
والمســـــرح اليوم أبطال مزوّقة	لا تلعب الــدور الا بعد تلقين
جاء المغول ودون كيشوت منتفضا	مازال يضرب أعناق الطواحين
زلفىٰ إلىٰ اللات راح الذئب يسلمنا	ولات من يفتدينا بالقــــرابين
زلفىٰ إلىٰ اللات كانت كل مذبحة	نساق فيها خــــرافًا بالملايين
فاللات قد كان قبل اليوم من حجر	وأصبح اليوم من ماء ومن طين

من النادر أن يقف مجتمع أمام مرآة، ولكن أمام مشهد طفل ينزف في غزة نحن عراة أمام مرآة مستوية بعد أن خدعتنا مرايانا



المقعرة والمحدبة زمنًا طويلًا، مرآة غزة ترينا أنفسنا كما نحن وسوءاتنا كما هي تعتذر أوراق التوت في كل شجر التوت في الأرض عبر العصور عن ستر سوأة واحدة منها.

بماذا أضعنا أعمارنا؟ لماذا لم نسع لامتلاك ناصية العلم؟ لماذا نمكّن لحداة لا يحسنون أن يحدوا أنفسهم جبنًا أو ضعفًا أو نفاقًا؟

لماذا تمتليء جوامعنا بالمصلّين وفي الوقت نفسه تمتليء أسواقنا بالغش وجامعاتنا بالجهل ومؤسساتنا السياسية بالانتهازية؟

لماذا نترك فلسطين ونحارب بعضنا؟

ألف لماذا ولماذا يعلنها صمت شهيد ودم طفل علىٰ إسفلت يمد يده إلينا كالغريق ونحن كالأسرىٰ لا نملك أن نمد أيدينا، تغيرت قوانين الحروب. لم يعد سور يحيط بمدينة ولا قلعة تنتصب في أرضها أن يردّ عدوانا. ولم تعد معنويات تنصر أعزل.

كان السيف لا يطعن في الظهر ولا يقتل طفلًا أو شيخًا أو امرأة ولا يفتح في اللحظة إلا جرحًا واحدًا، أما اليوم فمجرد قذيفة ليزرية لا يُرىٰ مطلقها تقتل المئات وتهدم الجدران علىٰ العشرات في لحظة واحدة. يحصل هذا في غزة وحصل هذا في الموصل حيث غارة واحدة لقوات التحالف قتلت خمسمائة شخص في

لحظة واحدة، ومن الموصل أصبح لهم خبرة في تحطيم المدن فكانت غزة.

الآية الكريمة تخبرنا أن من قتل نفسًا فكأنما قتل الناس جميعًا. من ماء رجل واحد هو آدم جاءت هذه المليارات من البشرية التي ملأت الأزمان والأمكنة وخرقت الجو ومخرت الماء وتباينت ألوانها واختلفت ألسنتها وكان منها أنبياء خاطبتهم السماء وسيدخلون جميعًا زمن الجنة الأبدي وزمن جهنم الأبدي هذا كله من ماء رجل واحد في دقائق. إن أي نفس بشرية تصلح أن تكون آدم وتنجب المليارات التي تملأ العصور والأرض. أي نفس بريئة تقتل في غزة تصلح أن تكون آدم وتبدأ منها البشرية لذا كان من قتلها كأنه قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا هذا هو تفسيري المتواضع لما جاء في الآية الكريمة ولا بد أن نحول بين القاتل والمقتول لا بد أن نمتلك ناصية العلم لا بد أن ننتصر مجتمعًا علىٰ المجتمع الذي تنحدر منه هذه الأفاعي.

هذا كله وسواه ينبغي أن نضع من أجله خطة عمل أمام الأجيال الجديدة..

خطة نتمنىٰ أن يكتب الله لنا أن نراها واقعًا علىٰ الأرض أو يراها أولادنا وأحفادنا، والمشكلة أنهم اشتغلوا علىٰ أولادنا

وأحفادنا في الفضائيات والشبكة العنكبوتية ونظم التعليم وملؤوهم بالثقافة السهلة السطحية المحايدة التي تقطع بين كل أمة وتراثها بدءًا من اللغة العربية التي هي خزانة وجودنا وهويتنا الحضارية مانتهاء بأثاثنا وملبوسنا ومأكولنا حيث شاع الأنموذج العالمي حتىٰ في الأدب والفن.. وقت طويل لا تنشر فيه المجلات الأدبية قصيدة موزونة علىٰ بحور الشعر العربي بل قصائد نثر تشيع الأنموذج العالمي الذي يشبه الشعر المترجم.

كم عميقة مصيبة غزة، وكم هي وثيقة الارتباط بكل ما يحدث لنا ومن حولنا عبر زمن طويل، إننا نحس بالعجز والخذلان ومن هذا العجز ومن هذا الخذلان ينبغي أن نبدأ..





التطبيع مع فلسطين

يحي سلامة/ مصر[1]

ربما يستغرب القارئ من العنوان ولكنه عنوانٌ مُتعمَّدٌ وليس سهوًا أو خطأ مطبعيًّا.

والمقصود بالتطبيع هنا هو إعادة القضية الفلسطينية إلي بؤرة السياسة العربية وصناع القرار السياسي في الدول العربية وإعادة العرب إلي القضية الفلسطينية والتعاطي مع مستجداتها وتحدياتها التي فرضتها وتفرضها الظروف والتغيرات الإقليمية والدولية.

لقد نشأ جيلي علي مقولة إن العرب هم شعوب الفرص الضائعة وأنهم أضاعوا فرصة القبول بقرار مجلس الأمن ٣٣٨ بخصوص تقسيم فلسطين عندما رفضوا الاعتراف بدولة إسرائيل المقامة علي نصف مساحة فلسطين حتي استولت إسرائيل علي النصف الآخر وقامت باحتلاله في نكسةالخامس من يونيه ١٩٦٧ وحتي اليوم ترفض إسرائيل تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بالانسحاب من الأراضي المحتلة والعودة إلي حدود الرابع من يونيه ١٩٦٧.

(١) شاعر وكاتب وصاحب إصدارات.



وتكملة لمقولة إضاعة الفرص (حسب مروجيها) إن العرب أضاعوا الفرصة الثانية لاسترداد الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ عندما رفضوا الذهاب والتعاطي مع مباحثات السلام وتركوا الرئيس الراحل محمد أنور السادات يوقع اتفاقية سلام منفردة بين مصر وإسرائيل في كامب ديفيد عام ١٩٧٩. والتي مثلت حالة من الانقسام العربي تجاه القضية الفلسطينية وخروج مصر من الصف العربي الرافض وقتئذ لأي سلام أو اتفاق تهدئة مع الكيان الصهيوني المغتصب.

وتجدر الإشارة هنا إلي أن قرار الرفض في الحالتين (١٩٤٧و ١٩٧٩) لم يكن قرارًا فلسطينيًّا لأصحاب القضية الأصليين وإن كان لقي منهم الترحيب والقبول بقدر ما كان قرارًا عربيًّا كان يتعاطي في أدبياته السياسية والدبلوماسية أن الصراع ليس فلسطيني إسرائيلي بل هو صراع عربي إسرائيلي وهذا ما كنا نطالعه في الصحف والمجلات ونسمعه في نشرات الأخبار ويتردد علي ألسنة القادة العرب في مؤتمرات القمة العربية المختلفة.

ظل مصطلح الصراع العربي الإسرائيلي متداولًا حتي استيقظ العالم علي مفاجأة سياسية من العيار الثقيل وهي الإعلان عن اتفاقيات أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية (الممثل

الوحيد المعترف به دوليًّا للشعب الفلسطيني) عام ١٩٨٨ والتي تمت بصورة سرية لتتمخض هذه المفاوضات عن عقد مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ لبلورة هذه الاتفاقيات والتوصيات إلي صيغة تسوية شاملة لتحقيق السلام وحل الدولتين والتفاهم حول وقف بناء المستوطنات وحق العودة للاجئين وتحديد وضع مدينة القدس.

وغني عن القول الحديث عن تعثر مفاوضات السلام حتي اليوم بين الجانب الفلسطيني والجانب الإسرائيلي وعدم ظهور أي بارقة أمل في الأفق لتحقيق أي تقدم في مسار هذه المفاوضات المتجمدة منذ أكثر من عشرين عامًا.

وتأتي أحداث عام ٢٠٠٧ والمترتبة علي عدم الاعتراف بنتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية والتي أسفرت عن فوز حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بأغلبية ساحقة مكنتها من تشكيل الحكومة ليأتي قرار السلطة الفلسطينية بإقالة حكومة حماس برئاسة إسماعيل هنية لتنتقل الحكومة المقالة إلي قطاع غزة تباشر عملها ويراقب أعمالها التنفيذية ويمارس عمله التشريعي المجلس المنتخب من أعضاء الحركة لتصبح هناك حكومتان ومجلسان تشريعيان إحداهما في الضفة الغربية والأخرىٰ في قطاع غزة ليدخل الانقسام الفلسطيني/ الفلسطيني مرحلة اللاعودة وعدم التقابل بين سلطة الضفة التي اختارت مسار المفاوضات

طويلة الأمد والخنوع لها وبين سلطة قطاع غزة التي اختارت طريق المقاومة وأصرت عليه لعدم اقتناعها بجدوي المفاوضات مع عدو يريد الأرض والسلام معًا وليس الأرض مقابل السلام كما هو معروف ومتداول.

وبالعودة إلي عنوان المقال (التطبيع مع فلسطين) فبعد اتفاقيات أوسلو ومؤتمر مدريد وحتي قبل الانقسام الفلسطيني/ الفلسطيني نجد أن الدول العربية وحسب قرارات قمة بيروت عام ٢٠٠٢ والتي أعلنت فيها أن السلام هو الخيار الإستراتيجي للعرب ولا بديل عنه ولا نية للتراجع عنه مستقبلًا.

وهنا يجب التوقف أمام هذا الخيار الإستراتيجي الذي ألزمت به الدول العربية نفسها وبالتالي ألزمت به السلطة الفلسطينية (المتعثرة في مسار المفاوضات) وفي الوقت نفسه تركت المقاومة وحدها دون ظهير سياسي فكان طبيعيًا جدًا أن يتم تصنيف حركات المقاومة ضد العدو الإسرائيلي في عدد من البلاد العربية (حركة حماس -حركة الجهاد الإسلامي -حزب الله اللبناني) علي أنها حركات إرهابية وأن مجرد التعاطف معها وتبني أهدافها والترويج لها جريمة تستحق توقيع العقوبة علي مرتكبيها. ولم يكتف العرب بتعرية المقاومة ونزع ظهيرها السياسي والإقليمي بل فعلت الأمر ذاته مع السلطة الفلسطينية والتي تركتها بمفردها أمام مفاوض

إسرائيلي يتلاعب بالوقت ويستفيد من الانشقاق العربي والانشقاق الفلسطيني ويستفيد من الدعم الأمريكي والأوروبي (غير المحدود وغير المشروط) ليماطل في الحل ويتوسع في بناء المستوطنات ويصر علي عدم عودة اللاجئين ويصر علي أن القدس عاصمة لدولة إسرائيل، ويرفض حل الدولتين وكأنه وحده في الأرض وليس هناك طرف آخر أو شريك في الأرض والسلام.

ورغم هذا التعنت والصلف الإسرائيلي هرولت بعض الدول العربية إلي اتخاذ إجراءات التطبيع وإقامة علاقات دبلوماسية وسياسية مع إسرائيل وتبادل زيارات الوفود الفنية والثقافية والرياضية إلخ.. بين هذه الدول ودولة الكيان الصهيوني لتقيم الدول العربية سلامًا مجانيًا مع إسرائيل دون قيد أو شرط ودون حتي أن تقرن خطوات التطبيع بمسار التفاوض حول عملية السلام علي أضعف الإيمان السياسي.

وهذا التطبيع إنما أَضعف من قوّة المفاوض الفلسطيني، فالمفاوض الإسرائيلي قد حصل علي الاعتراف بدولته وأرضه والتسليم بكلّ ما يقوم به من إجراءات واعتداءات مجانًا وبلا مقابل، فما حاجته للجلوس علي مائدة المفاوضات بعد كل هذه المكاسب؟

لأقول: إن هذا التطبيع مع فلسطين (سلطة ومقاومة) كان أوْلي سياسيًّا وإستراتيجيًا وأمنيًا وقوميًا من التطبيع مع إسرائيل.

فهرس



الملحمة الفلسطينية

إلى شهدائنا الأبرار وأبطالنا الأحرار في أرض الرِّباط

المشاركون

1- أحمد الحاج
2- أحمد الشريف
3- أحمد المنزلاوي
4- أحمد كسار الجنابي
5- أميرة إبراهيم
6- أسامة حماد
7- السنوسي محمد
8- أيمن العتوم
9- إبراهيم مشارة
10- إضحوي الصعيب
11- بلال بكري
12- حاتم سلامة
13- حمدي عبد العزيز
14- خالد الأصور
15- سعيد موفقي
16- سليمان المعمري
17- علي زين العابدين
18- فايزة شرف الدين
19- مبارك الدشناوي
20- محمد ثابت توفيق
21- محمد فاروق
22- محمد فتحي النادي
23- محمود الحسن
24- محمود خليل
25- محمود سلطان
26- منصور عبد الحكيم
27- منير لطفي
28- منى مصطفى
29- ماجد رمضان
30- نهى الرميسي
31- نور الدين قوطيط
32- هشام الحمامي
33- وصال تقة
34- وليد الصرّاف
35- يحيى سلامة





